

الرَّسُولُ ﷺ وَالْيَهُودُ
وَجِهًا لَوَجَّهًا
(٩)

الخطر اليهودي

الذي تتركه عند المرء



الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ② الرَّحْمَنُ
الرَّحِيمُ ③ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ④
إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ⑤
أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ⑥ صِرَاطَ
الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ
الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ⑦

الخطير اليمودي

حقوق الطبع محفوظة
الطبعة الأولى
١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م

AL-MANAR ISLAMIC BOOK SHOP

Print, Publ. & Dist. Islamic Books & Cassattes



مكتبة المنار الإسلامية

طباعة ونشر وتوزيع الكتب والأشرطة الإسلامية

كويت - حولي - شارع المشي - تلفون: ٤٥٠٤٥ - فاكس: ٢٦٣٦٨٥٤ - صرب: ٤٣٠٩٩ - الكويت - النزهة البريدي: 32045
Kuwait - Hawalli - Al-Mothana Street, Tel.: 2615045, Fax: 2636854, P.O. Box: 43099 Hawalli, Postal Code No. 32045

مقدمة

قضى الله لبنى إسرائيل فى الكتاب أنهم سيفسدون فى الأرض.. وسيعلون على الناس بغير حق ويستكبرون.. وأنهم كلما اتخذوا ذلك وسيلة للإفساد سلب الله عليهم من عباده من يقهرهم، ويستبيح حرماهم ويدمرهم تدميرا.. وذلك يكشف عن العلاقة المباشرة بين مصارع الأمم وفشو الفساد فيها، وفاقا لسنة الله، حيث يحل الهلاك والدمار، والضياغ والبوار!

وسبق أن ذكرنا بعض مظاهر الخطر اليهودى فى حديثنا عن أسطورة الوطن اليهودى، والفكر اليهودى، وموقف اليهود من الرسالة والرسول ﷺ، والطبيعة اليهودية، والتآمر اليهودى على حياة الرسول ﷺ، واليهود والخيانة، والقضاء عليهم عسكرياً، ومحاكمتهم!.

ومع كل هذا جاءت بروتوكولات حكماء صهيون رد فعل لما عاناه اليهود، من اضطهاد، وما نزل بهم من جور وعسف، خلال القرن التاسع عشر فى أوروبا.. جاءت مؤامرة شريرة ضد البشرية، تدعو إلى الانتقام، حيث اعتقد اليهود أن البشرية كلها قد اشتركت بطريق أو بأخرى فى إذلالهم والنيل منهم وهى تنضح بل تفيض بالحقد والنقمة على العالم أجمع، وتكشف عن خسة ولؤم ودهاء حكماء صهيون.. وقد سجلها أخطر كتاب ظهر فى العالم تحت هذا العنوان «بروتوكولات حكماء صهيون» وتكاد لا تعرف بغيره، حتى فى اللغة الإنجليزية التى أضافت إليه عنوان «الخطر اليهودى» وهو ينطبق تماما على ما تحتويه تلك البروتوكولات من إشاعة الفوضى والإباحية، وتسليط المذاهب الفاسدة والدعوات المنكرة على العقول، وتقويض كل دعائم الدين والخلق فى جميع الأقطار!

وفى مايو ١٩٢٠ نشرت جريدة «آلتيمس» (١) مقالا عن الخطر اليهودى سمته «رسالة مقلقة: دعوة للتحقيق» ومنذئذ بدأت جريدة «المودنغ بوست» بمجموعة من المقالات فى ١٢ يوليو تنشر تحقيقا مضنيا جدا تحت عنوان «العالم المضطرب: خلف الستار

(١) انظر: الخطر اليهودى: بروتوكولات حكماء صهيون: ٣٨.

الأحمر» وسمى كاتبها البروتوكولات يومئذ «الإنجيل البلشفي» وهي تسمية منه باللغة الجدارة!

وعمل اليهود على تقويض نظام الحكم القيصري، والتسلل في كل دول العالم للقبض على مراكز القوة.. وتقويض الخلافة الإسلامية واتخذوا من مدينة «سلانيك» الوكر الأول لدسائسهم ومؤامراتهم (١) لأنها تضم أوفر عدد من اليهود في تركيا، ومركز «الدوغة» وهم يهود تظاهروا بالإسلام نفاقاً، ليعملوا على تقويض الخلافة وهم ضمن صفوفها، وعلى هدم الإسلام وهم داخل حصونه، ودعوا إلى الجامعة الطورانية للتخلص من الإسلام واللغة العربية، مما كان له الأثر البالغ في توجيه حكم أتاتورك، الذي كان فيه عرق من «الدوغة» ومن ثم كان سقوط الخلافة الإسلامية، وتقسيمها إلى دويلات، وكانت مساعدة أعداء المسلمين على تحقيق منافع مادية من الميراث الضخم الذي خلفته وراءها، لكي يظفروا بمساعدتهم في إقامة دولتهم في فلسطين اغتصاباً!

ومن ثم كانت خطورة هذا الكتاب، وكان القتل للذين ترجموه، مما دعانا إلى نشره في هذه الدراسات، حتى يكون حجة ناطقة بما كتبت أيديهم!، وكان التحذير مرات كثيرة أثناء إذاعة هذه الدراسات من إذاعة القرآن الكريم صباحاً، وإعادتها مساءً من البرنامج العام من إذاعة الكويت على مدى سبعة أشهر كاملة!

وقد اقتضت منهجية البحث أن يشتمل على فصلين:

الأول: بنو إسرائيل والإفساد في الأرض.

الثاني: بروتوكولات حكماء صهيون.

والله أسأل: التوفيق والسداد.

والعون والرشاد. إنه سميع مجيب

٤ ربيع الأول ١٤١٣ هـ

الكويت في:

١ سبتمبر ١٩٩٢ م

سعد محمد محمد الشيخ (المرصفي)

(١) انظر: مكاييد يهودية: ٢٥٣ وما بعدها.

الفصل الأول

بنو إسرائيل والإفساد في الأرض

تمهيد - العصر الذهبي - عهد الانقسام وزوال ملك
بنى إسرائيل - مع الآيات القرآنية - أشهر أقوال المفسرين
- مقياس النصر والهزيمة - رأى جديد - سورة بنى
إسرائيل - «لتفسدن فى الأرض مرتين» - رد الكرة -
فرصة للاختيار - بشرى للمؤمنين - تعليق على المقال.

تمهيد:

يقول الله تعالى:

﴿وَأَيْنَأُمُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَءِيلَ أَلَّا يَتَّخِذُوا مِن دُونِي
وَكِيلًا ۝ ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ۝ وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ
فِي الْكِتَابِ الْفُسْدَ فِي الْأَرْضِ مَرَّاتٍ وَلَعَلَّ عَلَوْا كَبِيرًا ۝ فَإِذَا جَاءَ
وَعْدُ آلِهِمْ مَبْعُوثًا عَلَيْهِمْ عَبْدَانَا أُولَىٰ بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ
وَكَانَ وَعْدُ مَفْعُولًا ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ
وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرِ نَفِيرًا ۝ إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ
وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسْئَلُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا
مَا عَلَوْا تُتَبِّرًا ۝ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدتُمْ عَلَيْنَا جَهَنَّمَ لِّلْكَافِرِينَ
حَصِيرًا ۝﴾ (١)

هذه الآيات تتضمن نهاية بنى إسرائيل التي صاروا إليها (٢)، وذالت دولتهم بها. وتكشف عن العلاقة المباشرة بين مصارع الأمم وفسو الفساد فيها، وفاقا لسنة الله التي ستذكر بعد قليل فى السورة ذاتها. وذلك أنه إذا قدر الهلاك لقرية جعل إفساد المترفين فيها سببا لهلاكها وتدميرها:

﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْنَا الْقَوْلُ فَمْدَمْنَاهَا
تَدْمِيرًا ۝ وَكَرَّ أَهْلُكُنَّ مِنَ الْقُرُونِ مِن بَعْدِ نُوحٍ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ
خَبِيرًا بَصِيرًا ۝﴾ (٣)

(٢) فى ظلال القرآن ٤ : ٢٢١٢ ، وما بعدها بتصرف .

(١) الإسراء ٢ - ٨ .

(٣) الإسراء : ١٦ - ١٧ .

وهؤلاء هم الذين تترهل نفوسهم وتأسن، وترتع فى الفسق والمجانة، وتستهر بالقيم والمقدسات والكرامات، وتلغ فى الأعراض والحرمات، وهم إذا لم يجدوا من يضرب على أيديهم عاثوا فى الأرض فسادا، ونشروا الفاحشة وأشاعوها، وأرخصوا القيم العليا التى لا تعيش الشعوب الراقية إلا بها ولها. ومن ثم تتحلل الأمة وتسترخى، وتفقد حيويتها وعناصر قوتها وأسباب بقائها، فتهلك وتطوى صفحتها.

وإذا ما قدر الله لقرية أنها هالكة، لأنها أخذت بأسباب الهلاك، فكثرت فيها المترفون، فلم تضرب على أيديهم، سلط الله هؤلاء المترفين ففسقوا فيها، فعم فيها الفسق، فتحللت وترهلت، فحققت عليها سنة الله، وأصابها الهلاك والدمار، ونزل بها الضياع والبنوار.. وهى المسئولة عما يحل بها، لأنها لم تضرب على أيدي هؤلاء المفسدين، ولم تصلح من نظامها الذى يسمح بوجود هؤلاء المتحللين. فوجودهم ذاته هو السبب الذى من أجله سلطهم الله عليهم ففسقوا، ولو أخذت عليهم الطريق فلم تسمح لهم بالظهور فيها ما استحققت الهلاك، وما سلط الله عليها من يفسق فيها ويفسد فيقودها إلى الهلاك.

إن إرادة الله قد جعلت للحياة البشرية نواميس لا تتخلف، وسننا لا تتبدل، وحين توجد الأسباب تتبعها النتائج فتنفذ إرادة الله وتحق كلمته. والله لا يأمر بالفسق، ولا يأمر بالفحشاء. لكن وجود هؤلاء فى ذاته دليل على أن الأمة قد تخلخل بناؤها، وسارت فى طريق الانحلال، وأن قدر الله سيصيبها جزاء وفاقا.. وهى التى تعرضت لما أصابها بسماحها هؤلاء بالوجود والحياة.

فالإرادة هنا ليست إرادة للتوجيه القهرى الذى ينشئ السبب ولكنها ترتب النتيجة على السبب.. الأمر الذى لا مفر منه، لأن السنة جرت به.. والأمر ليس أمرا توجيهيا إلى الفسق، ولكنه إنشاء النتيجة الطبيعية المترتبة على وجود هؤلاء المترفين، وهى الفسق.

وهنا تبرز تبعة الجماعة فى ترك النظم الفاسدة تنشئ آثارها التى لا مفر منها. وعدم الضرب على أيدي المفسدين فيها كى لا يفسقوا فيها فيحق عليها القول فيدمرها تدميرا.

هذه السنة قد مضت فى الأولين من بعد نوح، قرنا بعد قرن، كلما فشئ التحلل فى أمة انتهى بها إلى ذلك المصير، والله هو الخبير بذنوب عباده البصير:

﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾

ونبصر الحديث فى الآيات التى معنا يبدأ بذكر كتاب موسى - التوراة - وما اشتمل

عليه من إنذار لبني إسرائيل، وتذكير لهم بهذا النبي - نوح - العبد الشكور، والأولين الذين حملوا معه فى السفينة:

﴿وَأَيْنَأُمُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَءِيلَ أَلَّا يَتَّخِذُوا مِن دُونِي
وَكَيلًا ۚ ذُرِّيَّةً مِّن حَمَلِنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾

ذلك الإنذار وهذا التذكير مصداق لوعده الله الذى يتضمنه سياق السورة كذلك
وذلك ألا يعذب الله قوما، حتى يبعث إليهم رسولا ينذرهم ويذكرهم:

﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ (١)

وقد نص على القصد الأول من إتياء موسى الكتاب:

﴿هُدًى لِّبَنِي إِسْرَءِيلَ أَلَّا يَتَّخِذُوا مِن دُونِي وَكَيلًا﴾

فلا اعتماد إلا على الله وحده، ولا توجه إلا إلى الله وحده. فهذا هو الهدى، وهذا
هو الإيمان. فما آمن ولا اهتدى من اتخذ من دون الله وكيلًا.

ولقد خاطبهم باسم الآباء الذين حملهم مع نوح، وهم خلاصة البشرية على عهده..
خاطبهم بهذا ليذكرهم باستخلاص الله للأولين، مع نوح العبد الشكور، وليردهم إلى هذا
النسب المؤمن العريق ..

فى ذلك الكتاب الذى آتاه الله لموسى، ليكون هدى لبني إسرائيل، أخبرهم بما قضاه
عليهم من تدميرهم بسبب إفسادهم فى الأرض.. وتكرار هذا التدمير مرتين، لتكرر
أسبابه من أفعالهم.. وأنذرهم بمثله كلما عادوا إلى الفساد فى الأرض كما قضت سنة الله
الجارية التى لا تتخلف:

﴿وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ فِي الْكِتَابِ لُتُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ
وَلَنَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾

العصر الذهبى:

وهنا نذكر قصة الملأ من بنى إسرائيل فى قوله تعالى:

(١) الإسراء: ١٥ .

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَكِ الْإِسْرَءِيلَ مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ إِذْ قَالُوا لِلنَّبِيِّ لَهُمُ نُفُوسٌ لَنَا مَلِكًا
نَقُولُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا
وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَاءِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ
الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿١٦﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ
لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً
مِّنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ
يُؤْتِي مَلَكَهُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿١٧﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ
أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ
هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُم إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٨﴾ فَلَمَّا فَصَلَ
طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ مَّن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ
يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرَبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَلَمَّا
جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِالْجُنُودِ قَالَ
الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُّكَلَّمُوا اللَّهَ كَم مِّن فِتْنَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِتْنَةُ الْكَافِرِينَ بِإِذْنِ
اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿١٩﴾ وَلَمَّا بَرَزُوا لِالْجُنُودِ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا
وَتَبَّتْ أَعْيُنُنَا وَانْصَرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٢٠﴾ فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ
جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ
بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٢١﴾

وسبق أن تحدثنا عن هذه الآيات بما يجعلنا في غنى عن إعادة ما تضمنته من دروس ..

وحسبنا أن نشير بإجمال إلى أن دولة اليهود قد تأسست برئاسة طالوت .. وتولى
الملك بعده داود عليه السلام .. وقد دام ملكه - كما تقول المصادر التاريخية - زهاء
أربعين سنة، وكانت عاصمة ملكه في أول العهد (حبرون) التي تسمى (الخليل) الآن. أما

المدة الباقية فكانت (أورشليم) وقد ازدهرت المملكة فى عهده ازدهارا عظيما، واتسعت رقعتها، وشيدت فيها المباني الفاخرة، والحصون المنيعة، ورأت عهدا زاخرا بالأمان والاطمئنان والرخاء والقوة^(١).

وبعد داود عليه السلام، تولى ملك بنى إسرائيل ابنه سليمان عليه السلام، فازدادت حالتهم فى عهده رقيا ومنعة.

ويعصف أحد الكتاب حال بنى إسرائيل فى عهد سليمان عليه السلام فيقول:

وفى عهد سليمان اعتر شأن الإسرائيليين، وامتد ملكهم من البحر الأحمر إلى نهر الفرات الكبير، وهابتهم الأمم المجاورة لهم.. وأرسل سفنه فى الآفاق تجوب البحار، وتأتيه بالذهب والفضة والأحجار الكريمة، وكانت مدة حكمه أربعين سنة، ذاق فيها الإسرائيليون الهناء والرخاء^(٢).

والخلاصة أن عهد حكم داود وسليمان عليهما السلام لبنى إسرائيل يعتبر العصر الذهبى لهم، والفترة الزاهية من تاريخهم، إذ اتسع فيها ملكهم، وعظم نفوذهم، وترادفت النعم والخيرات عليهم، ومع كل هذا لم يسلم داود وسليمان من افتراءات اليهود - كما أسلفنا - فتلك هى طبيعتهم دائما!

عهد الانقسام وزوال ملك بنى إسرائيل:

وبعد وفاة سليمان عليه السلام، تولى (رحبعام) فانتشرت فى عهده - كما يقول المؤرخون - الفتن، وكثرت المنازعات، واضطربت الأحوال، فأدى ذلك إلى انقسامها إلى قسمين: مملكة يهوذا، ومملكة إسرائيل.

أما مملكة يهوذا فكانت عاصمتها أورشليم، وملكها (رحبعام) وكانت تتكون من سبطى يهوذا وبنيامين، وقد تعاقب عليها واحد وعشرون ملكا.

وكانت نهايتها على يد (بختنصر) الذى غزاها سنة ٥٨٨ ق م. فدمرها تدميرا، وساق الأحياء من أهلها أسرى إلى بابل، ومكثوا فى الأسر زهاء خمسين سنة، وما فعله (بختنصر) مع بنى إسرائيل يسمى بخراب أورشليم الأول.

(١) بنو إسرائيل فى القرآن والسنة : ٢ : ٣٤٩ وما بعدها بتصرف.

(٢) المرجع السابق : نقلا عن : تاريخ الإسرائيليين : ٢٣ شاهين مكاربوس.

وأما مملكة إسرائيل فكانت عاصمتها (السامرة) - نابلس الآن - وقد تأسست كأختها مملكة يهوذا سنة ٩٧٥ ق م، وملكها (يربعام) أخو (رحبعام) وكانت تتكون من بقية الأسباط العشرة، وقد تعاقب عليها تسعة عشر ملكا، وكانت نهايتها على يد (سرجون) ملك آشور، الذى غزاها وانتصر عليها، وأجلى سكانها من اليهود إلى ما وراء الفرات، وكان ذلك سنة ٧٢١ ق م.

وفى سنة ٥٣٨ ق م نشبت حرب بين (قورش) ملك الفرس (وبختنصر) ملك بابل، انتهت بانتصار ملك الفرس، فأصدر أمرا سنة ٥٣٦ ق م يأذن فيه لليهود بالعودة إلى اورشليم، ولكن أكثر اليهود كانوا قد ألفوا الحياة البابلية، وامتدت بها أعراقهم، ومن ثم فقد ترددوا فى العودة إليها، ولم يقبل العودة إلا عدد قليل منهم، أكثرهم من سبطى يهوذا وبنيامين، وقد أعاد هؤلاء العائدون بناء الهيكل بتصريح من (قورش) سنة ٥١٥ ق م تقريبا.

ومن ذلك التاريخ أصبحت كلمة (اليهود) تعنى: من اعتنق اليهودية، ولو لم يكن من بنى إسرائيل، وهذا هو الفرق بين اليهودى والإسرائيلى.

وظل اليهود بعد ذلك يتولى أمرهم كهنة منهم تحت رقابة حكام من الفرس، وكانت المناوشات بينهم لا تنقطع، إلى أن زال حكم الفرس عنهم سنة ٣٢٢ ق م.

وفى سنة ٣٢٣ ق م . التى مات فيها الإسكندر المقدونى، قسمت مملكته بين قواده، فكانت اورشليم من نصيب بطليموس ملك مصر فحكمها بالعنف والشدة، رغم مقاومة اليهود له، وقد اضطر أمام ثوراتهم المتكررة إلى هدم جزء كبير منها، وقتل الكثيرين من سكانها، وإرسال مائة ألف من اليهود إلى مصر سنة ٣٢٠ ق م.

وقد تعاقب البطالسة على حكم اورشليم فترة طويلة، بعضهم عامل اليهود فيها بالقسوة والشدة، وبعضهم عاملهم باللين والعطف، حتى استولى السلوقيون عليها من البطالسة سنة ١٩٨ ق م.

وقد أوقع السلوقيون باليهود أشد الضربات وأقساها، فعندما احتل (أنطوخوس) السلوقى اورشليم هدم أسوارها، ونهب ما فيها من أموال، وقتل من اليهود ثمانين ألفا، وأذل كهنتهم إذلالا شديدا.

وفى سنة ١٦٨ ق م قام اليهود بقيادة الكاهن (ماثياس) بثورة ضد السلوقيين لم

تنجح ، ومات بعدها بعام واحد ، فتولى ابنه الكاهن (مكابياس) قيادة الثائرين اليهود من جديد، وإلى هذا الكاهن تنسب أسرة المكابيين، وهم فريق من كهان اليهود اتصفوا بالحنكة وسعة الحيلة وكانوا أقرب إلى القادة العسكريين منهم إلى رجال الدين، وقد استطاعوا أن يستقلوا بحكم أورشليم لفترة من الزمان.

وفى سنة ٦٣ ق م كان الخلاف قد بلغ أشده بين المكابيين، وضعف مركزهم، فانتهزت الدولة الرومانية هذه الفرصة، وانقضت على أورشليم فاحتلتها بقيادة (ممبيوس) الرومانى.

ومنذ ذلك التاريخ خضعت أورشليم لحكم الرومان، إلى أن استولى عليها الفرس سنة ٦١٤م ثم عادت إلى الرومان.. ثم فتحها المسلمون سنة ١٥هـ - ٦٣٦م فى عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه، وبقيت بعد ذلك دولة إسلامية، حتى اقتطع اليهود جزءا كبيرا منها أقاموا عليه دولتهم سنة ١٣٦٧هـ - ١٩٤٨م.

وتوالى بعد ذلك العدوان والتوسع إلى وقتنا هذا، وسنعرض لذلك بالتفصيل فى حديثنا عن معالم النصر على اليهود.

ولعلنا بهذا نكون قد ألقينا الضوء على تاريخ اليهود الإجمالى. فى فلسطين منذ عهد داود عليه السلام حتى وقتنا الحاضر.. وقد تبين بجلاء ووضوح أهم ما تعرض له اليهود من تشتيت ودمار واحتلال وبوار..

ولنا عود على بدء نتحدث فيه بالتفصيل عن عصر التشرد وأثره عقب سقوط دولة اليهود تحت أقدام الآشوريين، ومن ثم تفرق اليهود ولم تقم لهم بعد ذلك قائمة، ولم يعد لهم فى التاريخ شأن يذكر.. حتى الأربعينات من هذا القرن العشرين، وما تلا ذلك من أحداث حتى وقتنا الحاضر..

مع الآيات القرآنية:

ونعود إلى قول الحق تبارك وتعالى:

﴿ وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴾

نعود لنبصر هذا القضاء إخبارا من الله تعالى لهم بما سيكون منهم حسب ما سبق فى

علمه الإلهى من مآلهم.. فالله عز وجل قد قضى لبنى إسرائيل فى الكتاب الذى آتاه لموسى أنهم سيفسدون فى الأرض مرتين وأنهم سيعلون بغير حق على الناس ويستكبرون.. وكلما ارتفعوا بغير حق فاتخذوا ذلك وسيلة للإفساد سلط الله عليهم من عباده من يقهرهم ويستبيح حرما تهم ويدمرهم تدميرا..

وكان من مظاهر إفسادهم فى الأرض - كما أسلفنا - تحريفهم للتوراة، وتركهم العمل بما جاء فيها، وقتلهم الأنبياء وافتراءهم عليهم واعتداؤهم على الذين يأمرون بالقسط من الناس، وشيوع الفواحش والردائل فيهم.

فإن قال قائل (١): وما فائدة أن يخبر الله تعالى بنى إسرائيل فى التوراة أنهم يفسدون فى الأرض مرتين، وأنه يعاقبهم على ما كان منهم بتسليط الأعداء عليهم للتدمير؟

فالجواب: أن إخبارهم بذلك يفيد أن الحق تبارك وتعالى لا يظلم الناس شيئا، وإنما يعاقبهم على ما يكون منهم من إفساد ويعفو عن كثير، وأن رحمته مفتوحة للمفسدين متى أصلحوا وأنابوا إليه.

وهناك فائدة أخرى لهذا الإخبار، نبصرها فى تنبيه العقلاء فى جميع الأمم أن يحذروا من مواجهة المعاصى التى تؤدى بالأمة إلى الهلاك، وأن يحذروا أمهم من ذلك، ويصبروهم بعواقب العصيان والإفساد فى الأرض، حتى لا يعرضوا أنفسهم لعقوبة الله تعالى.

والفائدة الثالثة من هذا الإخبار، بيان أن الأمم المغلوبة تستطيع أن تستعيد قوتها، وأن تسترد مجدها السالف، إذا صحت عزائمها على طاعة الله تعالى، والعمل بما جاءهم به الأنبياء عليهم صلوات الله وتسليماته.

ومن فوائد إيراد هذا الخبر فى القرآن الكريم، تنبيه اليهود المعاصرين للرسول الحبيب المحبوب ﷺ، ومن على شاكلتهم.. إلى سنة من سنن الله تعالى فى خلقه، وهى أن الإفساد فى الأرض، والانصراف عن طاعة الله سبحانه، والتعدى لحدوده، والمخالفة لأوامره، والعصيان لرسله، كل ذلك يؤدى إلى الخسران فى الدنيا والآخرة، فعلى اليهود وغيرهم من الناس أن يؤمنوا بخاتم النبیین ﷺ، الذى ثبتت نبوته ثبوتا لا شك فيه حتى يسعدوا فى دنياهم وآخرهم.

ثم بين الحق تبارك وتعالى أنه يسلط عليهم بعد الإفساد الأول من يقهرهم، ويستبيح

(١) بنو إسرائيل فى القرآن والسنة ٢: ٣٥٣ وما بعدها بتصرف.

حرماتهم، ويدمرهم تدميراً، عقوبة لهم على ما كان منهم، فقال تعالى:

﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَٰئِهِمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادَآلَّنَا أُولَىٰ بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا
خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا﴾

والمعنى: فإذا جاء وعد عقابكم، يا بني إسرائيل، على أولي المرتين اللتين تفسدون
فيهما في الأرض، وجهنا إليكم، وسلطنا عليكم ﴿عِبَادَآلَّنَا أُولَىٰ بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾
ذوى قوة وبطش في الحرب شديد ﴿فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ﴾ ترددوا بين
المساكن لقتلكم، وسلب أموالكم، وتخريب دياركم ﴿وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا﴾
أى كان ذلك العقاب بسبب إفسادكم فى الأرض وعدا نافذا لا مرد له ولا مفر لكم منه..

وهكذا يفسد اليهود فى الأرض، فيبعث الله عليهم عبدا من عباده أولى بأس شديد،
وأولى بطش وقوة، يستبيحون الديار، ويروحون فيها ويغدون باستهتار، ويطأون ما فيها
ومن فيها بلا تهيب، وكان ذلك وعدا لا يتخلف..

ثم بين سبحانه أنه إذا ذاق بنو إسرائيل ويلات الغلب والقهر والذل (١)،
فرجعوا إلى ربهم، وأصلحوا أحوالهم، وأفادوا من البلاء المسلط عليهم.. وحتى إذا
استعلى الفاتحون وغرتهم قوتهم، فطغوا هم الآخرون وأفسدوا فى الأرض، أدال الله
للمغلوبين من الغالبين، ومكن للمستضعفين من المستكبرين:

﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكُرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَيْنَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَنَفِيرًا﴾

فمن الواجب أن تقدروا هذه النعمة، وتحسنوا الاستفادة منها، فقد جرت سنة الله
تعالى أن يمن على الذين استضعفوا فى الأرض، ويجعلهم أئمة، ويجعلهم الوارثين، متى
استقاموا على طريق الحق، وخافوا مقامه، ونهوا أنفسهم عن الهوى..

فعليكم يا بني إسرائيل أن تذكروا نعمة الله عليكم، وأن تشكروه عليها أجزل
الشكر، وأن تؤمنوا بنبيه محمد ﷺ، الذى تعرفون صدقه كما تعرفون أبناءكم..

ثم تتكرر القصة من جديد!

وقبل أن يتم السياق القرآنى بقية النبوة الصادقة والوعد المفعول يقرر قاعدة
العمل والجزاء:

(١) فى ظلال القرآن ٤ : ٢٢١٤ بصرف .

﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَإِنْ أَسَاءْتُمْ فَالْهَآءُ﴾

القاعدة التى لا تتغير فى الدنيا وفى الآخرة، والتى تجعل عمل الإنسان كله له، بكل ثماره ونتائجه.. وتجعل الجزاء ثمرة طبيعية للعمل، منه تنتج، وبه تتكيف، وتعمل الإنسان مسئولا عنه نفسه، إن شاء أحسن إليها، وإن شاء أساء، لا يلومن إلا نفسه حين يحق عليه الجزاء..

فإذا تقررت القاعدة مضى السياق يكمل النبوءة الصادقة:

﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسْئَلُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُنَبِّرُوا مَا عُلُوًّا نَبِيرًا﴾

ويحذف السياق ما يقع من بنى إسرائيل بعد الكرة من إفساد فى الأرض، اكتفاء بذكره من قبل:

﴿لَنُفْسِدَنَّ فِي الْأَرْضِ مَرْثِيَيْنَ﴾

ويثبت ما يسلطه عليهم فى المرة الآخرة:

﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسْئَلُوا وُجُوهَكُمْ﴾

بما يرتكبونه معكم من نكال يملأ النفوس بالإساءة، حتى تفيض على الوجوه، أو بما يجبهون به وجوههم من مساة وإذلال.. ويستريحون المقدسات، ويستهنون بها:

﴿وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُنَبِّرُوا مَا عُلُوًّا نَبِيرًا﴾

يقال: تبره وتبره، وتبر الله عمل الكافرين: أى أهلكه وأبطله^(١)، قال تعالى:

﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ مُتَّبَرُّوْنَ مَا هُمْ فِيهِ وَبَطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾^(٢)

وقال جل شأنه:

﴿وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا﴾^(٣)

وفى قوله: ﴿وَلِيُنَبِّرُوا مَا عُلُوًّا نَبِيرًا﴾ يقول ابن جرير: وليدمروا ما

(١) معجم مقاييس اللغة، ولسان العرب، والمفردات، والمعجم الوسيط (تبر).

(٢) الأعراف: ١٣٩.

(٣) نوح: ٢٨.

غلبوا عليه من بلادكم تدميرا . يقال منه : دَمَرَتِ البلد : إذا خَرَّبْتَهُ وأَهْلَكَتْ أَهْلَهُ . (١) .
وهى صورة للدمار الشامل الكامل الذى يطغى على كل شىء والذى لا يُبْقَى
على شىء ..

وكان من ضروب إفسادهم فى الأرض فى هذه المرة الثانية، قتلهم زكريا ويحيى
عليهما السلام - كما تنطق آثارهم - ومحاولتهم قتل عيسى عليه السلام، وعدم تناهيهم
عن منكر فعلوه، واستحلالهم لحارم الله .. إلى غير ذلك من الرذائل التى فشت فيهم،
واشتهروا بها فى كل زمان ومكان، وفى كل جيل وقبيل ..

ثم بين الحق تبارك وتعالى أن هذا الدمار الذى حل بهم، بسبب إفسادهم فى الأرض
مرتين، قد يكون طريقا لرحمتهم، وسببا فى توبتهم وإنابتهم ، إن هم فتحوا قلوبهم للحق،
واعتبروا بالحوادث الماضية وفهموا عن الحق سنته التى لا تتخلف ، وهى أن الإحسان
يؤدى إلى السعادة ، والإفساد يؤدى إلى الهلاك :

﴿ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمۥ ﴾

إن أفدتم منه عبرة .

فأما إذا عاد بنو إسرائيل إلى الإفساد فى الأرض فالجزاء حاضرا والسنة ماضية :

﴿ وَإِنْ عُدْتُمْ عُدْنَا ﴾

ولقد عادوا إلى الإفساد، حيث كذبوا الرسول الحبيب المحبوب ﷺ - كما أسلفنا -
وكتموا ما جاء بشأنه فى كتبهم، وهموا بقتله أكثر من مرة، وقدموا له السم، فكانت
المواجهة .. وكانت المعارك التى فصلنا القول فيها .. حتى كان إجلاؤهم من الجزيرة كلها ..

ثم عادوا إلى الإفساد ، فسلط الله عليهم آخرين ، حتى كان العصر الحديث - كما
سيأتى - حيث اغتصبوا الأرض ، وقتلوا النساء والأطفال، وعاثوا فى فلسطين فسادا ..
وليسلطن الله عليهم من يسومهم سوء العذاب تصديقا لوعد الله القاطع، وفاقا لسنته التى
لا تتخلف .. وقد بدت المقدمات للأىدى المتوضئة التى تستحق نصر الله .. وإن غدا لناظره
قريب :

(١) تفسير الطبرى : ١٥ : ٤٣ .

﴿وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ لِيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٦٦﴾ وَقَطَّعْنَهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا ﴿٦٧﴾﴾ (١)

ثم بين سبحانه عقوبتهم ومن على شاكلتهم في الآخرة:

﴿وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا ﴿٦٨﴾﴾

مهادا وبساطا لهم، أو سجننا حاصرا لهم لارجاء لهم في الخلاص منه، بسبب كفرهم وبغيهم، ففي الدنيا لهم ما تقدم وصفه من الإهلاك والتدمير، وفي الآخرة لهم عذاب السعير، المحيط بهم من جميع الجهات، جزاء فسادهم وإفسادهم.. تحصرهم فلا يفلت منهم أحد، وتتسع لهم فلا يند عنها أحد.

أشهر أقوال المفسرين:

ومع أنه لم يصح عن الرسول الحبيب الم محبوب ﷺ حديث في بيان المراد بالعباد الذين سلطهم الحق تبارك وتعالى على بنى إسرائيل في مرتى هذا الإفساد..

ومع أن إفساد بنى إسرائيل قد حدث كثيرا، بحيث لا يحصى ولا يعد - كما أسلفنا - وأن المقصود من الآيات التى معنا إنما هو إظهار مرتين حدث فيهما الإفساد منهم.. وأن نفس الآيات تدل على أن التسليط عليهم مستمر إلى يوم القيامة، بسبب كفرهم وفسوقهم:

﴿وَإِنْ عُدْتُمْ عَدْنَا ﴿٦٩﴾﴾

﴿وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ لِيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ ﴿٦٨﴾﴾

ومع أن أقوال المؤرخين والمفسرين قد اختلفت فى المقصود من مرتى إفسادهم، وفيمن سلطه الله عليهم، على حسب ما يترأى لكل قائل فيما حدث من بنى إسرائيل من فساد، وما تبعه من عقوبات..

ومع أن المقصود من سياق الآيات إنما هو بيان سنة من سنن الله فى الأمم، حال صلاحها وفسادها.. وأن القرآن الكريم قد ساق هذا المعنى بأحكام عبارة، حين قرر القاعدة التى لا تتغير فى الدنيا والآخرة، والتى تجعل عمل الإنسان كله له، بكل ثماره

(١) الأعراف: ١٦٧ - ١٦٨.

ونتائجه.. وتجعل الجزاء ثمرة طبيعية للعمل، منه تنتج، وبه تتكيف، وتجعل الإنسان مسئولا عن نفسه إن شاء أحسن إليها، وإن شاء أساء لا يلومن إلا نفسه حين يحق عليه الجزاء:

﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾

يعجبني قول ابن كثير بعد أن ذكر بعض الأقوال وعلق عليها: (١).

وفيما قصص الله علينا في كتابه غنية عما سواه من بقية الكتب قبله ولم يحوجنا الله ولا رسوله إليهم، وقد أخبر الله عنهم أنهم لما طغوا وبغوا سلط الله عليهم عدوهم، فاستباح بيضتهم، وسلك خلال بيوتهم وأذلهم وقهرهم، جزاء وفاقا، وما ربك بظلام للعبيد، فإنهم كانوا قد تمردوا وقتلوا خلقا من الأنبياء والعلماء.

ويعجبني ما رواه ابن جرير وابن أبي حاتم عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى:

﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا أُولَى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا﴾

قال: بعث الله عليهم في المرة الأولى جالوت، فجاس خلال ديارهم، وضرب عليهم الخراج والذل، فسألوا الله تعالى أن يبعث لهم ملكا يقاتلون في سبيل الله، فبعث الله طالوت، فنصر الله بني إسرائيل، وقتل جالوت بيد داود، ورجع إلى بني إسرائيل ملكهم، فلما أفسدوا بعث الله عليهم في المرة الآخرة بختنصر، فخرّب المساجد، وتبرّما علوا تبيرا، قال الله تعالى بعد الأولى والآخرة:

﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدتُمْ عَلَيْنَا﴾

قال: فعادوا فسلط الله عليهم المؤمنين (٢).

وفي رواية لهما - أيضا - عن قتادة قال:

أما المرة الأولى فسلط الله عليهم جالوت، حتى بعث طالوت ومعه داود، ثم رد

(١) تفسير ابن كثير: ٣: ٢٥.

(٢) بنو إسرائيل في القرآن والسنة: ٢: ٣٦٢ وما بعدها، نقلا عن تفسير: الدر المنثور: ٤: ١٦٣، انظر: تفسير

الطبري: ١٥: ٢٨.

الكرة لبنى إسرائيل:

﴿وَجَعَلْنٰكُمْ أَكْثَرَفِيْرًا﴾

أى عددا، وذلك فى زمان داود:

﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ﴾

آخر العقوبتين:

﴿لِيَسْتَوُواْ وُجُوْهُكُمْ﴾

قال : ليقبحوا وجوهكم

﴿وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوْهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾

قال: كما دخل عدوهم قبل ذلك:

﴿وَلِيَنْبُرُوا مَا عَلَوْاْ نَبِيْرًا﴾

قال: يدمروا ما علوا تدميرا، فبعث الله عليهم فى الآخرة بختنصر البابلى المجوسى، أبغض خلق الله إليه، فسبى وقتل وضرب بيت المقدس وسامهم سوء العذاب (١).

وهذا رأى الذى نختاره - كما يقول الدكتور محمد سيد طنطاوى - (٢) نستند فى اختيارنا له إلى أمور، أهمها ما يلى:

أولا: ذكر القرآن الكريم عند عرضه لقصة القتال الذى دار بين طالوت قائد بنى إسرائيل وبين جالوت قائد أعدائهم ما يدل على أن بنى إسرائيل كانوا قبل ذلك مقهورين مهزومين من أعدائهم، ويتجلى هذا المعنى فى قوله تعالى :

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَكِ مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيِّنَا لِمَ بَعَثْتَ لَنَا مَلِكًا
تَقُوْلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا
وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَاءِنَا ۖ﴾ (٣).

(١) المراجع السابقة .

(٢) بنو إسرائيل فى القرآن والسنة ٣٦٦:٢ وما بعدها بتصرف.

(٣) البقرة : ٢٤٦.

فقولهم كما حكى القرآن عنهم:

﴿وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا^١﴾

يدل دلالة قوية على أنهم قبل قتالهم جالوت كانوا قد هزموا على أيدي أعدائهم هزائم منكرة، اضطروا معها إلى الخروج من ديارهم ومفارقة أبنائهم.

ثانيا : صرح بعض المفسرين بأن الأعداء الذين أخرجوا بنى إسرائيل من ديارهم وأبنائهم هم قوم جالوت، وأنهم كانوا قد غلبوا بنى إسرائيل، وقتلوا عددا كبيرا منهم، وذلك قبل أن تعود الكرة لبنى إسرائيل عليهم بقيادة طالوت.

قال الألوسى: وكان سبب طلب بنى إسرائيل من نبيهم أن يبعث لهم ملكا ليقاتلوا فى سبيل الله، أن أعداءهم هم العمالقة قوم جالوت، ظهروا عليهم، وتغلبوا على كثير من بلادهم، وضربوا عليهم الجزية^(١).

ثالثا: قوله تعالى:

﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ^٢﴾

صريح فى أن الله تعالى نصر بنى إسرائيل بعد أن تابوا وأنابوا، على أعدائهم الذين قهروهم وأذلوهم، وجاسوا خلال ديارهم.

وهذا المعنى ينطبق على ما قصه القرآن الكريم علينا من أن بنى إسرائيل بقيادة طالوت قد انتصروا على جالوت وجنوده، ومن أن داود قد قتل جالوت، قال تعالى :

﴿وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ٥ فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ^(٢)﴾

ولقد كان هذا النصر نعمة كبرى لبنى إسرائيل، لأنه آتاهم بعد أن أخرجوا من ديارهم وأبنائهم، وبعد أن اعترضوا على اختيار طالوت ملكا عليهم، وبعد أن قاتل مع

(١) المرجع السابق : نقلا عن تفسير الألوسى : ١٤١: ٢ بتصرف.

(٢) البقرة : ٢٥٠ - ٢٥١.

طالوت عدد قليل منهم: ولا شك أن النصر فى هذه الحالة أَدعى لطاعة الله تعالى وشكره على آلائه.

رابعاً: قوله تعالى:

﴿وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرِ نَفِيرًا﴾

أكثر ما يكون انطباقاً على عهد حكم داود وسليمان عليهما السلام لبنى إسرائيل، ففى هذا العهد الذى دام زهاء ثمانين سنة، ازدهرت مملكتهم، وعز سلطانهم، وأمدهم الله خلالهم بالأموال الوفيرة، وبالبنين الكثيرة، وجعلهم أكثر من أعدائهم قوة وعدداً!

أما بعد هذا العصر الذهبى - كما أسلفنا - فقد انقسمت مملكتهم إلى قسمين: مملكة يهوذا، ومملكة إسرائيل، واستمرت فى صراع ونزاع وتدهور، حتى قضى الآشوريون على مملكة إسرائيل سنة ٧٢١ ق.م وقضى بختنصر على مملكة يهوذا سنة ٥٨٨ ق.م. وتاريخهم بعد ذلك ما هو إلا سلسلة من المآسى والنكبات والعقوبات التى حلت بهم من الشعوب المختلفة، فى شتى مراحل التاريخ، بسبب فسادهم وإفسادهم فى الأرض ..

أما المراد بالعباد الذين سلطهم الله على بنى إسرائيل بعد إفسادهم الثانى فى الأرض، فىرى جمهور المفسرين أنهم البابليون بقيادة بختنصر .. الذى غزاهم ثلاث مرات :

الأولى سنة ٦٠٦ ق.م.

والثانية سنة ٥٩٩ ق.م.

والثالثة سنة ٥٨٨ ق.م وفى هذه المرة الثالثة قتل الآلاف منهم، وهدم هيكلهم، وساق الأحياء أسارى إلى بابل ..

وهذا رأى الذى قاله جمهور المفسرين ليس ببعيد، لما ذكرنا من تنكيه بهم .. إلا أننا نؤثر على هذا رأى أن يكون المسلط عليهم بعد إفسادهم الثانى، هم الرومان بقيادة تيطس لأمر، أهمها:

أولاً: الذى يتتبع التاريخ يرى أن رذائل بنى إسرائيل فى الفترة التى سبقت تنكيل الرومان بهم أشد وأكبر من رذائلهم التى سبقت بختنصر لهم، وبالتالى كان تسليط الرومان عليهم أنكى وأقسى، فهم - على سبيل المثال - قبيل بطش الرومان بهم بقيادة تيطس كانوا قد قتلوا من أنبياء الله زكريا ويحيى عليهما السلام - كما أسلفنا - وحاولوا

قتل عيسى عليه السلام، واتخذوا لذلك كافة السبل، ولكنهم لم يفلحوا لأسباب خارجة عن إرادتهم، وكانت الرذائل والمنكرات قد فشت فيهم، مما أدى إلى لعنهم بسبب ذلك:

﴿لَعَنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا لَا يَتَنَبَّهُونَ عَنْ مَنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾﴾^(١)

فكانت ضربات الرومان القاصمة لهم، والهادمة لكيانهم، عقابا مناسبا من الحق تبارك وتعالى لهم نتيجة عصيانهم لأوامره، واعتدائهم على خلقه، وعدم تناهيه عن منكر فعلوه.

ثانيا: المفسرون يذكرون أن تسلط الله عليهم بختنصر في المرة الثانية من مرتى إفسادهم، كان من أسبابه قتلهم ليحيى عليه السلام.. وبختنصر كان سابقا على يحيى عليه السلام في الزمن بأكثر من خمسة قرون، والذين كانت أورشليم تحت سيطرتهم في عهد يحيى عليه السلام هم الرومان، وقد قتل بنو إسرائيل زكريا ويحيى عليهما السلام في عهدهم كذلك.

وإذا فما ذكره المفسرون من أن الله تعالى سلط عليهم بختنصر بعد إفسادهم الثاني بسبب قتلهم يحيى عليه السلام ينطبق على عهد الرومان، لأنه كان معاصرا لهم.. ولا ينطبق على عهد بختنصر، لأنه قبل يحيى عليه السلام بأكثر من خمسة قرون كما ذكرنا.

ثالثا: ضربات الرومان في ذاتها كانت أشد وأقسى على بنى إسرائيل من ضربات بختنصر لهم، فمثلا عدد القتلى من اليهود على يد الرومان بقيادة تيطس بلغ مليون قتيل، وبلغ عد الأسرى نحو مائة ألف أسير – كما يقول المؤرخون –^(٢) بينما عدد القتلى والأسرى منهم على يد بختنصر كان أقل من هذا العدد بكثير، ولقد وصف المؤرخون النكبة التي أوقعها تيطس باليهود بأوصاف تفوق بكثير ما وصفوا به ما أوقعه بختنصر بهم. يقول أحد الكتاب واصفا ما حل باليهود على يد تيطس:

كان تيطس في الثلاثين من عمره، حينما وقف سنة ٧٠م أمام أسوار أورشليم على رأس جيشه. وبدأت المدينة تعاني أهوال الحصار، وتقاسى في الوقت نفسه هولا أكبر، هو

(١) المائدة : ٧٨ – ٧٩ .

(٢) تاريخ الإسرائيليين : ٧٦ .

هول الحرب الأهلية، فقد احتل المتعصبون والمتطرفون ورجال العصابات من اليهود بعض أحياء المدينة وأخذوا يشنون هجمات وحشية على أحيائها الأخرى، حتى جرت الدماء في الطرقات، وسرت المجاعة اليهودية، فكانوا يخرجون على أيديهم وأرجلهم كالأشباح الذابلة، تسبقهم الشائعات بأنهم قد ابتلعوا ذهبهم في بطونهم، فكان الجنود يفتحون بطونهم بعد قتلهم بحثاً عن الذهب.. وبعد أن اقتحم تيطس وجنده المدينة أصدر أمره إليهم أن احرقوا وانهبوا واقتلوا، فأموال اليهود وأعراضهم حلال لكم.. وقد أحرق الرومان معبد اليهود ودمروه، وتحققت نبوءة المسيح عليه السلام حين قال:

(ستلقى هذه الأرض يؤسا وعنتا وسيحل الغضب على أهلها، وسيسقطون صرعى على حد السيف، ويسيرون عبيداً إلى كل مصر، وستطأ أورشليم الأقدام)^(١).

رابعا : النكبة التي أنزلها الرومان بقيادة تيطس باليهود - من حيث آثارها - أشنع بكثير من النكبة التي أنزلها بهم بختنصر، لأنهم بعد تنكيل بختنصر بهم وسجنهم في أسره زهاء خمسين سنة، عادوا إلى أورشليم مرة أخرى ، بمساعدة قورش ملك الفرس وبدأوا يتكاثرون من جديد.. أما بعد تنكيل الرومان بهم، فلم تقم لهم قائمة، ومزقوا في الأرض شر ممزق، وانقطع دابرهم كأمة، وقضى على كيان مجتمعهم.. ولقد وصل بالرومان أنهم في سنة ١٣٥م دمروا أورشليم تدميراً تاماً، وحرثوا أرضها، وخلطوها بالملح، حتى لا ينبت بها الزرع، وأقام الإمبراطور الروماني (أدريانوس) مكان الهيكل اليهودي هيكلاً وثنيا باسم الإله المشتري، إذ لم تكن الكنيسة قد اعترفت بها بعد، وبقي هذا الهيكل إلى أن قامت المسيحية في أورشليم، فدمره المسيحيون من أساسه في عهد الإمبراطور قسطنطين، وقد صرح بهذا المعنى صاحب (تاريخ الإسرائيليين) حيث قال بعد وصفه ما أوقعه (تيطس) بهم:

إلى هنا ينتهى تاريخ الإسرائيليين كأمة، فإنهم بعد خراب أورشليم - كما تقدم - تفرقوا في جميع بلاد الله، وتاريخهم فيما بقى من العصور ملحق بتاريخ الممالك التي توطنوها أو نزلوا فيها..^(٢).

(١) تدمير أورشليم : مجلة الأزهر : المجلد ٢١ : ٤٧ : عمر طلعت زهران.

(٢) تاريخ الإسرائيليين : ٧٧ .

وإذاً فما أنزله (تيطس) ومن بعده من الرومان باليهود يعتبر - فى رأينا - أشد وأقسى، فى ذاته وفى آثاره، مما أنزله بختنصر بهم، بل لعلنا لا نتجاوز الحقيقة إذا قلنا : إن ضربة (تيطس) الرومانى هى أكبر عقوبة حلت بهم منذ موت سليمان عليه السلام حتى أواخر القرن الأول الميلادى.

ولهذه الأسباب نرجح أن يكون المراد بالعباد الذين سلطهم الله على بنى إسرائيل عقب إفسادهم الثانى فى الأرض هم الرومان بقيادة (تيطس).

ومع ترجيحنا بأن المسلط عليهم فى المرة الأولى (جالوت) وجنوده.. وفى المرة الثانية الرومان بقيادة (تيطس)..

مع ترجيحنا لذلك، إلا أننا نعود فنكرر ما قلنا سابقا، من أن المقصود من الآيات الكريمة إنما هو بيان سنة من سنن الله الكونية فى الأمم حال صلاحها وفسادها.

مقياس النصر والهزيمة:

نقول هذا لأن الأمة التى تطيع خالقها، وتباشر الأسباب السليمة فى الوصول إلى حقوقها، وتتبع الطريق المستقيم فى سلوكها، ينصرها الله فى دنياها، ويسعدها فى آخرتها، قال تعالى :

﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهُدُ﴾ (١)

إن وعد الله قاطع.. وفى الوقت ذاته يشاهد الناس أن الرسل منهم من يقتل - كما فى تاريخ بنى إسرائيل - ومنهم من يهاجر من أرضه وقومه مكذبا مطرودا (٢)، وأن المؤمنين فيهم من يسام العذاب، وفيهم من يلقي فى الأخدود، وفيهم من يستشهد، وفيهم من يعيش فى كرب وشدة واضطهاد كما نرى ونشاهد ما يجرى فى الأرض المحتلة - فأين وعد الله لهم بالنصر فى الحياة الدنيا؟!

ويدخل الشيطان إلى النفوس من هذا المدخل، ويفعل بها الأفاعيل!

ولكن الناس يقيسون بظواهر الأمور.. ويغفلون عن قيم كثيرة فى التقدير..

(١) غافر : ٥١.

(٢) فى ظلال القرآن ٥ : ٣٠٨٥ وما بعدها بتصرف.

إن الناس يقيسون بفترة قصيرة من الزمان، وحيز محدود من المكان وهي مقاييس بشرية صغيرة.. فأما المقياس الشامل فيعرض القضية في الرقعة الفسيحة من الزمان والمكان، ولا يضع الحدود بين عصر وعصر ولا بين مكان ومكان.. ولو نظرنا إلى قضية الاعتقاد والإيمان في هذا المجال لرأيناها تنتصر من غير شك.. وانتصار قضية الاعتقاد هو انتصار أصحابها. فليس لأصحاب هذه القضية وجود ذاتي خارج وجودها. وأول ما يطلبه منهم الإيمان أن يفنوا فيها ويختفوا هم ويبرزوها!

والناس كذلك يقصرون معنى النصر على صورة معينة معهودة لهم قريبة الرؤية لأعينهم، ولكن صور النصر شتى.. وقد يلتبس بعضها بصور الهزيمة عند النظرة القصيرة – كما عرفنا في مواجهة الجيش الإسلامي لليهود في خيبر – ولكن النتيجة كانت نصر الجيش الإسلامي ..

ولا ننسى أن نذكر موقف إبراهيم عليه السلام وهو يلقي في النار فلا يرجع عن عقيدته ولا عن الدعوة إليها.. أكان في موقف نصر أم في موقف هزيمة؟!

ما من شك – في منطق العقيدة – أنه كان في قمة النصر وهو يلقي في النار. كما أنه انتصر مرة أخرى وهو ينجو من النار.. هذه صورة وتلك صورة.. وهما في الظاهر بعيد من بعيد. فأما في الحقيقة فهما قريب من قريب!

وكم من شهيد ما كان يملك أن ينصر عقيدته ودعوته، ولو عاش ألف عام، كما نصرها باستشهاده.. وما كان يملك أن يودع القلوب من المعاني الكبيرة، ويحفز الألوف إلى الأعمال الكبيرة، بخطبة مثل خطبته الأخيرة التي يكتبها بدمه، فتبقى حافزا محركا للأبناء والأحفاد. وربما كانت حافزا محركا لخطى التاريخ كله مدى أجيال ..

ما النصر؟

وما الهزيمة؟

إننا في حاجة إلى أن نراجع ما استقر في تقديرنا من الصور.. ومن القيم.. قبل أن نسأل: أين وعد الله بالنصر في الحياة الدنيا؟!

على أن هناك حالات كثيرة يتم فيها النصر في صورته الظاهرة القريبة.. ذلك حين تتصل هذه الصورة الظاهرة القريبة بصورة باقية ثابتة.. لقد انتصر الرسول الحبيب المحبوب

ﷺ على اليهود وغيرهم فى حياته - كما أسلفنا - لأن هذا النصر يرتبط بمعنى إقامة هذه العقيدة بحقيقتها الكاملة فى الأرض. فهذه العقيدة لا يتم تمامها إلا بأن تهيمن على حياة الجماعة البشرية وتصرفها جميعا.. من القلب المفرد إلى الدولة الحاكمة.. فشاء الله أن ينتصر صاحب العقيدة فى حياته، بعد تلك المعارك الضارية، والمواجهات العسكرية، التى أبصرنا طرفا منها فى مواجهة اليهود، وصبر وصابر ورابط، حتى كان النصر للإسلام، وكانت الهزيمة لأعدائه، وذلك ليحقق هذه العقيدة فى صورتها الكاملة، ويترك هذه الحقيقة مقررة فى وقائع تاريخية محددة مشهودة ومن ثم اتصلت صورة النصر القرية بصورة أخرى بعيدة، واتحدت الصورة الظاهرة مع الصورة الحقيقية، وفق تقدير الله وترتيبه.

وهذا الذى نكتبه ونقوله شىء، والذى يجرى فى الأرض المحتلة من أطفال الحجارة ومواجهة المؤمنين والشيوخ لهذا العدوان اليهودى شىء آخر..
وشتان شتان ما بينهما..

الأول : فكر ونظر ودراسة وتحليل، لا يخرج عن ذلك، مهما كان الصدق فى القول والإخلاص فى النية..

والثانى : جهاد وتطبيق ودفاع ومواجهة للباطل، وإن كان الثمن هو الروح ..
أترانا بعد هذا نساوى أطفال الحجارة، ناهيك عن المؤمنين والشيوخ هناك؟
إننا نتطلع إليهم من بعيد.. وعسى أن يكتب الله لنا أن نشارك ونتبع القول بالعمل، ويكتب الله لنا الشهادة.. آمين..

وهنا ينقلب هذا الذى نكتبه من عبارات وكلمات وحروف إلى نور على نور..
ترى أى معلّم كان.. وأى إنسان.. هذا المترع عظمة وأمانة وسموا.. ألا إن الذين بهرتهم عظمتهم لمعذورون.. وإن الذين وقفوا أمام كل موقف من تلك التى عرضنا لها فى مواجهة اليهود وافتدوه بأرواحهم.. وصلوا وسلموا عليه وساروا على نهجه لهم الراحون؟

إنه الرسول القائد الحبيب المحبوب ﷺ..

الرسول الذى علمنا كيف نتصر على اليهود ومن على شاكلتهم.. فهل آن لنا أن تجد

هذه المعالم طريقها إلى كليتنا الحربية حتى ينصرنا الله على اليهود؟!

اللهم وفق.

وهناك اعتباراً آخر تحسن مراعاته كذلك وهو أنه لا بد أن توجد حقيقة الإيمان في القلوب التي ينطبق هذا الوعد عليها.. وحقيقة الإيمان كثيراً ما يتجاوز الناس فيها. وهي لا توجد إلا حين يخلو القلب من الشرك في كل صوره وأشكاله. وإن هنالك لأشكالا من الشرك خفية لا يخلص منها القلب إلا حين يتجه لله وحده، ويتوكل عليه وحده ويطمئن إلى قضاء الله فيه، وقدره عليه، ويحس أن الله وحده هو الذي يصرفه فلا خيرة له إلا ما اختاره الله.. ويتلقى هذا بالطمأنينة والثقة والرضى والقبول.. وحين يصل إلى هذه الدرجة فلن يقدم بين يدي الله، لن يقترح عليه صورة معينة من صور النصر أو صور الخير، فسيكل هذا كله لله.. ويلتزم.. ويتلقى كل ما يصيبه على أنه الخير..

وذلك معنى من معاني النصر..

النصر على الذات والشهوات..

وهو النصر الداخلي الذي لا يتم نصر خارجي بدونه بحال من الأحوال..

وقد أبصرنا هذا في مواجهة الجيش الإسلامي بعدده القليل لهذا الجيش اليهودي بعدده الكثير وعدده الوفيرة.. حيث كان النصر في قلوب المجاهدين الذين لم يشهد التاريخ الإنسانى بطوله وعرضه، من قوة الإيمان وحسن التوكل ما شهده في هؤلاء المجاهدين الذين جاءوا الحياة في أوانهم المرتقب، ويومهم الموعود.. حين كانت تهيب بمن يضع عن البشرية الراحة أغلالها، ويحرر وجودها ومصيرها من إفساد اليهود ومن على شاكلتهم..

ومن ثم شادوا بالقرآن وكلماته عالماً إسلامياً مثالياً يهتز نضرة.. ويتألق عظمة.. ويتفوق اقتداراً.. وفي الوقت ذاته كانت الهزيمة في قلوب اليهود مع كثرة عددهم ووفرة عدتهم..

فهل نبصر نحن في واقعنا الإسلامي الآن مقياس النصر والهزيمة ؟

إن الأمة التي تتكبر في الأرض، وتستحب العمى على الهدى وتصمم آذانها عن سماع كلمة الحق والعدل، وتعتدى على من يحاول إرشادها وتقويمها.. ثم بعد ذلك كله

لا تأخذ بأسباب القوة فى حياتها، ولا يقدر أفرادها مسئوليتهم كما يجب وينبغى.. مصيرها إلى الاضمحلال والهوان:

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَالٍ﴾ (١)

﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَ عَلَيْهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (٢)

إنه من جانب يقرر عدل الله عز وجل فى معاملة العباد (٣)، فلا يسلبهم نعمة وهبهم إياها إلا بعد أن يغيروا نواياهم، ويبدلوا سلوكهم ويقبلوا أوضاعهم، ويستحقوا أن يغير ما بهم مما أعطاهم إياه للابتلاء والاختبار من النعمة التى لم يقدروها ولم يشكروها.. وهذا هو واقعنا كأمة أمام اليهود الذين تشهد الأرض المغتصبة وما حولها مفسادهم وكأننا فى عداد الموتى !

ومن الجانب الثانى يكرم هذا المخلوق الإنسانى أكبر تكريم، حين يجعل هذا القدر ينفذ ويجرى عن طريق حركة هذا الإنسان وعمله ويجعل التغيير فى حياة الناس مبنيا على التغير الواقعى فى قلوبهم ونواياهم وسلوكهم وعملهم، وأوضاعهم التى يختارونها لأنفسهم..

فهل آن لنا أن ندرك قيمة هذا التكريم ونرتفع إلى مستوى المسؤولية الذى يفرضه علينا الواجب تجاه الأرض المحتلة؟!

ومن الجانب الثالث يلقى تبعة عظيمة تقابل هذا التكريم على الإنسان.. فهو يملك أن يستبقى نعمة الله عليه، ويملك أن يزداد عليها إذا هو عرف فشكر، كما يملك أن يزيل هذه النعمة عنه إذا هو أنكر وبطر، وانحرفت نواياه فانحرفت خطاه.

وهذه الحقيقة الكبيرة تمثل جانباً من جوانب التصور الإسلامى لحقيقة الإنسان، وعلاقته القدريّة فى هذا الوجود، وعلاقته هو بهذا الكون وما يجرى فيه..

(٢) الأنفال : ٥٣.

(١) الرعد : ١١.

(٣) فى ظلال القرآن : ٣ : ٥٣٥ بتصرف.

ومن هذا الجانب يتبين تقدير هذا الإنسان فى ميزان الله، وتكريمه بهذا التقدير، كما تتبين فاعلية الإنسان فى مصير نفسه وفى مصير الأحداث من حوله، فيبدو عنصرا إيجابيا فى صياغة هذا المصير - بإذن الله وقدره الذى يجرى من خلال حركته وعمله ونيته وسلوكه - وتتفى عنه تلك السلبية الدليلة التى تفرضها عليه المذاهب المادية، التى تصورها عنصرا سلبيا إزاء الحتميات الجبارة.. حتمية الاقتصاد. وحتمية التاريخ وحتمية التطور.. إلى آخر الحتميات التى ليس للكائن الإنسانى إزاءها حول ولا قوة، ولا يملك إلا الخضوع المطلق لما تفرضه عليه وهو ضائع خانع!

كذلك تصور هذه الحقيقة ذلك التلازم بين العمل والجزاء فى حياة هذا الكائن ونشاطه، وتصور عدل الحق المطلق، فى جعل التلازم سنة من سننه يجرى بها القدر، ولا يظلم فيها عبد من العباد..

فهل آن لنا أن ندرك هذا التلازم بين العمل والجزاء، ونحن نرجو أن ينصرنا الله على اليهود؟!!

إن هذا يدفعنا حتماً إلى بذل أقصى الطاقات السلوكية والحربية للمواجهة الفاصلة التى يفرضها علينا الدين القيم حتى تتحرر الأرض المغتصبة!
إنها الحقيقة تلقى علينا تبعة ثقيلة جدا، حيث قضت مشيئة الله وجرت سنته، أن تترتب النتيجة على المقدمات..

وها نحن نبصر مقدمات تبشر بالخير للمعركة الفاصلة بيننا وبين اليهود..

رأى جديد:

ونعود إلى تلك الآيات القرآنية اتى نتحدث عن مرتى إفساد بنى إسرائيل ..
نعود لنجد أقوال المفسرين تتفق على أمرين:
الأول: أن مرتى إفساد بنى إسرائيل بنى إسرائيل فى لأرض كانتا قبل الإسلام.
الثانى: أن العباد الذين سلطهم الله عليهم ليدلوهم عقب إفسادهم الأول والثانى كانوا - أيضا - قبل الإسلام..
وخلاف المفسرين إنما هو فيما سوى هذين الأمرين.

وسبق أن ذكرنا أشهر أقوال المفسرين فى ذلك .

ولكن رأيا جديدا فى تفسير الآيات القرآنية للشيخ عبد المعز عبد الستار^(١) ، خالف فيه إجماع المفسرين ، نعرضه هنا بإيجاز ، حيث ذهب إلى أن هاتين المرتين لم تكونا قبل البعثة ، وإنما هما فى الإسلام ، وأن المرة الأولى كانت على عهد رسول الله ﷺ وأصحابه ، والآخرة هى التى نحن فيها الآن ..

يقول : أطبق المفسرون على أن ذلك الإفساد وقع منهم مرتين فى الماضى قبل الإسلام أيام أن علوا وغلوا وقتلوا الأنبياء وكذبوا المرسلين وإن اختلفت أقوالهم فى ذلك اختلافا كبيرا فى تحديد نوع إفسادهم الأول وزمنه ، والمسلط عليهم ، وكذلك فى الثانى .
والذى يعيننى أن أكشف عنه وأن أثبتة فى هذا أمران :

الأول : أن هاتين المرتين لم تكونا قبل البعثة ، وإنما هما فى الإسلام .

الثانى : أن المرة الأولى كانت على عهد رسول الله ﷺ وأصحابه ، والآخرة هى التى نحن فيها الآن ، والتى سنسوء فيها وجوههم ، وندخل المسجد كما دخلناه .. إن شاء الله رب العالمين .

وأبادر فأطمئن الذين قد يهولهم هذا التخريج ، فيرونه مخالفا للمأثور أو المعروف من أقوال المفسرين ، إلى أنه لم يصح عن رسول الله ﷺ فيه شىء ، وإلى أن المأثور عن بعض الصحابة مضطرب لا تقوم به حجة وإلى أن الأمر لا يعدو أن يكون تاريخا أو تأويلا ، لا يقال فى مخالفته إنه تحريف للكلم عن مواضعه .

وأعود لإثبات الأمر الأول فأقول :

الحديث عن الإسراء تبشير وإنباء بمستقبل : الثابت أن الإسراء وقع لرسول الله ﷺ وهو بمكة قبل الهجرة ، فإن سورة الإسراء أنزلت كذلك ، فهى مكة ، إلا آيات معلومات ، وقد كان المسلمون يومئذ بمكة مستضعفين فى الأرض ، يخافون أن يتخطفهم الناس ، فلم يكن لبنى إسرائيل يومئذ صلة ولا شأن مع المسلمين ، ولم يكن لهم أثر بمكة ، ولا خطر يقتضى أن يتحدث القرآن عنهم فى سورة مكة بمثل هذا التفصيل .

فما السر أن يخبر الله عن إسرائه برسوله ﷺ فى آية واحدة أول السورة ، ينقطع

(١) بنو إسرائيل فى القرآن والسنة : ٢ : ٣٧٣ وما بعدها بتصرف ، نقلا عن مجلة الأزهر المجلد ٢٨ : ٦٨٩ تحت عنوان : سورة الإسراء تقص نهاية إسرائيل .

بعدها الحديث عن الإسراء جملة إلى آخرها، ويبدأ الحديث عن بنى إسرائيل وما أنعم عليهم وعهد إليهم، وعن دور خطير يكون لهم؟

وما وجه المناسبة بين هذه الآيات والأحداث؟

السر فى ذلك أن الله عز وجل يخبر عن الإسراء بمقدار ما يبشر به نبيه، والمسلمين المضطهدين بمكة، المستضعفين فى الأرض، بأن أمرهم سيمتد ويعلو وشيكا، حتى تدين لهم عاصمة الشرك، وعاصمة أهل الكتاب، فهو سبحانه يقول:

﴿سُبْحَنَ الَّذِى أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ ۚ لَيْلًا مِّنَ اللَّيْلِ مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِى بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِّنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ۝﴾ (١)

لم يقل من مكة إلى بيت المقدس كما هو الحال، إذ الكعبة يومئذ لم تكن مسجدا، وإنما كانت بيتا تقوم حوله الأصنام، ويطوف به العائدون والمشركون، ولم يكن هيكل دولة داود وسليمان فى دولة يهوذا وإسرائيل مسجدا، وإنما كان بيتا يأكل بنو إسرائيل من حوله السحت ويعيثون الفساد.

ولكن الله عز وجل أخبر عن هذا الإسراء بأنه انتقال من مسجد إلى مسجد، تبشيرا للمسلمين بأن أمرهم سيعلو ويتم، بحيث يصبح البلد الذى استضعفوا فيه وهانوا، وحلت حرمانهم فيه مسجدا حراما ودار أمن وإسلام، ليس هذا فحسب، بل سيمتد نفوذه وضياؤه، بحيث يصل عاصمة أهل الكتاب، ويصبح هيكل داود وسليمان لهم مسجدا أقصى كذلك، فهم أولى به:

﴿إِنَّا وَلِيُّهَا وَإِلَّا الْمُتَّقُونَ ۝﴾ (٢)

وهنا يتضح الجواب، ويظهر وجه المناسبة بين قوله تعالى:

﴿وَأَنبَأْنَا مُوسَى الْكِتَابَ . . . وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ فِي الْكِتَابِ

وبين آية الإسراء الأولى .

فقد اتصل الحديث، وإن انتقل الكلام من الإنباء بمصير الهيكل إلى الإنباء عن مصير أهله.

(٢) الأنفال : ٣٤ .

(١) الإسراء : ١ .

سورة بنى إسرائيل :

وبحق ما سميت سورة الإسراء سورة بنى إسرائيل، فإنها أحق بهذه التسمية وأجدر؛ لأنها لم تتحدث عن الإسراء إلا بمقدار ما بشرت بصيرورة الكعبة والهيكل للمسلمين حرما ومسجدا، ثم اتصل الحديث ببني إسرائيل وخطبهم مع المسلمين بعد، فقال تعالى :

﴿ وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ فِي الْكِتَابِ لُتُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ ﴾

فإذا لاحظنا أن الله عز وجل لم يخبر عن بنى إسرائيل فى سور مكية إلا بمقدار ما تساق العبرة من مواقفهم من موسى ووصاياه، وموقفهم من فرعون وجنوده، وأخبر عنهم فى السور المدنية كثيرا، فسجل لهم ضروبا من الفساد والإفساد، فأخبر عن نقضهم ميثاقهم، وكفرهم بآيات الله وقتلهم الأنبياء بغير حق ، وقولهم قلوبنا غلف وأخبر عن ظلمهم وصددهم عن سبيل الله كثيرا، وأخذهم الربا وقد نهوا عنه، وأكلهم أموال الناس بالباطل، وأخبر عن اعتدائهم فى السبت، وحذرهم الموت وسكوتهم عن المنكر، واشترأهم بآيات الله ثمنا قليلا، وأخبر عن قتلهم أنفسهم، وإخراجهم فريقا من ديارهم تظاهرون عليهم بالإثم والعدوان، وقولهم ليس علينا فى الأميين سبيل.. الخ .

« لتفسدون فى الأرض مرتين » :

فإذا لاحظنا هنا أن الله ينص على أنه قضى أنهم يفسدون فى الأرض مرتين، فإذا جاء وعد أولاهما كان كذا، وإذا جاء وعد الآخرة كان كذا.. دل ذلك على أن المرتين غير ما سبق أن سجل لهما، وأنهما يقعان فى المستقبل، بالنسبة لمن أنزل عليه الكتاب ﷺ، لأن الحديث من أوله تبشير وإيماء لمستقبل، فذلك من الإنباء بالغيب، والإخبار بما لم يقع، وإلا فهم أفسدوا من قبل سبعين مرة، فالمرتان المعنيتان فى الآية وقعتا بعد، وقد أكد ذلك إعجاز القرآن وصدق ما جاء به محمد ﷺ.

أولاهما: قال تعالى :

﴿ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادَنَا ﴾ الخ.

لا تنطبق هذه المرة تمام الانطباق إلا على الدور الذى قاموا به على عهد النبى ﷺ وأصحابه، وما عاقبهم الله به، وسلط عليهم فيه.

فهم أفسدوا فى الأرض، ونقضوا عهد الله ورسوله، وكان ﷺ قد عاهدهم أول ما وصل المدينة.. (١).

رغم هذه الرعاية والمصافاة والمواساة، انطلقوا بالبغي والمكر والفساد فى الأرض يشككون فى شخص النبى ﷺ ونزاهته ورسالته، ويفتون المشركين أنهم أهدى من الذين آمنوا سبيلا.

ويفتحون دورهم وصدورهم لأعداء النبى ﷺ، ويدلونهم على عورات المؤمنين، وبلغ من أمرهم أن هموا بقتل الرسول ﷺ - أكثر من مرة كما أسلفنا - وهيجوا قريشا وغطفان، حتى حصروا المدينة، للقضاء على رسول الله ودعوته وأتباعه، وانضموا لهم، ونقضوا عهد الله ورسوله فى ساعة العسرة ويوم الأحزاب، فسلط الله عليهم عباده المؤمنين، فأجلوا بنى قينقاع وبنى النضير وقتلوا المقاتلين من بنى قريظة ثم فتحوا خيبر، ثم من عليهم الرسول فاستبقاهم عملاء، حتى أجلاهم عمر فى خلافته، وكان وعدا من الله للمؤمنين بالتمكين، وقد فعل وهذه هى المرة الأولى، لا تنطبق أوصافها إلا على أصحاب رسول الله ﷺ.

فهم الذين يستحقون شرف هذه النسبة «عبادا لنا» لأنهم الموحدون أتباع عبده الذى أسرى به. أما أتباع بختنصر أو غيره مما اضطربت فيه أقوال المفسرين، فقد كانوا عباد وثن، لا يستحقون شرف الاختصاص بالله فى قوله «لنا»

وهم الذين وصفهم الله فى كتابه بأنهم!

﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رَحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ (٢)

وهم الذين لم يكلفهم تأديب اليهود إلا أن :

﴿جَاسُوا خَلَلَ الدِّيارِ﴾

أما أتباع بختنصر فقد ذكروا أنه قتل على دم زكريا وحده سبعين ألفا، وأنه دخل المقدس فى أهله، وسلب حليته.. الخ، فهو اجتياح وليس جوسا.

(١) ذكر هنا نصوصا من وثيقة موادعة اليهود، وقد رواها ابن إسحاق: ١٦: ٢ - ١٨ بدون إسناد. انظر : كتابنا: الهجرة النبوية: ٣٤٢ ففيه تفصيل القول فى ذلك.

(٢) التفتح: ٢٩.

رد الكرة :

قال تعالى :

﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكُرَّةَ عَلَيْهِمْ﴾

ردت لليهود الكرة علينا بعد ألف وثلاثمائة ونيف وسبعين سنة من تأديب الله لهم ، منذ بعث عليهم عباده المؤمنين من أصحاب رسول الله ، فجاسوا خلال الديار .

بعد هذه المقدمة - التي أشار القرآن لطولها بقوله «ثم» التي تقتضى فى العطف تراخيا فى الأجل - ردت لليهود الكرة ، وأمدوا بثلاث ما أمدوا بمثلها فى تاريخهم :

١ - بأموال تندفق عليهم من أقطار الأرض ، على ما أرادوا من صعبه أو سهله .

٢ - بنين مهاجرين ومقاتلين ينتخبون لحماسهم وصلاحتهم لبناء دولتهم .

﴿وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا﴾

٣ -

ولم يكن اليهود فى يوم ما أكثر نفيرا وناصر منهم اليوم ، ولم يتمتع اليهود فى تاريخهم ، ولا أمة فى الأرض غيرهم ، بمثل ما يتمتعون به ، من كثرة الناصر لهم ، والناصر لنجدتهم : إذا غضبوا غضبت لهم أمريكا وإنجلترا وفرنسا وأم الغرب جميعا ، وإن دعوا أجابهم الظالمون ، وتنادوا لنصرتهم .. لقد اتفق الشرق والغرب - ولم يتفق يوما - على إنشاء إسرائيل وتقسيم فلسطين ، وسكتوا - ولم يسكتوا يوما - على مأساة اللاجئين والمنكوبين والمشردين .

كل هذه الأوصاف تؤكد أن الدور الذى نعاينه اليوم هو الكرة المعنية فى الآية ، وكل ما ذكره المفسرون بعيد ، لا تنطق عليه هذه الصفات .

فرصة للاختيار :

قال تعالى :

﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾

بعد أن قرر سبحانه أنه سيرد لليهود الكرة ، قرر أنها فرصة لهم ليختاروا لأنفسهم ، وليرسموا نهايتهم ، فللذين أحسنوا الحسنى ، وللذين أساءوا السوآى ، ثم قرر سبحانه أنهم

لن ينفكوا عن فسادهم وإفسادهم فقرر بعد ذلك على الفور عاقبة أمرهم، لأنها معروفة محتومة، فقال تعالى:

﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسْتَوُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيَبُيِّنَ لَهُمْ مَا عُلِّقَ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ﴾

يقرر الله عز وجل أنهم لن يستقبلوا النعمة بالشكر، ولا الكرة بالذكر والانتهاة عن الفساد، وإنما سيعاودون فسادهم الموروث، على نحو يدخلهم في شديد مقت الله ونقمة عباده، بما يبعد أن تدرّكهم عند ذلك رحمته فيقول:

﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ﴾

سلطنا عليكم عبادنا الأولين الذين دخلوا المسجد، ثم ردت لكم الكرة على خلافهم:

﴿لِيَسْتَوُوا وُجُوهَكُمْ﴾

بما ترون من مصارعكم، ومصارع أحلامكم، وما تعانون من سوء المنظر في المال وأهل والولد:

﴿وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ﴾

دخول العزيز الظاهر:

﴿كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾

ظافرين منصورين:

﴿وَلِيُبَيِّنَ لَهُمْ مَا عُلِّقَ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ﴾

تدميرا.

وذلك دورنا المرتقب، وعملنا الذي نرجو أن يشرفنا الله به في القريب، فإننا لنطمع أن يعذبهم الله بأيدينا ويخزهم، وينصرنا عليهم، ويشف صدور قوم مؤمنين..

وقد قرر سبحانه أنه سيجمعهم ألفافاً، لنبيدهم فقال:

﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرِ جُنَّاكُمْ لَفِيفًا﴾

بشرى للمؤمنين:

يؤكد هذه النهاية ويبشر بقرب وقوعها قوله تعالى:

﴿فَإِذَا جَاءَ﴾

فإن العطف بالفاء يقتضى الترتيب مع التعقيب، فالوعد واقع قريباً بعد هذه الكرة.

والتعبير (إذا) يدل على تحقيق المحيىء لا محالة.

وبشائر النصر التى تحدونا أولاً وأخيراً فى هذه السورة.

قال تعالى بعد هذه الآيات:

﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّذِينَ هُمْ أَقْوَمُ﴾ (١)

وقال تعالى فى آخر السورة:

﴿وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَءِيلَ اسْكُنُوا الْأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرِ جُنَّاكُمْ لَفِيفًا﴾ (٢)

تعليق على المقال:

والذى يقرأ هذا المقال يتبين له أن كاتبه يرى أن المراد من (الكتاب) فى قوله تعالى:

﴿وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ فِي الْكِتَابِ﴾

هو القرآن الكريم لا التوراة:

وهذا الفهم لا يمكن أن ينساق إلى ذهن من يقرأ الآيات القرآنية بتدبر، لأن الله تعالى

يقول:

﴿وَأَنبَأْنَا مُوسَىٰ الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَءِيلَ﴾

(١) الإسراء: ٩.

(٢) الإسراء: ١٠٤.

ثم يقول بعد ذلك:

﴿وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ فِي الْكِتَابِ لُفْسُدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ﴾

فالكتاب في الآية الثانية يقصد به عين الكتاب في الآية الأولى، وهو التوراة التي أنزلها الله تعالى على موسى عليه السلام، وجعلها هدى لبني إسرائيل، وسبق أن بينا ذلك، وأنه المعنى المتبادر من الآيات، والذي لا يمكن أن يفهم المتأمل في كتاب الله غيره، فقد أجمع عليه جمهور المفسرين، وقليل منهم أضاف إلى ذلك أنه يجوز أن يراد به اللوح المحفوظ، ومنهم القاسمي،^(١). وقد سبق بيان فائدة إخبار الله بنبي إسرائيل في التوراة أنهم يفسدون في الأرض مرتين.

وبإثباتنا أن المراد بالكتاب في الآية الثانية هو التوراة، نكون قد رددنا أساس رأيه من أن المراد به هو القرآن - كما يقول الدكتور طنطاوي -^(٢) ورددنا ما بناه على هذا الرأي من أن مرتي الإفساد في الإسلام، وأن ذلك من الإنباء بالغيب الذي يكون في المستقبل بالنسبة لنزول الآية الكريمة على النبي ﷺ..

ولنا تعليقات يسيرة على بعض ما جاء في هذا المقال منها:

أولاً: يقول: ما السر في أن يخبر الله عن إسرائه برسوله ﷺ في آية واحدة أول السورة، ينقطع بعدها الحديث عن الإسرائ جملة إلى آخر السورة، ويبدأ الحديث عن بني إسرائيل وما أنعم الله عليهم وعهد إليهم وعن دور خطير يكون لهم، وما وجه المناسبة بين هذه الآيات والأحداث؟.. الخ.

ونقول: إن الله تعالى ما ذكر الإسرائ إلا ليكون آية من الآيات من أول الإسرائ مثارا لتشكيك من في قلوبهم مرض في رسالة النبي ﷺ وصدق نبوته، كما اتخذها ذريعة للسخرية برسول الله ﷺ ومن آمن به فالله تعالى يقول لهؤلاء الذين في قلوبهم مرض، ويصدون عن سبيل الله من آمن، ويهزأون برسوله الكريم ﷺ إن لم تنتهوا عن إثارة الفساد في الأرض، ووضع العراقيل أمام الدعوة، ليصيبنكم ما أصاب بني إسرائيل قبلكم، حين عاثوا فسادا في الأرض مرتين، وعلوا علوا كبيرا، فقد سلط الله عليهم بعد كل من المرتين

(١) تفسير القاسمي : ١٠ : ٣٩٠٢ .

(٢) بنو إسرائيل في القرآن والسنة : ٢ : ٣٨١ وما بعدها بتصرف.

من يسومهم سوء العذاب، ومن يجوس خلال ديارهم بالقتل والتخريب.
وتبدأ السورة بتسبيح الله..

وتتضم موضوعات شتى، معظمها عن العقيدة، (١) وبعضها عن قواعد السلوك
الفردى والجماعى وآدابة القائمة على العقيدة، إلى شىء من القصص عن بنى إسرائيل
يتعلق بالمسجد الأقصى الذى كان إليه الإسراء..

ولكن العنصر البارز فى كيان هذه السورة ومحور موضوعاتها الأصيل هو شخص
الرسول الحبيب المحبوب ﷺ .. وموقف القوم منه فى مكة.. والقرآن الذى نزل عليه..
وطبيعة هذا القرآن، وما يهدى إليه، واستقبال القوم له.. واستطرد بهذه المناسبة إلى طبيعة
الرسالة والرسول، وإلى امتياز الرسالة الإسلامية بطابع غير طابع الخوارق الحسية وما يتبعها
من هلاك المكذبين بها.. وإلى تقرير التبعة الفردية فى الهدى والضلال الاعتقادى، والتبعة
الجماعية فى السلوك العملى فى محيط المجتمع.. كل ذلك بعد أن يعز الله سبحانه إلى
الناس، فيرسل إليهم الرسل بالتبشير والتحذير والبيان والتفصيل:

﴿وَكُلَّ شَيْءٍ فَضَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا﴾ (٢)

ويتكرر فى سياق السورة تنزيه الله وتسبيحه وحمده وشكر آلائه.. ففى مطلعها:

﴿سُبْحَانَ الَّذِى سَرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا﴾ (٣)

وفى أمر بنى إسرائيل بتوحيد الله يذكركم بأنهم من ذرية المؤمنين مع نوح:

﴿ذُرِّيَّةً مِّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ (٤).

وعند دعاوى المشركين عن الآلهة يعقب بقوله:

﴿سُبْحَنَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾ (٥) تَسْبِيحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ
وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ
حَلِيمًا غَفُورًا﴾ (٥).

(١) فى ظلال القرآن : ٤ : ٢٢٠٨ وما بعدها بتصرف .

(٢) الإسراء : ١٢ .

(٣) الإسراء : ١ .

(٤) الإسراء : ٣ .

وفي حكاية قول بعض أهل الكتاب حين يتلى عليهم القرآن:

﴿وَيَقُولُونَ سُبْحَنَ رَبِّنَا إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا﴾^(١)

وتنتهى السورة بالحمد:

﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وِثْرٌ
مِّنَ الذَّلِيلِ وَكِبْرُهُ تَكْبِيرًا﴾^(٢)

فى تلك الموضوعات المنوعة حول ذلك المحور الواحد الذى بينا يعضى سياق السورة فى مواقف متتابعة ..

يبدأ الموقف الأول بالإشارة إلى الإسراء:

﴿سُبْحَنَ الَّذِى أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِى
بَرَكْنَا حَوْلَهُ﴾

مع الكشف عن حكمة الإسراء:

﴿لِنُرِيَهُمْ مِنْ آيَاتِنَا﴾

وبمناسبة المسجد الأقصى يذكر كتاب موسى وما قضى لبني إسرائيل، من نكبة وهلاك وتشريد مرتين، بسبب طغيانهم وإفسادهم، مع إنذارهم بثالثة ورابعة:

﴿وَإِنْ عُدْتُمْ عَدُنَا﴾

ثم يقرر أن الكتاب الأخير - القرآن - يهدى للتى هى أقوم، بينما الإنسان عجول مندفع، لا يملك زمام انفعالاته .. ويقرر قاعدة التبعة الفردية فى الهدى والضلال، وقاعدة التبعة الجماعية فى التصرفات والسلوك ..

وهكذا نجد السياق ينتقل من سيرة بنى إسرائيل، وكتابهم الذى آتاه الله موسى عليه السلام، ليهتدوا به فلم يهتدوا، بل ضلوا فهلكوا .. ينتقل السياق إلى القرآن:

﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّذِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ

(٢) الإسراء: ١١١.

(١) الإسراء: ١٠٨.

الصَّلَاحَاتِ أَنْ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ① وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا
لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ②

هكذا على وجه الإطلاق فيمن يهديهم وفيما يهديهم، فيشمل الهدى أقواما وأجيالا
بلا حدود من زمان أو مكان، ويشمل ما يهديهم إليه كل منهج وكل طريق، وكل خير
يهتدى إليه البشر في كل زمان ومكان..

يهدى للتي هي أقوم في عالم الضمير والشعور، بالعقيدة الواضحة التي لا تعقيد فيها
ولا غموض – كما عرفنا عن عقيدة اليهود ومن على شاكلتهم – والتي تطلق الروح من
أثقال الوهم والخرافة، وتطلق الطاقات البشرية الصالحة للعمل والبناء، وتربط بين نواميس
الكون الطبيعية وناواميس الفطرة البشرية في تناسق واتساق..

ويهدى للتي هي أقوم في التنسيق بين ظاهر الإنسان وباطنه، وبين مشاعره وسلوكه،
وبين عقيدته وعمله، فإذا هي كلها مشدودة إلى العروة الوثقى التي لا تنفصم، متطلعة إلى
أعلى وهي مستقرة على الأرض، وإذا العمل عبادة متى توجه الإنسان به إلى الله، ولو
كان هذا العمل متاعا واستمتاعا بالحياة، فلا مادية.. كما نشهد الواقع اليهودي المادي..
ولا رهبانية أيضا..

ويهدى للتي هي أقوم في عالم العبادة بالموازنة بين التكاليف والطاقة، فلا تشق
التكاليف على النفس حتى تمل وتيأس من الوفاء، ولا تترخص حتى تشيع في النفس
الرخاوة والاستهتار، ولا تتجاوز القصد والاعتدال وحدود الاحتمال..

ويهدى للتي هي أقوم في علاقات الناس بعضهم ببعض: أفراد وأسرا، وحكومات
وشعوبا، ودولا وأجناسا.. كما رأينا في هدى النبي ﷺ في علاقته باليهود.

وعرفنا أنه يقيم هذه العلاقات على الأسس الوطيدة الثابتة التي لا تتأثر بالرأى
والهوى، ولا تميل مع المودة والشنآن، ولا تصرفها المصالح والأغراض.. الأسس التي أقامها
العليم الخبير لخلق، وهو أعلم بمن خلق، وأعرف بما يصلح لهم في كل أرض وفي كل
جيل، فيهديهم للتي هي أقوم في نظام الحكم ونظام المال ونظام الاجتماع ونظام التعامل
الدولي اللائق بعالم الإنسان..

ويهدى للتي هي أقوم في تبنى الرسالات السماوية – ومنها رسالة موسى – والربط بينهما،

وتعظيم مقدساتها، وفق هدى الحق، وصيانة حرمانها، وفق وحى السماء، فإذا البشرية كلها بجميع رسالاتها السماوية فى سلام ووثام..

ولكن اليهود - كما عرفنا - هم اليهود!

فأما الذين لا يهتدون بهدى القرآن، فهم متروكون لهوى الإنسان.. الإنسان العجول..

الإنسان الجاهل بما ينفعه وما يضره، المندفع الذى لا يضبط انفعالاته ولو كان من ورائها الشر له:

﴿وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا﴾ (١)

ذلك أنه لا يعرف مصائر الأمور وعواقبها، ولقد يفعل الفعل وهو شر، ويعجل به على نفسه وهو لا يدري. أو يدري ولكنه لا يقدر على كبح جماحه وضبط زمامه.. فأين هذا من هدى القرآن الثابت الهادئ الهادى؟

ألا إنهما طريقان مختلفان : شتان شتان . هدى القرآن وهوى الإنسان!

ومن الإشارة إلى الإسراء وما صاحبه من آيات، والإشارة إلى نوح ومن حملوا معه من المؤمنين، والإشارة إلى قصة بنى إسرائيل، وما قضاه الله لهم فى الكتاب، وما يدل عليه هذا القضاء من سنن الله فى العباد، ومن قواعد العمل والجزاء، والإشارة إلى الكتاب الأخير الذى يهدى للتي هى أقوم..

من هذه الإشارة إلى آيات الله التى أعطاها للرسل ، ينتقل السياق إلى آيات الله الكونية فى هذا الوجود، يربط بها نشاط البشر وأعمالهم، وجهودهم وجزأهم، وكسبهم وحسابهم، فإذا نواويس العمل والجزاء والكسب والحساب مرتبطة أشد ارتباط بالنواويس الكونية الكبرى، محكومة بالنواويس ذاتها، قائمة على قواعد وسنن لا تتخلف، دقيقة منظمة دقة النظام الكونى الذى يصرف الليل والنهار، مدبرة بإرادة الخالق الذى جعل الليل والنهار آيتين..

ويبدأ الموقف الثانى بقاعدة التوحيد - وهى قد أصابها التحريف اليهودى والتخريف الصهيونى الجهول - كما أسلفنا - وذلك ليقم عليها البناء الاجتماعى كله، وآداب العمل

(١) الإسراء : ١١ .

والسلوك فيه، ويشدها إلى هذا المحور الذى لا يقوم بناء الحياة إلا مستندا إليه..

ويتحدث فى الموقف الثالث: عن أوهام الوثنية الجاهلية حول نسبة البنات والشركاء إلى الله، وعن البعث واستبعادهم لوقوعه، وعن استقبالهم للقرآن الكريم، وتقولاتهم على الرسول الحبيب المحبوب ﷺ.. ويأمر المؤمنين أن يقولوا قولاً آخر، ويتكلموا بالتى هى أحسن..

وفى الموقف الرابع: يبين لماذا لم يرسل الله خاتم النبیین ﷺ بالحوارق، فقد كذب بها الأولون، فحق عليهم الهلاك اتباعاً لسنة الله، كما يتناول موقف المشركين من إنذار الله لهم فى رؤيا الرسول ﷺ وتكذيبهم وطغيانهم..

ويجىء فى هذا السياق طرف من قصة إبليس، وإعلانه أنه سيكون حرباً على ذرية آدم.. يجىء هذا الطرف من القصة كأنه كشف لعوامل الضلال الذى يبدو من المشركين، والإفساد فى الأرض الذى يقوم به اليهود.. ويعقب عليه بالتخويف من عذاب الله، والتذكير بنعم الله فى تكريم الإنسان، وما ينتظر الطائعين والعصاة:

﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمْئَاتِهِمْ فَمَنْ أُوِيَّ كِتَابُهُ يَمِينُهُ فَأُولَٰئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ۖ وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ۝﴾ (١)

وهو مشهد يصور الخلاق محشورة.. وكل جماعة تنادى بعنوانها باسم المنهج الذى اتبعته، أو الرسول الذى اقتدت به، أو الإمام الذى اتتمت به فى الحياة الدنيا..

فهل تبع اليهود موسى عليه السلام؟!

إنهم انحرفوا عن رسالته، وكفروا بالحق الذى آمن به ودعا إليه!

إن موسى عليه السلام – كما أسلفنا – من المسلمين، فهل أتباعه – كما يزعمون – كذلك؟!

وهنا فى هذا الموقف الرهيب الرعب تنادى كل جماعة، يُسلم لها كتاب عملها وجزائها فى الدار الآخرة.. فمن أوتى كتابه يمينه فهو فرح بكتابه يقرؤه ويتملاه، ويوفى

(١) الإسراء ٧١ – ٧٢.

الأجر! ومن عمى فى الدنيا عن دلائل الحق - كهؤلاء اليهود ومن على شاكلتهم - فهو فى الآخرة أعمى عن طريق النجاة، وأضل سبيلا، وأشد ضلالا.. وجزاؤه معروف. ولكن السياق يرسمه فى هذا المشهد المزدهم المهيّب، الهائل الرعب، أعمى ضالا يتخبط، لا يجد من يهديه ولا ما يهتدى به ويدعه كذلك لا يقرر فى شأنه أمرا هنا؛ لأن مشهد العمى والضلال فى ذلك الموقف العصيب الرهيب الرعب هو وحده جزاء مرهوب، يؤثر فى القلوب!

ويستعرض فى الموقف الأخير كيد المشرّكين للرسول الحبيب المحبوب ﷺ، ومحاولة فتنته عن بعض ما أنزل إليه، ومحاولة إخراجه من مكة. ولو أخرجوه قسرا - ولم يخرج هو مهاجرا بأمر الله - لحل بهم الهلاك الذى حل بالقرى من قبلهم حين أخرجت رسلها أو قتلهم - كما عرفنا فى تاريخ اليهود - ويأمر الرسول ﷺ أن يمضى فى طريقه يقرأ القرآن ويقيم الصلاة، ويدعو الله أن يحسن مدخله ومخرجه، ويعلن مجيء الحق وزهوق الباطل، ويعقب بأن هذا القرآن الذى أرادوا فتنته عن بعضه فيه شفاء وهدى للمؤمنين، بينما الإنسان قليل العلم، وهو يعرض موقفا من مواقف هؤلاء اليهود - كما أسلفنا - وهم يسألون عن الروح ما هو؟ والمنهج الذى سار عليه القرآن - وهو المنهج الأقوم - أن يجيب الناس عما هم فى حاجة إليه، وما يستطيع إدراكهم البشرى بلوغه ومعرفته، فلا يبذل الطاقة العقلية التى وهبها الله لهم فيما لا ينتج ولا يثمر، وفى غير مجالها الذى تملك وسائله وتحيط به. فلما سألوه عن الروح أمره الله أن يجيبهم بأن الروح من أمر الله، اختص بعلمه دون سواه:

﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (١)

وليس فى هذا حجر على العقل البشرى أن يعمل.. ولكن فيه توجيها لهذا العقل أن يعمل فى حدوده وفى مجاله الذى يدرّكه. ولكنها سمات يهود فلا جدوى من الخبط فى التيه، ومن إنفاق الطاقة فيما لا يملك العقل إدراكه، لأنه لا يملك وسائل إدراكه..!

والروح غيب من غيب الله لا يدرّكه سواه، وسر من أسراره القدسية أودعه هذا المخلوق البشرى وبعض الخلائق التى لا نعلم حقيقتها.. وعلم الإنسان محدود بالقياس إلى علم الله المطلق، وأسرار هذا الوجود أوسع من أن يحيط بها العقل البشرى المحدود.. والإنسان لا يدبر هذا الكون، فطاقاته ليست شاملة، إنما وهب منها بقدر محيطه وبقدر

حاجته ليقوم بالخلافة فى الأرض، ويحقق فيها ما شاء الله أن يحقق، فى حدود علمه القليل.

ولقد أبدع الإنسان فى هذه الأرض ما أبدع، ولكنه وقف حسيرا أمام ذلك السر اللطيف - الروح - لا يدرك ما هو، ولا كيف جاء، ولا كيف يذهب، ولا أين كان ولا أين يكون، إلا ما يخبر به العليم الخبير فى التنزيل .

ويستمر فى الحديث عن القرآن وإعجازه، بينما هم يطلبون خوارق مادية، ويطلبون نزول الملائكة، ويقترحون أن يكون للرسول بيت من زخرف أو جنة من نخيل وعنب، يفجر الأنهار خلالها تفجيرا ! أو يفجر لهم من الأرض ينبوعا! أو أن يرقى هو فى السماء ثم يأتيهم بكتاب مادي معه يقرأونه..

إلى آخر هذه المقترحات التى يملؤها العنت والمكابرة - وكما هو شأن اليهود أيضا ومن على شاكلتهم - لا طلب الهدى والاقتناع..

ويرد على هذا كله بأنه خارج عن وظيفة الرسول وطبيعة الرسالة، ويكل الأمر إلى الله.. ويتحكم على أولئك الذين يقترحون هذه الاقتراحات كلها بأنهم لو كانوا يملكون خزائن رحمة الله - على سعتها وعدم نفاذها - لأمسكوا خوفا من الإنفاق! وقد كان حسبهم أن يشتمعروا أن الكون وما فيه يسبح لله:

﴿ تَسْبِيحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ
وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾

وأن الآيات الخارقة قد جاء بها موسى من قبل، فلم تؤد إلى إيمان هؤلاء المتعنتين، لأن كثرة الخوارق لا تنشئ الإيمان فى القلوب الجاحدة:

﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَسَكَّنَ فِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَمُوسَى مَسْحُورًا ۝ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ

السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بِصَآئِرِ وَآيَاتِي لِأَظْهَرُكَ يَفْرَعُونَ مُثْبُورًا ﴿٥﴾ فَأَرَادَ أَنْ
يَسْتَفْزَهُمْ مِنَ الْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ جَمِيعًا ﴿٦﴾ وَقُلْنَا مَنْ بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَءِيلَ
أَسْكُنُوا الْأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ﴿١﴾

وهذا امثل من قصة موسى وبنى إسرائيل يذكر لتناسقه مع سياق السورة، وذكر
المسجد الأقصى في أولها، وطرف من قصة بنى إسرائيل مع موسى. وكذلك يعقب عليه
بذكر الآخرة والحجىء بفرعون وقومه لمناسبة مشهد القيامة القريب في سياق السورة،
ومصير المكذبين..

وتنتهى السورة بالحديث عن القرآن والحق الأصيل فيه.. القرآن الذى نزل مفرقا
ليقرأه الرسول على القوم زمنا طويلا بمناسبته ومقتضياته، وليتأثروا به ويستجيبوا له استجابة
حية عملية، والذى يتلقاه الذين أوتوا العلم من قبله بالخشوع والتأثر إلى حد البكاء
والسجود:

﴿وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿١٥﴾ وَقُرْءَانًا فَرَقْنَاهُ
لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ نَزِيلًا ﴿١٦﴾ قُلْ ءَامِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ
أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ
رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٧﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَسْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ
خُشُوعًا ﴿٢﴾﴾

وهو مشهد موح يلمس الوجدان.. ويرسم تأثير هذا القرآن فى القلوب المفتحة
لاستقبال فيضه، العارفة بطبيعته وقيمته، بسبب ما أوتيت من العلم قبله.. هذا المشهد
الموحى للذين أوتوا العلم من قبله يعرضه السياق بعد تخيير القوم فى أن يؤمنوا بهذا القرآن
أو لا يؤمنوا..

يقول ابن كثير « إن الذين أوتوا العلم من قبله » أى من صالحى أهل الكتاب الذين
تمسكوا بكتابهم وقيمونه، ولم يبدلوه. (٣).

فهل يفهم اليهود ذلك؟!

(٢) الإسراء: ١٠٥ - ١٠٩.

(١) الإسراء: ١٠١ - ١٠٤.

(٣) تفسير ابن كثير ٦٨: ٣، وانظر: تفسير القرطبي ٣٤٠: ١٠، والكشاف ٣٧٨: ٢، والماوردى ٤٦٢: ٢.

من هذا العرض الموجز لمقاصد السورة يتبين لنا أن الحديث فيها – كما سبق – مسوق لإثبات رسالة الرسول الحبيب المحبوب ﷺ، وحقيقة ما أنزل عليه.. وأن الذين يقترحون غيره من الآيات ما تأملوه وما عرفوه حق المعرفة، وأنهم إذا استمروا فى هذا الإعراض سيصيبهم ما أصاب الأمم قبلهم، وكذلك ما أصاب بنى إسرائيل بعد فسادهم وإفسادهم فى الأرض..

ثانياً : ما قاله من أن الآيات مكية ، وأن المسلمين بمكة كانوا مستضعفين ، فلم يكن لبنى إسرائيل يومئذ صلة ولا شأن مع المسلمين، ولم يكن لهم أثر بمكة يقتضى أن يتحدث الله عنهم فى سورة مكية يمثل هذا التفصيل.. الخ.

هذا القول نوافقه عليه فى جملته.. إلا أننا – كما يقول الدكتور طنطاوى - (١) نخالفه فيما ذهب إليه من أنه لم يكن لبنى إسرائيل صلة بالمسلمين، تقتضى أن يتحدث القرآن عنهم بمثل هذا التفصيل..

ومن أسباب مخالفتنا له، أن عدم وجود الصلة التجارية أو السكنية بين مسلمى مكة واليهود، وعدم وجود الأثر أو الخطر، لا يقتضى أن يترك القرآن الكريم الحديث عن بنى إسرائيل بالتفصيل، إذ هناك ما هو أهم من كل ذلك، وهو تشابه موقف أهل مكة واليهود من الدين الحق، فكلاهما قد وقف من الرسالات السماوية موقف الجاحد العاصى، فبين القرآن الكريم لأهل مكة أن الله تعالى قد أنزل التوراة على موسى لهداية بنى إسرائيل، ولكنهم لم يعملوا بها، بل أفسدوا فى الأرض، فكان مثلهم كمثل الحمار يحمل أسفارا:

﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَا يُحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (٢)

فبنو إسرائيل حملوا التوراة، وكلفوا أمانة العقيدة والشرعية «ثم لم يحملوها» لأن حملها يبدأ بالإدراك والفهم والفقه، وينتهى بالعمل لتحقيق مدلولها فى عالم الضمير، وعالم الواقع ولكن سيرة بنى إسرائيل كما عرضها القرآن الكريم لا تدل على أنهم قدروا هذه الأمانة، ولا أنهم فقهوا حقيقتها، ولا أنهم عملوا بها – كما يشهد بذلك واقعهم قديما وحديثا – ومن ثم كانوا كالحمار يحمل الكتب الضخام، وليس له منها إلا الثقل، فهو ليس صاحبها. وليس شريكا فى الغاية منها!

(٢) الجمعة : ٥٠ .

(١) بنو إسرائيل فى القرآن والسنة : ٢ : ٣٨٤ وما بعدها بتصرف .

وهى صورة زرية بائسة، ومثل سىء شائن، ولكنها صورة معبرة عن حقيقة صادقة..

ومثل هؤلاء اليهود هؤلاء الذين غبرت بهم أجيال كثيرة، والذين يعيشون فى هذا الزمان، وهم يحملون أسماء، ويرفعون رايات، ولا يعملون عمل المسلمين. وبخاصة أولئك الذين يقرأون الكتب، ويقومون بدور المعلم والموجه والمفكر والأستاذ مهما كانت مناصبهم - وهم لا ينهضون بما تفرضه عليهم العقيدة، وهم كثيرون كثيرون! وهذا خلق يهود! فليست المسألة مسألة كتب تحمل وتدرس، إنما هى مسألة فقه وعمل بما فى الكتب!.

وسبق أن عرضنا لآيات كثيرة فى سور مكية لبنى إسرائيل..

وحسبنا أن نذكر مثلاً للانحراف عن سوء الفطرة، ونقض لعهد الله المأخوذ عليها، ونكوص عن آيات الله بعد رؤيتها والعلم بها..

ذلك الذى آتاه الله آياته، فكانت فى متناول نظره وفكره، ولكنه انسلخ منها، وتعرى عنها، ولصق بالأرض، واتبع الهوى، فلم يستمسك بالميثاق الأول، ولا بالآيات الهادية، فاستولى عليه الشيطان، وأمسى مطروداً من حمى الله، لا يهدأ ولا يطمئن ولا يسكن إلى قرار..

ولكن البيان القرآنى المعجز لا يصوغ المثل هذه الصياغة! إنما يصوره فى مشهد حى متحرك، عنيف الحركة شاخص السمات، بارز الملامح، واضح الانفعالات، يحمل كل إيقاعات الحياة الواقعة، إلى جانب العبارات الموحية:

﴿وَأَنلِ عَلَيْهِم نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَاسْلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ
الْغَاوِينَ ۝ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ
كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ
الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ۝ سَاءَ
مَثَلًا الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنفُسُهُمْ كَانُوا بِظُلْمٍ ۝﴾ (١)

روى عبد الرزاق عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال: هو رجل من بنى

(١) الأعراف : ١٧٥ - ١٧٧ .

إسرائيل يقال له: بلعام بن باعوراء، وكذا رواه شعبة وغير واحد عن منصور به.. وتعددت الروايات وتنوعت فيمن هو.. قال ابن كثير: وأما المشهور في سبب نزول هذه الآية الكريمة فإنما هو رجل من المتقدمين في زمن بنى إسرائيل كما قال ابن مسعود وغيره من السلف..^(١).

جاء في المنار: والضمير في « عليهم » للناس المخاطبين بالدعوة، وأولهم كفار مكة، والسورة مكية، وقيل: لليهود، لأن المثل تابع لقصة موسى في السورة..^(٢).

وعلى كل فهو مثل ينطبق تمام الانطباق على اليهود ومن على شاكلتهم.. وعلينا أن نأخذ من النبأ ما وراءه^(٣). فهو يمثل حال الذين يكذبون بآيات الله بعد أن تبين لهم فيعرفوها ثم لا يستقيموا عليها.. وما أكثر ما يتكرر هذا النبأ في حياة البشر – وبخاصة اليهود – ما أكثر الذين يعطون علم دين الله، ثم لا يهتدون به، إنما يتخذون هذا العلم وسيلة لتحريف الكلم عن مواضعه، واتباع الهوى به.. هواهم وهوى المتسلطين الذين يملكون لهم – في وهمهم – عرض الحياة الدنيا.. وهو خلق يهود!

وكم من عالم دين رأيناه يعلم حقيقة دين الله ثم يزيغ عنها، ويعلن غيرها، ويستخدم علمه في التحريفات المقصودة، والفتاوى المطلوبة لسلطان الأرض الزائل! يحاول بها هذا السلطان المعتدى على سلطان الحق وحرماته في الأرض جميعا!

لقد رأينا من هؤلاء من يدعو للطواغيت الذين يدعون حق التشريع ويبارك الجاهلية.. ويخلع على هذا الفجور رداء الدين وشاراته وعناوينه!

فماذا يكون هذا إلا أن يكون مصداقا لنبأ الذى آتاه الله آياته فانسلك منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين؟!!

وماذا يكون هذا إلا أن يكون المسخ الذى يسجله القرآن عن صاحب النبأ:

﴿وَوَشَّيْنَا لِرَفْعَةِ بَهَاوَلِكِنَّهٗ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ﴾

ولو شاء الله لرفعه بما آتاه من العلم بآياته. ولكنه سبحانه لم يشأ؛ لأن ذلك الذى علم

(٢) تفسير المنار : ٩ : ٤٠٥ .

(١) تفسير ابن كثير : ٢ : ٢٦٤ - ٢٦٥ بتصرف .

(٣) فى ظلال القرآن : ٣ : ١٣٩٧ بتصرف .

الآيات أخلد إلى الأرض واتبع هواه ولم يتبع الآيات!

إنه مثل كل من آتاه الله من العلم ، فلم ينتفع بهذا العلم ، ولم يستقم على طريق الإيمان ، وانسلخ من نعمة الله ، ليصبح تابعا ذليلا للشيطان ، ولينتهى إلى المسخ فى مرتبة الحيوان ، وهو خلق يهود!

ثم ما هذا اللهاث الذى لا ينقطع ؟

إنه - فى حسننا كما توحىه إيقاعات النبأ وتصوير مشاهدته فى القرآن - ذلك اللهاث وراء أعراض هذه الحياة الدنيا التى من أجلها ينسلخ الذين يؤتيهم الله آياته فينسلخون منها.. وذلك اللهاث القلق الذى لا يطمئن أبدا. والذى لا يترك صاحبه، سواء وعظته أم لم تعظه، فهو منطلق فيه أبدا، وهو خلق يهود!

والحياة البشرية ما تنى تطلع علينا بهذا المثل فى كل زمان وفى كل مكان، وفى كل جيل وفى كل قبيل.. حتى إنه لتمر فترات كثيرة، وما تكاد العين تقع إلا على هذا المثل. فيما عدا الندرة النادرة ممن عصم الله ممن لا ينسلخون من آيات الله، ولا يخلدون إلى الأرض، ولا يتبعون الهوى، ولا يستذلهم الشيطان، ولا يلهثون وراء الحطام الذى يملكه أصحاب السلطان! فهذا مثل لا ينقطع وروده ووجوده، وما هو بمحصور فى قصة وقعت، فى جيل من الزمان، فهو خلق يهود ومن على شاكلتهم!

وقد أمر الله رسوله ﷺ أن يتلو هذا النبأ على قومه الذين كانت تنزل عليهم آيات الله، كى لا ينسلخوا منها وقد أوتوها.. ثم ليبقى من بعده ومن بعدهم يتلى، ليحذر الذين يعلمون من علم الله شيئا أن ينتهوا إلى هذه النهاية البائسة، وأن يصيروا إلى هذا اللهاث الذى لا ينقطع أبدا، وأن يظلموا أنفسهم ذلك الظلم الذى لا يظلمه عدو لعدو، فإنهم لا يظلمون إلا أنفسهم بهذه النهاية النكدة!

إنه مشهد من المشاهد العجيبة، الجديدة كل الجدة على ذخيرة هذه اللغة من التصورات والتصويرات.. إنسان يؤتيه الله آياته، ويخلق عليه من فضله، ويكسوه من علمه، ويعطيه الفرصة كاملة للهدى والاتصال والارتفاع.. ولكن ها هو ذا ينسلخ من هذا كله انسلاخا.. ينسلخ كأنما الآيات أديم له متلبس بلحمه، فهو ينسلخ منها بعنف وجهد ومشقة، انسلاخ الحى من أديمه اللاصق بكيانه.. لأنه يهودى الخلق!

أو ليست الكينونة البشرية متلبسة بالإيمان بالله تلبس بالجلد بالكيان؟!

ها هو ذا ينسلخ من آيات الله، ويتجرد من الغطاء، الواقى، والدرع الحامى، وينحرف عن الهدى ليتبع الهوى، ويهبط من الأفق المشرق فيلتصق بالطين المعتم، فيصبح غرضاً للشيطان، لا يقيه منه واق، ولا يحميه منه حام فيتبعه ويلزمه ويستحوذ عليه، لأنه يهودى الخلق!

ثم إذا نحن أولاء أمام مشهد مفزع بائس نكد .. إذا نحن بهذا المخلوق، لاصقا بالأرض، ملوثا بالطين! ثم إذا مسخ فى هيئة الكلب، يلهث إن طورد، ويلهث إن لم يطارد!

كل هذه المشاهد المتحركة تتتابع وتتوالى، والخيال شاخص يتبعها فى انفعال وانبهار وتأثر.. فإذا انتهى المشهد الأخير منها.. مشهد اللاهث الذى لا ينقطع.. سمع التعليق المرهوب الموحى، على المشهد كله:

﴿ ذَٰلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصْ الْقِصَصَ لَعَلَّهُمْ يَفَكَّرُونَ ﴾
﴿ سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنْفُسُهُمْ كَانُوا يَظْلُونَ ﴾

ذلك مثلهم! فلقد كانت آيات الهدى وموحيات الإيمان متلبسة بفطرتهم وكيانهم وبالوجود كله من حولهم.. ثم إذا هم ينسلخون منها انسلاخا.. ثم إذا هم أمساخ شائهو الكيان، هابطون عن مكان الإنسان، إلى مكان الحيوان.. مكان الكلب الذى يتمرغ فى الطين.. وكان لهم من الإيمان جناح يرفون به إلى عليين، وكانوا من فطرتهم الأولى فى أحسن تقويم، فإذا هم ينحطون إلى أسفل سافلين:

﴿ سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنْفُسُهُمْ كَانُوا يَظْلُونَ ﴾

وهل أسوأ من هذا المثل؟

وهل أسوأ من الانسلاخ والتعرى من الهدى؟!

وهل أسوأ من اللصوق بالأرض واتباع الهوى؟!

وهل يظلم إنسان نفسه كما يظلمها من يصنع بها هكذا؟ من يعريها من الغطاء الواقى والدرع الحامى، ويدعها غرضاً للشيطان يلزمها ويركبها، ويهبط بها إلى عالم الحيوان اللاصق بالأرض، الحائر القلق اللاهث لهاث الكلب أبداً؟!

حقاً إنه خلق يهود، ومن على شاكلتهم!

وقد ترتب على ذلك أن سلط الله عليهم من يذلهم بسبب فسوقهم عن أمر الله^(١)، فإذا ما سار أهل مكة على هذا الطريق المعوج الذى سار عليه بنو إسرائيل بعد أن جاءهم خاتم النبیین ﷺ بالهدى ودين الحق، فسيصيبهم من العقاب ما أصابهم.

وهذا التفصيل الذى تحدث القرآن الكريم به هنا عن بنى إسرائيل، قد جاء ما هو أطول منه بكثير فى سور مكية، كسورة الشعراء، والأعراف، وطه، والقصص، وغير ذلك من السور المكية التى تحدثت عنهم باستفاضة.

وإذاً فهناك مقتضى لهذا الحديث المفصل عن بنى إسرائيل فى سورة الإسراء المكية، وهو تماثل موقف أهل مكة وبنى إسرائيل من الدين الحق، ومخالفة الفريقين لشرعية سماوية خالدة، هى شرعية الإسلام، لا لقانون وضعى أو لعرق دنيوى، وتبشير للمسلمين. بحسن العقبى، لاستجابتهم لله ولرسوله ﷺ.

ثالثاً: قال فى قوله تعالى:

﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَٰئِهِمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَا﴾

لا تنطبق هذه المرة تمام الانطباق إلا على الدور الذى قاموا به على عهد النبى ﷺ وأصحابه، وما عاقبهم الله به، وسلط عليهم فيه.. إلخ.

ونحن لا نوافق فيه ما ذهب إليه للأسباب التالية:

١- الذى عليه المفسرون أن المراد بالأرض فى قوله تعالى:

﴿وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ فِي الْكِتَابِ لُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ﴾

أرض الشام التى كان يسكنها اليهود وقت نزول التوراة، وليس المراد بها أرض الجزيرة العربية، لأنها - كما عرفنا - لم تكن سكناً لهم عند نزول التوراة.

٢- نحن نعرف أنهم حصل منهم إفساد فى عهد النبى ﷺ - كما سبق ولكن هذا الإفساد - رغم ضراوته - كان دون ما قاموا به من إفساد قبل ذلك، بدليل أن الحق تبارك وتعالى قد نعى عليهم فى القرآن الكريم رذائل كثيرة اقترفوها..

(١) بنو إسرائيل فى القرآن والسنة : ٢ : ٣٨٥ وما بعدها بتصرف.

منها أنهم قتلوا قبل بعثة خاتم النبيين ﷺ بعض أنبياء الله، وحاولوا قتل عيسى، واتخذوا لذلك كافة الطرق والوسائل، إلا أنهم لم يفلحوا في مسعاهم لأسباب خارجة عن إرادتهم.

وإذاً فإفسادهم في الأرض قبل بعثة النبي ﷺ كان أشد وأفحش من إفسادهم بعد بعثته ﷺ.

٣- إفسادهم في الأرض في عهد النبي ﷺ وأصحابه، كان يأخذ في غالبه - كما أسلفنا - طابع النفاق والمخادعة وعدم المجاهرة، خوفاً من المسلمين، عدا ما عرفنا من معارك خبير، أما إفسادهم قبل ذلك فكان يأخذ طابع الظلم الصريح، والعصيان الواضح، والطغيان المتعمد، كما يفيدته قوله تعالى:

﴿وَلَعَنَّ عُلُوَّكَبِيرًا﴾

وهذا يدل على أن المقصود بإفسادهم في الأرض مرتين، ما كان منهم قبل بعثة خاتم النبيين ﷺ.

٤- قوله تعالى ﴿وَلَعَنَّ عُلُوَّكَبِيرًا﴾ هذا العلو الكبير الذي وصفتهم به الآية الكريمة لا ينطبق على حالهم في عهد النبي ﷺ ولا في عهد أصحابه، لأن اليهود في هذه الفترة كانوا يمثلون جزءاً من اليهود المنتشرين في الأرض، وبلغ بهم ضعف الحال أن بعضهم انضم إلى طائفة الخزرج، وبعضهم انضم إلى طائفة الأوس - كما عرفنا - فإذا ما حصل قتال بين الطائفتين، قاتل حلفاء الخزرج من اليهود إخوانهم المنضمين إلى الأوس، وقاتل حلفاء الأوس من اليهود أبناء عمومته حلفاء الخزرج، وقد بين القرآن الكريم ذلك في قوله تعالى:

﴿ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقُولُونَ أَنفُسُكُمْ تُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنْكُمْ مِّن دِينِهِمْ
تَضَاهُونَ عَلَيْهِم بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِن يَأْتُوكُمُ اسْرِي تَقْدُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ
عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ﴾ (١)

وإذاً فقولته تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا﴾ عقب قوله تعالى:

(١) البقرة: ٨٥.

﴿وَلَعَلَّكُمْ عَلَوًا كَبِيرًا﴾ ينطبق على أدوار الفساد الكبيرة التي قاموا بها قبل الإسلام، أيام أن طغوا وبغوا وعلوا وعلوا كبيرا في الأرض.

٥- ما أصابهم من عقوبات في عهد النبي ﷺ وفي عهد أصحابه، جزاء عذرهم - كما أسلفنا - شيء هين بالنسبة لما أصابهم من عقوبات قبل ذلك، على أيدي البابليين والرومان وغيرهم، لأن ما أصابهم في العهد النبوي كان عدلا، وكان يختلف من موقف إلى آخر، وكان في الوقت ذاته ينصب على الجزء الذي يسكن الجزيرة العربية من اليهود، بينما العقوبات التي نزلت بهم قبل ذلك، على أيدي البابليين والرومان - مثلا - كانت لجميع اليهود الذين كانوا متجمعين في منطقة واحدة، هي أرض الشام.

ثم إن العقوبات التي أنزلها المسلمون بهم في صدر الإسلام، كانت في أوقات متفرقة، وكانت على قدر إساءة المسيء منهم..

ومن هذا نرى أن ما قام به اليهود من إفساد في المرة الأولى ينطبق على الدور الذي قاموا به قبل الإسلام، وأن العباد الذين سلطهم الله عليهم عليهم لإذلالهم بسبب فسادهم وإفسادهم كانوا أيضا قبل الإسلام.

رابعا : جزم بأن المعاقبين لليهود في المرة الأولى لا تنطبق أوصافهم إلى على أصحاب رسول الله ﷺ، فهم الذين يستحقون شرف هذه النسبة.. وهم الذين لم يكلفهم تأديب اليهود إلا أن جاسوا خلال الديار، أما أتباع بختنصر فقد ذكروا أنه قتل على دم زكريا وحده سبعين ألفا.. فهو اجتياح وليس جوسا..

ونحن نخالفه في ذلك لأمر، أهمها:

أ - أن الناس جميعا مؤمنهم وكافرهم عباد لله تعالى، والذين سلطهم الله على بني إسرائيل لإذلالهم بعد إفسادهم الأول هم عباد له مع كفرهم.

ومن الأدلة على ذلك قوله تعالى :

﴿لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ وَ مِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهَ بِهِ عِبَادَهُ وَيَعْبَادُونَ﴾ (١)

(١) الزمر : ١٦ .

ففى هذه الآفة نسب الله تعالى العباد إلى نفسه. بصيغة العموم التى تشمل مؤمنهم وكافرهم، وهناك آيات أخرى نسب الله فيها العباد جميعا إلى ذاته، سواء أكانوا مؤمنين أم كافرين^(١).

ب - يقول: وهم الذين لم يكلفهم تأديب اليهود إلا أن جاسوا خلال الديار.. ولم يبين لنا معنى الجوس عنده. إلا أن الذى يفهم من كلامه أن الجوس - فى رأيه - معناه التردد بين الدور والمساكن بدون قتال يذكر.

وهذا التفسير للجوس - فى رأينا - يأباه سياق الآيات، ومخالف للمشهور عن أئمة التفسير واللغة..

أما أنه يأباه سياق الآيات، فلأن الآية تذكر أن فسادا كبيرا، وطغيانا عظيما يقع على بنى إسرائيل فى المرة الأولى من مرتى إفسادهم، وأنهم بعد ذلك يؤدبون على إفسادهم، بأن يبعث الله عليهم عبادا له أقوياء، وقد بين الله تعالى مهمة هؤلاء العباد فقال: ﴿فَجَاسُوا خَلَالَ الدِّيَارِ﴾ أى فترددوا بين مساكنكم يا بنى إسرائيل، لقتلكم ولسلب أموالكم ولتخريب دياركم. وهذا ينطبق على ما نزل باليهود من عقوبات عامة مدمرة قبل الإسلام، على يد البابليين والرومان وغيرهم، ولا ينطبق على العقوبات التى أنزلها المسلمون بهم فى العهد النبوى، لأنها كانت عقوبات تتسم بالعدالة - كما عرفنا - إذ لم تتناول إلا من يستحقها منهم.

وأما أنه مخالف للمشهور عن أئمة التفسير واللغة فى معنى الجوس فأليك الدليل:

١- قال ابن جرير: وكان بعض أهل المعرفة بكلام العرب من أهل البصرة يقول:

معنى جاسوا: قتلوا، ويستشهد لقوله ذلك ببيت حسان:

ومنا الذى لاقى بسيف محمد فجاس به الأعداء عرض العساكر

قال: وجائز أن يكون معناه: فجاسوا خلال الديار، فقتلوهم ذاهبين وجائين^(٢).

قال القرطبى: فجمع بين قول أهل اللغة^(٣).

(١) انظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم (عبد).

(٢) تفسير الطبرى: ١٥: ٢٧ - ٢٨.

(٣) تفسير القرطبى: ١٠: ٢١٦.

٢- وقال صاحب الكشف: وأسند الجوس - وهو التردد خلال الديار بالفساد - إليهم، فتخريب المسجد وإحراق التوراة من جملة الجوس المسند إليهم^(١).

٣- وقال البيضاوى^(٢): (فجاسوا) ترددوا لطلبكم.. (خلال الديار) وسطها للقتل والغارة، فقتلوا كبارهم، وسبوا صغارهم، وحرقوا التوراة، وخرّبوا المسجد.

٤- وقال ابن منظور: الجوس: مصدر جاس جوسا وجوسانا: تردد، وفي التنزيل العزيز: «فجاسوا خلال الديار» أى ترددوا بينهما للغارة، وهو الجوسان، وقال الفراء: قتلوكم بين ييوتكم.. وقال الزجاج: «فجاسوا خلال الديار» أى فطافوا فى خلال الديار ينظرون، هل بقى أحد لم يقتلوه؟^(٣).

ومن هذه النصوص يتبين لنا أن الجوس معناه هنا التردد بين الديار للقتل والإفساد..

ثم على فرض التسليم برأيه فى معنى الجوس لنا أن نسأل: هل المسلمون لم يكلفهم تأديب اليهود إلا أن جاسوا خلال الديار؟

الذى يبدو أن المسلمين كلفهم تأديب اليهود أكثر من ذلك، لأنهم بالنسبة لبنى قينقاع حاصروهم بضعة عشر يوما، وأجلوهم عن المدينة - كما أسلفنا - بعد مفاوضات ومجادلات.. وبالنسبة لبنى النضير حاصروهم المسلمون - كذلك - حتى اضطروا إلى الجلاء عن المدينة.. وبالنسبة لبنى قريظة حاصروهم المسلمون - أيضا - ثم قتلوا المقاتلين.. وبالنسبة ليهود خيبر دارت معارك ضارية - كما عرفنا - انتهت بالقضاء على اليهود عسكريا.. فتأديب اليهود قد كلف المسلمين أكثر من جوس الديار، بالمعنى الذى يراه.

ج- قوله تعالى:

﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسْئُواْ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُواْ الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوْهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيَبُيِّرُوْاْ مَا عَلَوْاْ تَبِيْرًا ۝﴾

يفيد أن المسجد يؤخذ من أيدي اليهود عنوة، ومن يأخذه يخربه ويهدمه، وهذه الأوصاف والأعمال تنطبق على البابليين والرومان وغيرهم، لأنهم عندما دخلوا أورشليم قبل الإسلام دمروها وهدموا هيكلها.

(١) تفسير الكشف: ٢: ٣٥٢.

(٢) تفسير البيضاوى: ٣٧١.

(٣) لسان العرب: (جوس)، وانظر: تاج العروس، والمعجم الوسيط.

أما المسلمون فإنهم عندما فتحوا فلسطين في عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه سنة ١٥ هـ - ٦٣٦ م لم يكن لليهود أثر فيها، ولم يأخذوا المسجد الأقصى منهم، وإنما أخذوه من النصارى، وهم الرومان يومئذ، الذين كانوا قد استولوا على بلاد الشام مئات السنين، ثم بعد أن دخلوه أزالوا معالم الوثنية والشرك، وطهروه للعبادين، ولم يحصل من المسلمين تخريب أو تدمير لمسجد أو غيره من بلاد الله كما يفيد قوله تعالى :

﴿وَلْيُبَيِّرُوا مَا عَلَوْا تَبِيرًا﴾

وإذا فالعباد الذين سلطهم الله على بنى إسرائيل بعد إفسادهم الأول فى الأرض، تنطق أوصافهم وأعمالهم وعقوباتهم المدمرة لبنى إسرائيل على العباد الذين أذلهم قبل الإسلام، كالبابليين والرومان، ولا تنطبق على أصحاب رسول الله ﷺ كما قال .

خامسا: تحدث تحت عنوان رد الكرة فقال: قال تعالى :

﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكُرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ فَنِينَ وَجَعَلْنَا كَمَا كَفَرْتُمْ أَكْثَرُ نُفِيرًا﴾

ردت ليهود الكرة علينا بعد ألف وثلاثمائة ونيف وسبعين من تأديب الله لهم، منذ بعث عليهم عباده المؤمنين من أصحاب رسول الله ﷺ فجاسوا خلال الديار . إلخ

ونحن لا نواقفه لأمر، منها:

أ - أن قوله تعالى :

﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكُرَّةَ عَلَيْهِمْ﴾

يفيد أنه حسنت حالهم، وتركوا ما هم عليه من فساد وإفساد، حتى رد الله لهم الكرة على عدوهم، وتلك سنة الله فى خلقه، ينصر من تاب إليه وأناب، وهذا المعنى الذى تفيد الآية لا يمكن أن يوصف به اليهود فى عصرنا، إذ هم ما زالوا على فسادهم وإفسادهم وكفرهم وطغيانهم، ولكن يمكن أن توصف به القلة المؤمنة التى أطاعت طالوت وقاتلت معه - كما أسلفنا - وأيدت داود عليه السلام وناصرته، وقالت عندما برزت للجالت وجنوده:

﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ٥٥﴾ فَهَرَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ

وإذا فقله تعالى :

﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكُرَّةَ عَلَيْهِمْ﴾

أكثر ما يكون انطباقا على بنى إسرائيل الذين قاتلوا مع طالوت بعزيمة صادقة، وإيمان راسخ، وصبر جميل، ولهذا نصرهم الله على أعدائهم .

ب - ما قاله من أن اليهود ردت الكرة علينا، وأمدوا بثلاث، ما أمدوا فى تاريخهم بمثلها: بأموال تتدفق عليهم من أقطار الأرض.. وبنين مهاجرين ومقاتلين.. وكثرة الناصر لهم والنافر لنجدتهم.. الخ ينطبق على حالهم فى عهد داود عليه السلام - كما أسلفنا - لأنهم فى ذلك العهد أمدهم الله بالأموال الكثيرة، والبنين الوفيرة، وصاروا أكثر عددا من أعدائهم، ولعلنا لا نتجاوز الحقيقة إذا قلنا: إن عهد حكم داود وسليمان عليهما السلام لبنى إسرائيل هو العهد الذهبى الوحيد لهم طوال تاريخهم، أما ما جاء بعد ذلك من تاريخ بنى إسرائيل إلى وقتنا الحاضر، فما هو إلا سلسلة من المآسى والنكبات - كما عرفنا وكما سيجىء - وسيستمر احتقار العالم لهم، وكرهه إياهم، وانتقامه منهم إلى يوم القيامة، وإن بدا فى عصرنا هذا أنه متعاطف معهم ومساند لباطلهم، وذلك بسبب أنانيتهم وسعيهم فى الأرض فسادا، وقد صرح القرآن الكريم بذلك فى قوله تعالى:

﴿وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ يَبْعَثْ عَلَيْهِمُ إِلَىٰ يَوْمِ الْبَيْعَةِ مَن يَوْمُهُمْ سُوءُ الْعَذَابِ﴾ (١)

هذا، وإن اليهود مهما أمدوا وأعينوا من دول الكفر الكبرى فهم ليسوا أكثر أبناء ولا نفيرا منا نحن المسلمين، وليسوا أيضا أكثر أموالا منا إذا وازنا بين ما نملكه من ثروات فوق الأرض وتحتها، ومن قدرة على العمل الذى يجلب المال بحكم كثرة العدد، لو أحسنا التصرف فيما نملك.

وعندما يطبق المسلمون تعاليم إسلامهم تطبيقا كاملا، ويؤدون رسالتهم فى الحياة كما أمرهم الله، ويحسنون الشعور بالمسئولية، ويراقبون الله فى كل تصرفاتهم.. عندما يكونون كذلك يفتح الله عليهم بركات من السماء والأرض..

سادسا: يقول: وقد قرر سبحانه أنه سيجمعهم ألفافا لينبذهم، فقال:

﴿ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرِ فِجَنَّاكُمْ لَفِيًّا ﴾

ويبدو بوضوح أنه يفسر (الآخرة) هنا بمعنى المرة الآخرة من مرتى إفسادهم .. وهو مخالف لأقوال المفسرين.

قال ابن جرير (١) : فإذا جاءت الساعة، وهى وعد الآخرة، جئنا بكم لفيفا، يقول: حشرناكم من قبوركم إلى موقف القيامة لفيفا: أى مختلطين، قد التف بعضهم ببعض، لا تتعارفون، ولا ينحاز أحد منكم إلى قبيلته وحيه.

وقال القرطبي (٢): ﴿ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرِ ﴾ أى القيامة ﴿ فِجَنَّاكُمْ لَفِيًّا ﴾ أى من قبوركم مختلطين من كل موضع، قد اختلط المؤمن بالكافر، لا يتعارفون.

وقال صاحب الكشف (٣): ﴿ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرِ ﴾ يعنى قيام الساعة ﴿ فِجَنَّاكُمْ لَفِيًّا ﴾ جميعا مختلطين إياكم وإياهم، ثم ينحكم بينكم، ويميز بين سعدائكم وأشقائكم.

وقال القاسمى: أى قيام الساعة (٤) ..

سابعاً: يقول فى صدر مقاله : وأبادر فأطمئن الذين يهولهم هذا التخريج فيرونه مخالفاً للمأثور والمعروف من أقوال المفسرين إلى أنه لم يصح عن رسول الله ﷺ فيه شىء، وإلى أن المأثور عن بعض الصحابة مضطرب لا تقوم به حجة، وإلى أن الأمر لا يعدو أن يكون تاريخاً أو تأويلاً، لا يقاoul فى مخالفته إنه تحريف للكلم عن مواضعه

وهذا القول نرد عليه - أولاً - بأنه خروج عن ظاهر القرآن، بل عن صريحه الذى لا يمكن للمتأمل أن يفهم غيره، وهو أن المراد من الكتاب فى قوله تعالى ﴿ وَقَضَيْنَا إِلَىٰ آلِ إِبْرَٰهِيمَ فِي الْأَكْتَبِ ﴾ هو التوراة، لا القرآن الكريم.. وهذا - كما سبق - هو قول جمهور المفسرين.

والخروج عن النصوص الصريحة يعتبر مجافاة للحق، ولا ينبغى للمسلم أن يتجاوز مدلول الألفاظ القرآنية ويخرج عما تقتضيه معانيها.

(٢) تفسير القرطبي : ١٠ : ٣٣٨ .

(٤) تفسير القاسمى : ١٠ : ٤٠٠٨ .

(١) تفسير الطبرى : ١٥ : ١٧٦ - ١٧٧ .

(٣) تفسير الكشف : ٢ : ٣٧٧ .

ونرد عليه - ثانيا - بأن ذلك لا يساعد عليه التاريخ الصحيح - كما أسلفنا - فإذا
ضممنا إلى ذلك أن الآيات تفيد أن رد الكرة لليهود يكون نتيجة صلاح قى الدين،
وإحسان فى العمل، وتوبة من الآثام.. كان استيلاء اليهود اليوم على فلسطين نتيجة لذلك
.. وهذا كله يناقض الواقع الذى نلمسه بأيدينا، من حيث فسادهم وإفسادهم واعتداؤهم
وطغيانهم .. وعلىنا أن نجتمع على العقيدة ونمكن لدين الله فى الحياة .. حتى ينصرنا
الله..

ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله..

* * *

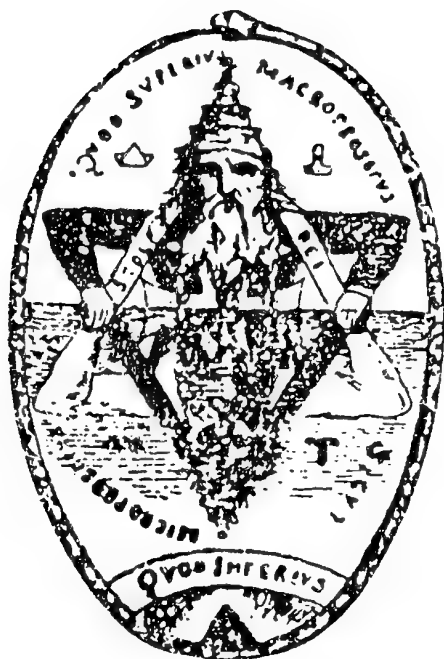
الفصل الثانى

بروتوكولات حكماء صهيون

تاريخ البروتوكولات - مؤامرة شريرة ضد البشرية - معنى
البروتوكولات - أخطر كتاب ظهر فى العالم - قرارات المؤتمر الصهيونى
الأول واختلاس البروتوكولات - دعر اليهود لنشر البروتوكولات وأثر
ذلك - استمرار المعارك - الاغتيال - تقدير العقاد - تصدير الطبعة
الخامسة للترجمة الإنجليزية - كيف ظهرت البروتوكولات للعالم
- البروتوكول الأول - البروتوكول الثانى - البروتوكول الثالث -
البروتوكول الرابع - البروتوكول الخامس - البروتوكول السادس -
البروتوكول السابع - البروتوكول الثامن - البروتوكول التاسع -
البروتوكول العاشر - البروتوكول الحادى عشر - البروتوكول الثانى
عشر - البروتوكول الثالث عشر - البروتوكول الرابع عشر -
البروتوكول الخامس عشر - البروتوكول السادس عشر - البروتوكول
السابع عشر - البروتوكول الثامن عشر - البروتوكول التاسع عشر -
البروتوكول العشرون - البروتوكول الحادى والعشرون - البروتوكول
الثانى والعشرون - البروتوكول الثالث والعشرون - البروتوكول الرابع
والعشرون - تعقيب الأستاذ سرجى نيلوس - قول ماركس اليهودى.

«نحن اليهود لسنا إلا سادة العالم ومفسديه . ومحركي الفتن فيه وجلاديه» .

(الدكتور أوسكار ليفي)



الشعار اليهودي- البلشفي محوياً

بالأفعى الرمزية . انظر تصدير

البريطان، والبروتوكول ٣،

وتعقيب الأستاذ نيلوس .

تاريخ البروتوكولات :

يقول الدكتور أحمد شلبي^(١) تدل الظواهر على وجود علاقة زمنية بين البروتوكولات وبين نهاية القرن التاسع عشر، وعلى وجود ارتباط بين هذه البروتوكولات وبين مؤتمر « بال » الذي عقد سنة ١٨٩٧م^(٢).

مؤامرة شريرة ضد البشرية:

وهذه البروتوكولات عبارة عن مؤامرة شريرة ضد البشرية، ويبدو أنها كانت رد فعل لما عاناه اليهود خلال القرن التاسع عشر من اضطهاد في أوروبا، وما نزل بهم من جور وتعسف، فندارسوا في هذا المؤتمر - ضمن ما تدارسوه - وسائل الانتقام من البشرية جميعا التي اعتقد اليهود أنها اشتركت كلها بطريق أو بآخر في إذلالهم والنيل منهم.

معنى البروتوكولات:

وبروتوكولات معناها: محاضر جلسات، ويسميتها بعض الباحثين « قرارات » وتلتقى التسميتان إذا لاحظنا نصوص البروتوكولات، وأنها عبارة عن تقرير وضعه بعض الباحثين - وأن هذا التقرير عرض على المؤتمرين في « بال » بسويسرا، وأن المؤتمرين أقروه، فالبروتوكولات تقرير بالنسبة لوضعها، ومحاضر بالنسبة لعرضها على المؤتمرين في جلساتهم، وقرارات بالنسبة لقبولها وتأييدها.

أخطر كتاب ظهر في العالم:

والكتاب الذي ضم أول ترجمة عربية أمينة كاملة لتلك البروتوكولات ، أخطر كتاب ظهر في العالم - كما يقول المرحوم الأستاذ محمد خليفة التونسي^(٣) - ولا يستطيع أن

(١) مقارنة الأديان : اليهودية : ٢٥٦ بتصرف.

(٢) يرى بعض الباحثين أن هذه البروتوكولات كانت القرارات السرية لمؤتمر بال ، أما القرارات العلنية فهي التي أعلنت عن ضرورة قيام دولة لليهود في فلسطين.

(٣) الخطر اليهودي : بروتوكولات حكماء صهيون : ٢٩ وما بعدها بتصرف.

يقدره حق قدره إلا من يدرس البروتوكولات كلها كلمة كلمة فى أناة وتبصر، ويربط بين أجزاء الخطة التى رسمتها، على شرط أن يكون بعيد النظر، فقيها بتيارات التاريخ وسنن الاجتماع، وأن يكون ملما بحوادث التاريخ اليهودى والعالمى بعامة، لا سيما الحوادث الحاضرة وأصابع اليهود من ورائها، ثم يكون خبيراً بمعرفة الاتجاهات التاريخية والطبائع البشرية، وعندئذ وحسب ستتكشف له مؤامرة يهودية جهنمية، تهدف إلى إفساد العالم وانحلاله، لإخضاعه كله لمصلحة اليهود، ولسيطرتهم دون سائر البشر!

ولو توهمنا أن مجمعا من أعتى الأبالسة الأشرار قد انعقد ليتبارى أفرادهم أو طوائفه منفردين أو متعاونين فى ابتكار أجرم خطة لتدمير العالم واستعباده، إذن لما تفتق عقل أشد هؤلاء الأبالسة إجراما وخسة وعنفا عن مؤامرة شر من هذه المؤامرة التى تمخض عنها المؤتمر الأول لحكماء صهيون سنة ١٨٩٧م، وفيه درس المؤتمرون خطة إجرامية لتمكين اليهود من السيطرة على العالم، وهذه البروتوكولات توضح أطرافا من هذه الخطة!

إن هذا الكتاب لينضح بل يفيض بالحقد والاحتكار والنقمة على العالم أجمع العالم أجمع ويكشف عن فطنة حكماء صهيون إلى ما يمكن أن تنطوى عليه النفس البشرية من خسة وقسوة ولؤم، كما يكشف عن معرفتهم الواسعة بالطرق التى يستطيع بها استغلال نزعاتها الشريرة العارمة، لمصلحة اليهود وتمكينهم من السيطرة على البشر جميعا، بل يكشف عن الوسائل الناجحة التى أعدها اليهود للوصول إلى هذه الغاية!

هذا الكتاب يوقف أمامنا النفس البشرية على مسرح الحياة اليومية الأرضية مفضوحة كل معانيها، عارية من كل ملابسها التى نسجتها الإنسانية فى تطورها من الوحشية إلى المدنية، لتستر بها عوراتها، وتلطف بها من حدة نزعاتها، وتتسامى بها إلى أفق مهذب!

إن هذه الملابس أو الضوابط كالشرائع والقوانين والعادات الكريمة قد استطاعت خلال تطورات التاريخ أن تخفى كثيرا من ميول النفس السيئة، وتعطل كثيرا منها ومن آثارها، ولكن حكماء صهيون هنا قد هتكوا كل هذه الملابس، وأنكروا كل هذه الضوابط، وفضحوا أمامنا الطبيعة البشرية، حتى ليحس الإنسان - وهو يتأملها فى هذا الكتاب - بالغثيان، والاشمئزاز والدوار، ويود لو يغمض عينيه، أو يلوى وجهه، أو يفر بنفسه هربا من النظر إلى بشاعتها، وبينما هم يبرزون الجوانب الشريرة فى الطبيعة البشرية يخبئون النواحي الخيرة منها، أو يهملونها من حسابهم. فيخطئون. وهنا تظهر مواضع الضعف فى نظرياتهم وما يرتبون عليها من خطط...!

وهم لا يخطئون غالبا إلا مغرضين، وذلك عندما تعميهم اللهفة والحرص على تحقيق أهدافهم قبل الأوان، أو يفيض في نفوسهم الحقد العريق الذى يمد لهم مدا فى اليأس من كل خير فى الضمير البشرى، فيتساهلون مضطرين فى اختيار الأسس والوسائل القوية لهذه الغايات، وندر ما نظروا إلى شىء إلا وعيونهم مكحولة بل مغشاة بالأهواء الجامحة، ولذلك قلما تسلم لهم خطة تامة إلى أمد بعيد!

قرارات المؤتمر الصهيونى الأول واختلاس البروتوكولات:

عقد زعماء اليهود ثلاثة وعشرين مؤتمرا منذ سنة ١٨٩٧م حتى سنة ١٩٥١م وكان آخرها هو المؤتمر الذى انعقد فى القدس لأول مرة فى أغسطس من هذه السنة، لبحث فى الظاهر مسألة الهجرة إلى إسرائيل وحدودها، كما ذكرت جريدة الزمان فى ٢٨/٧/١٩٥١م وكان الغرض من هذه المؤتمرات جميعا دراسة الخطط التى تؤدى إلى تأسيس مملكة صهيون العالمية.

أما أول مؤتمراتهم فكان فى مدينة بال بسويسرا سنة ١٨٩٧م برياسة زعيمهم «هرتزل» وقد اجتمع فيه نحو ثلثمائة من أعتى حكماء صهيون كانوا يمثلون خمسين جمعية يهودية، وقد قرروا فى المؤتمر خطتهم السرية لاستعباد العالم كله تحت تاج ملك من نسل داود، وكان قراراتهم فيه سرية محوطة بأشد أنواع الكتمان والتحفظ إلا عن أصحابها بين الناس، أما غيرهم فمحجوبون عنها، ولو كانوا من أكابر زعماء اليهود، فضلا عن فضح أسرارها سرا، وإن كان فيما ظهر منها ما يكشف بقوة ووضوح عما لا يزال خافيا!

فقد استطاعت سيدة فرنسية أثناء اجتماعها بزعيم من أكابر رؤسائهم فى وكر من أوكارهم الماسونية السرية فى فرنسا، أن تختلس بعض الوثائق ثم تفر بها، والوثائق المختلسة هى هذه البروتوكولات التى بين أيدينا.

وصلت هذه الوثائق إلى «أليكس نيقولا نيفتش» كبير جماعة أعيان روسيا الشرقية فى عهد القيصرية، فقدر خطورتها ونياتها الشريرة ضد العالم، لا سيما بلاده روسيا، ثم رأى أن يضعها فى أيدي أمينة أقدر من يده على الانتفاع بها ونشرها، فدفعها إلى صديقه العالم الروسى الأستاذ «سرجى نيلوس» الذى لا شك أنه درسها دراسة دقيقة كافية، وقارن بينها وبين الأحداث السياسية الجارية يومئذ، فأدرك خطورتها أتم إدراك، واستطاع من

جاء هذه المقارنة أن يتنبأ بكثير من الأحداث الخطيرة التي وقعت بعد ذلك بسنوات كما قدرها، والتي كان لها دوى هائل فى جميع العالم، كما كان لها أثر فى توجيه تاريخه وتطوراته..!

منها نبوءته بتحطيم القيصرية فى روسيا، ونشر الشيوعية فيها، وحكمها حكما استبداديا غاشما، واتخاذها مركزا لنشر المؤتمرات والقلق فى العالم!
ومنها نبوءته بسقوط الخلافة الإسلامية العثمانية على أيدي اليهود قبل تأسيس إسرائيل!

ومنها نبوءته بعودة اليهود إلى فلسطين، وقيام دولة إسرائيل فيها!
ومنها نبوءته بسقوط الملكيات فى أوروبا، وقد زالت الملكيات فعلا فى ألمانيا والنمسا ورومانيا وأسبانيا وإيطاليا!

ومنها إثارة حروب عالمية لأول مرة فى التاريخ، يخسر فيها الغالب والمغلوب معا، ولا يظفر بمغانمها إلا اليهود. وقد نشبت منها حربان واليهود يهيئون الأحوال الآن لنشوب الثالثة، فنفوذ اليهود فى أمريكا لا يعادله نفوذ أقلية، ثم إنهم أهل سلطان فى روسيا، وهاتان الدولتان أعظم قوتين عالميتين، واليهود يجرونهما إلى الحرب لتحطيمهما معا، وإذا تحطمتا ازداد طمع اليهود فى حكم العالم كله حكما مكشوفاً بدل حكمهم إياه حكما مقنعا!

ومن نبوءته أيضا نشر الفتن والقلق والأزمات الاقتصادية دوليا، وبنين الاقتصاد على أساس الذهب الذى يحتكره اليهود!
وغير ذلك من النبوءات كثير!

يقول الأستاذ التونسى: وأنا لا أتقول على الأستاذ «نيلوس» فى كل ذلك لأضيف إليه فضلا ليس له، لأنه كله مدون تفصيلا فى المقدمة والتعقيب اللذين كتبتهما هو للبروتوكولات، وهما مترجمتان فى طبعتنا هذه - التى نقدمها فى هذا الكتاب - وجميع ذلك يدل على إحاطة الرجل خبرا بحوادث زمانه، وحسن دراسته للبروتوكولات، وبعد نظره السياسى، وفقهه بالاجتماع.

ذعر اليهود لنشر البروتوكولات وأثر ذلك:

وقع الكتاب فى يد «نيلوس» سنة ١٩٠١م، وطبع منه نسخا قليلة لأول مرة بالروسية

سنة ١٩٠٢ فافتضحت نيات اليهود الإجرامية، وجن جنونهم خوفا وفزعا، ورأوا العالم يتنبه إلى خططهم الشريرة ضد راحته وسعادته، وعمت المذابح ضدهم فى روسيا.. واشتد هلعهم لذلك كله، فقام زعيمهم الكبير الخطير «تيودور هرتزل» أبو الصهيونية، وموسى اليهود فى العصر الحديث يلطم ويصرخ لهذه الفضيحة، وأصدر عدة نشرات يعلن فيها أنه قد سرقت من «قدس الأقداس» بعض الوثائق السرية التى قصد إخفاؤها على غير أصحابها، ولو كانوا من أعظم اليهود، وأن ذبوعها قبل الأوان يعرض اليهود فى العالم لنشر النكبات، وهب اليهود فى كل مكان يعلنون أن البروتوكولات ليست من عملهم، لكنها مزيفة عليهم، ولكن العالم لم يصدق مزاعم اليهود للاتفاقات الواضحة بين خطة البروتوكولات والأحداث الجارية فى العالم يومئذ، وهذه الاتفاقات لا يمكن أن تحدث مصادفة لمصلحة اليهود وحدهم، وهى أدلة بينة أو قرائن أكيدة لا سبيل إلى إنكارها أو الشك فيها، فانصرف الناس عن مزاعم اليهود، وآمنوا إيماناً وثيقاً أن البروتوكولات من عملهم، فانتشرت هى كما انتشرت تراجمها إلى مختلف اللهجات الروسية، وانتشرت معها المذابح والاضطهادات ضد اليهود فى كل أنحاء روسيا، حتى لقد قتل منهم فى إحدى المذابح عشرة آلاف، وحوصروا فى أحيائهم!

واستقتل اليهود فى الدفاع عن أنفسهم، وسمعتهم المهتوكة، وجدوا فى إخفاء فضيحتهم أو حصرها فى أضيق نطاق، فأقبلوا يشترون نسخ الكتاب من الأسواق بأى ثمن، ولكنهم عجزوا، واستعانوا بذهبهم ونسائهم وتهديداتهم ونفوذ هيئاتهم وزعمائهم فى سائر الأقطار الأوربية، لا سيما بريطانيا، لكى تضغط على روسيا دبلوماسياً، لإيقاف المذابح، ومصادرة نسخ الكتاب علنياً، فتم لهم ذلك بعد جهود جبارة!

ولكن «نيلوس» أعاد نشر الكتاب مع مقدمة وتعقيب بقلمه سنة ١٩٠٥م، ونفدت هذه الطبعة بسرعة غريبة بوسائل خفية، لأن اليهود جمعوا نسخها من الأسواق بكل الوسائل وأحرقوها، ثم طبع فى سنة ١٩١١م فنفدت نسخة على هذا النحو، ولما طبع سنة ١٩١٧م صادرة البلاشفة الشيوعيون الذين استطاعوا فى تلك السنة تدمير القيصرية، والقبض على أزمة الحكم فى روسيا، وكان معظمهم من اليهود الصرخاء أو المستورين أو من صنائهم، ثم اختفت البروتوكولات من روسيا حتى الآن!

وكان قد وصلت نسخة من الطبعة الروسية سنة ١٩٠٥م إلى المتحف البريطانى British Museum فى لندن ختمت بخاتمة، وسجل عليها تاريخ تسليمها

(١٠ أغسطس سنة ١٩٠٦م) وبقيت النسخة مهمة حتى حدث الانقلاب الشيوعي في روسيا سنة ١٩١٧م، فوقع اختيار جريدة ال«مورننج بوست» Morning post على مراسلها الأستاذ «فكتور مارسدن» ليوافيها بأخبار الانقلاب الشيوعي من روسيا، واطلع قبل سفره على عدة كتب روسية كانت من بينها البروتوكولات التي بالمتحف البريطاني، فقرأ النسخة وقدر خطرها، ورأى - وهو في سنة ١٩١٧م - نبوءة ناشرها الروسي الأستاذ نيلوس بهذا الانقلاب سنة ١٩٠٥م، أى قبل وقوعه بأثنتى عشرة سنة، فعكف المراسل فى المتحف على ترجمتها إلى الإنجليزية ثم نشرها - وهو الذى أطلق عليها عنوان «الخطر اليهودى» إضافة إلى عنوانها الأول، وقدمه عليه فى طبعته، وكتبه بحروف أكبر ليزيده تنويها - وقد أعيد طبعها مرات بعد ذلك. كانت الأخيرة الخامسة منها سنة ١٩٢١م (ومنها نسختنا) ثم لم يجرؤ ناشر فى بريطانيا ولا أمريكا على طبعها بعد ذلك كما يقول مؤرخ إنجليزى معاصر. هو الأستاذ «دجلاس» فى كتبه عنى حركات سريية المعاصرة، ودون أن نطيل القول فى أسباب صمت الناشرين عنها - على ما وضحتها الأستاذ «ريد» - نتبين أصابع اليهود من وراء كل صمت مريب!

وفى سنة ١٩١٩م ترجم الكتاب إلى الألمانية، ونشر فى برلين، ثم توقف طبعه بعد أن جمعت أكثر نسخه، وكان هذا مظهرها من مظاهر نفوذ اليهودية فى ألمانيا قبل انتصارها عليها بعد الحرب العالمية الأولى...

ومن المتعذر أن نتتبع رحلة هذا الكتاب العجيب فى بلاد العالم بين الظهور والاختفاء..

استمرار المعارك:

واستمرت المعارك حول البروتوكولات تضعف أو تشتد فى بريطانيا.. وازدادت عنفا خلال الحرب العالمية الثانية وفى أدبارها، عندما حاول اليهود جهدهم تسخير بريطانيا لإقامة دولتهم «إسرائيل» وإجلاء العرب عن فلسطين وتخوم سيناء الشرقية فى مصر...

وخلال ذلك كله كان ذوو الأقلام الجريئة بين الساسة والصحفيين والمفكرين والأدباء فى بريطانيا يبدؤون ويعيدون فى حديث المؤامرة الصهيونية ضد بلادهم ودينهم..!

ومن دراسات هؤلاء الكتاب هناك مقالات صحفية نشر كثير منها فى الصحيفتين البريطانيتين «الموننج بوست» و«التايمز»، ومجلة «الرسالة» و«المقتطف» فى مصر نحو سنة

١٩٤٨م وأيضاً فصول من كتب، من أدق ما نشر منها فصل طويل للمؤرخ الإنجليزي المعاصر «دجلاس ريد»، فى القسم الرابع من كتابه «من الدخان إلى الخنق».

كما ظهرت كتب خاصة، من أوفاهها فى تحليل البروتوكولات ومقارنتها بأقوال زعماء اليهود والأحداث الجارية كتاب للمستتر «جون كريج سكوت»، ظهر بالإنجليزية سنة ١٩٥٤م أى بعد ظهور طبعتنا العربية بسنوات - وهى التى نقدمها فى هذا الكتاب - وقد ترجم كتابه إلى العربية فى مصر سنة ١٩٥٧م ونشرته دار النصر بعنوان «الحكومة السرية فى بريطانيا».

وقامت هذه كلها بتوضيح خطط البروتوكولات وأهدافها ووسائلها، معززة بالشواهد الكثيرة من الفتن العالمية، وتصريحات قادة اليهود فى القرنين الأخيرين!!
الاغتيال:

وشاع أنه ما من أحد ترجم هذا الكتاب أو عمل على إذاعته بأى وسيلة إلا انتهت حياته بالاغتيال أو بالموت الطبيعى ظاهراً، ولكن فى ظروف تشكك فى وسيلته!
وأفزعنا هذه الشائعة بعض الناس ومنعتهم ترجمته، ومن ذلك أن جريدة الأساس - إحدى الجرائد المصرية - تمكنت فى سنة ١٩٤٦م من الحصول بوسيلة صحفية على نشر للبروتوكولات، مكتوبة بالآلة الكاتبة لقاء ثمانين جنيهاً، ودفعت النسخة إلى أحد المترجمين فيها، وطلبت منه ترجمتها لقاء أجر إضافى كاف لإغرائه، فأحجم عن ترجمتها برهة، بعد أن بلغته تلك الشائعة..

وقد صرح الأستاذ التونسي بأن الذى طلبت منه الترجمة هو الأستاذ «أنيس منصور»، وقد أشار إلى ذلك فى الأخبار ٢٠/١٠/١٩٥٦م حيث قال ما نصه:

فى سنة ١٩٤٧م كنت محرراً فى جريدة الأساس، وكلفتنى الجريدة بترجمة بروتوكولات حكماء صهيون، وهذه البروتوكولات من الكتب السرية عند اليهود، ولا تعطى إلا لليهود فقط، ولاتباع فى المكتبات، لأنها مجموعة من الخطط المنطقية الخبيثة جداً للاستيلاء على العالم كله، وبدأت أقرأ هذه البروتوكولات التى نقلها لى على الآلة الكاتبة صحفى ألماني اسمه «هنرى كاستر» يحرر الآن صحيفة «درأرنت» الألمانية التى تصدر فى مصر، وفهمت فى ذلك الوقت أنه سرق كتاب البروتوكولات من مكتبة الحاخام!

وبدأت أقرأ الكتاب، وأجد كل الذين ترجموه فى إنجلترا وفرنسا وأسبانيا وإيطاليا قد قتلوا جميعا، وأن الصحف التى نشرته قد نسفت، لأن اليهود حريصون على أن يظل سرا!

وترددت قليلا.. ثم كثيرا.. وسألت العقاد عن صحة هذا الكلام فأيده ضاحكا، ولم أفهم فى ذلك الوقت هل كان العقاد جادا أو ساخرا.

وقرأت كتابا للصحفى الألمانى «كونراد مايرن» عن «الزعيم هتلر» وجاء فى الفصل الأول من هذا الكتاب أن فيلسوفه «روزنبرغ» قد استفاد من هذا الكتاب وطبقه على يهود ألمانيا وأبادهم جميعا!

ووجدت للكتب معنى آخر.. وفكرت فى ترجمته، ولم أكد أبدا فى كتابة المقدمة له حتى عرفت أن أديبا آخر هو «خليفة التونسى» قد فرغ من ترجمته.. وحمدت الله..

وذكر التونسى أن أنيس منصور لما علم أن الترجمة ستنتشر تباعا فى «مجلة الرسالة» حذره كثيرا، ولما رأى إصراره لقبه «الشهيد الحى» وكرر نصيحته بالخطر.

ويقول: وأنا أشكر لصديقنا الأستاذ أنيس خالص نصحه وإشفاقه وصراحته.. ولا أنسى أن أشكر له أيضا جملة «وحمدت الله» بكل معانيها الظاهرة والخفية، سواء منها الطيبة و.. الطيبة أيضا.. وأقول ما قال شاعر قديم يناجى نفسه أمام خطر كهذا:

فإن تنج منها تنج من ذى عزيمة وإلا فإنى إخالك ناجيا

قلت: وقد جاءنى التحذير مرات، أثناء إذاعة هذه الدراسات من إذاعة القرآن الكريم صباحا، وإعادة إذاعتها من البرنامج العام مساء، من إذاعة الكويت، على مدى سبعة أشهر كاملة!

ولا أدري ماذا يحدث بعد إعادة النظر فيها وطبعها وتداولها بين الناس، وأفوض أمرى إلى الله الذى استخلص لنفسه أنفسنا فلم يعد لنا منها شئ.. ولم يعد لنا خيار فى إقدام أو إحجام.. وما علينا إلا أن نمضى فى الطريق إلى الله لا نتلفت ولا نتخير، وإنها الحسنى على كل حال.. والشهادة فى سبيل الحق عليا الدرجات عند الله.. والمؤمن يستشعر - دائما - أنه أقوى من تهديد الطغاة البغاة العتاة، حين ينتصر الإيمان فيه على الحياة، ويدرك أن النفس

إلى موت ، وأن المال إلى فوت ، سواء أنفقهما فى سبيل الله أم فى سبيل سواه ! وهنا تفوح رائحة الجنة ، وتهب نفحات الإيمان ، ويدرك المؤمن أنه قضاء الله الغالب وقدره الذى لا يرد.

تقدير العقاد:

وفى مقدمة هذا الكتاب تقدير الأستاذ العقاد كما نشر فى جريدة الأساس فى ١٩٥١/١١/٢٣ وفيه:

والترجمة العربية التى بين أيدينا اليوم منقولة من الطبعة الإنجليزية الخامسة، نقلها الأديب المطلع الأستاذ محمد خليفة التونسى، وحرص على ترجمتها بغير تصرف يخل بمبناها ومعناها، فأخرجها فى عبارة دقيقة واضحة، وأسلوب فصيح سليم..

ثم قال: أجمل الأستاذ المترجم ما اشتملت عليه فصول الكتاب من شرح الخطط المتفق عليها، وهى تلخص فى تدبير الوسائل للقبض على زمام السياسة العالمية من وراء القبض على زمام الصيرفة، وفيها تفسير للمساعى التى انتهت بقبض الصيارفة الصهيونيين على زمام الدولار فى القارة الأمريكية ومن ورائها جميع الأقطار، وتفسير إلى جانب ذلك للمساعى الأخرى التى ترمى إلى السيطرة على المعسكر الآخر من الكتلة الشرقية، وانتهت بتسليم ذلك المعسكر إلى أيدي أناس من الصهيونيين أو الماديين الذين بنوا بزوجات صهيونيات يعملن فى ميادين السياسة والاجتماع.

وتتعدد وسائل الفتنة التى تمهد لقلب النظام العالمى وتهده فى كيانه بإشاعة الفوضى والإباحة بين شعوبه، وتسلط المذاهب الفاسدة والدعوات المنكرة على عقول أبنائه، وتقويض كل دعامة من دعائم الدين أو الوطنية أو الخلق القويم!

ذلك هو فحوى الكتاب، وجملة مقاصده ومراميه..

وها نحن نقدم البروتوكولات وفق أول ترجمة عربية أمينة كاملة، بتصرف يسير للتعليقات، حيث اقتضت الضرورة حذف أرقام الصفحات المقيدة بالطبعة التى سن منها، وحذف بعض الهوامش لإحالتها إلى أخرى، وتصويب بعض الأخطاء المطبعية، كما فى الهامش الثانى من البروتوكول الأول، حيث ورد (انظر البروتوكول ٣٠) والصواب (البروتوكول ٢٠).. وتعقينا على ما جاء فى الهامش قبل الأخير من التعليق على تقرير «نيلوس»!

تصدير الطبعة الخامسة للترجمة الإنجليزية

إن نفاذ طبعة أخرى أيضاً من هذا الكتاب ليدل على أنه لم ينقص تلهف الناس على استقبال أخبار بروتوكولات صهيون PROTOCOLS OF ZION ، وانه ليزداد وضوحاً في كل يوم أن سياسة البروتوكولات الآن تطبق بعنف على الأُميين، لأن حكوماتها كما يفاخر المستر إسرائيل زانجويل Mr . Israel Zangwill مطوقة باليهود ووكلائهم. وأن العالم مدين للأستاذ سرجي نيلوس Milus Professor Sergyei بنشر هذا الكتاب المفزع. وهكذا بينما روسيا تتخذ ضحية لبغضاء اليهودية الخالدة، ويقع عليها اختيار حكماء صهيون لتكون عبرة الانتقام اليهودي - فإن روسيا كذلك تكشف مدى الخطر الذي أيقظ العالم. وإن العالم لمدين لشجاعة هذا الابن الحق لروسيا الحقيقية، ولعزمه ووفائه، بأن كشفت الآن اليد الخفية Hidden Hand حتى جلدها ومخالبها، وأن الفوضى والعناء Chaos ^(١) ، الذي يطبق على كل مكان هنا ليجد في هذا الكتاب غايته وسببه واضحين.

على كل قارئ أن يدرس المقدمة والتعقيب اللذين قدمهما لنا نيلوس نفسه، ولا سيما التعقيب وصلته بالبروتوكولات الثالث الذي يكشف خطوات الأفقي الرمزية Sympolic Serpent ^(٢) في التفافها القاتل حول أوروبا. وأن حسرة الكاتب البالغة على مصير بلاده

(١) وضع الدكتور أحمد أمين بك (كلمة العناء) مقابلة لكلمة « Chaos » حين ترجم عن الإنجليزية كتاب « مبادئ الفلسفة » للأستاذ رايوبرت وذكر هناك سبب اختياره إياها ، وقد تابعناه في ذلك مع اختلاف استعمال الكلمة هنا عن استعمالها هناك من حيث الحقيقة والمجاز ، وهذا الاختلاف لا يمنع من متابعتنا ، لأن الكلمة معناها الفلسفي « المادة في حالة الاختلال وعدم الانظام » ومعناها المجازي هنا « الأحداث في اختلالها وعدم انتظامها » فبين المعنيين الأصلي والمجازي تشابه واضح .

(٢) ورد ذكر الأفقي الرمزية في البروتوكولات الثالث .. كما ورد أيضاً ذكرها والمراد منها بالتفصيل في التعقيب الذي كتبه الأستاذ نيلوس أول ناشر الكتاب (انظر في آخر الكتاب) وحسبنا هنا أن نذكر باختصار أن الأفقي رمز الأمة اليهودية، فأسماها يرمز إلى المتفكرين في أسرار السياسة من حكماء اليهود، وبدنها يرمز إلى بقية الشعب اليهودي من الرعايا، وهي اليوم شعار البلاشفة في روسيا السوفيتية .. وهم يكادون يكونون جميعاً من اليهود، فالحكومة الروسية حكومة يهودية تقريباً وسياساتها لا تختلف كثيراً عن سياسة البروتوكولات، فهي ولا ريب من تأليف اليهود وإخراجهم كما يظهر لكل متأمل. وينبغي ألا تفوتنا الإشارة هنا في اتخاذ اليهود الأفقي شعاراً لهم أنهم نقلوه عن المصريين القدماء، لأن الأفقي المقدسة في نظر الفراعنة رمز الحكمة والقوة والدهاء وكانوا يجسمونها =

المحبوبة (روسيا) الذى كان يوشك أن يحل بها، والذى حاول هو سدى أن يتفاداه - لا يمكن أن تخيب فى أن تزلزل عواطف كل قارئ يشعر شعوره، وفى تنفذ إلى أعماق فؤاده.

ويجب وجوباً أن نستحضر فى عقولنا أن الأستاذ نيلوس قد نشر البروتوكولات أولاً فى سنة ١٩٠٢ وأن الطبعة التى أخذت ترجمتها عنها قد نشرت سنة ١٩٠٥، وأن النسخة ذاتها التى اتخذناها فى الترجمة هى الآن فى المتحف البريطانى مختوماً عليها تاريخ تسليمها وهو ١٠ أغسطس سنة ١٩٠٦، أنه لا يمكن تفنيد هذه التواريخ التى تبرهن على أن الحرب العالمية، و صلب روسيا، والإضرابات، والثورات، والاعتقالات - قد حدثت جميعاً « وفق خطة ». كما تبرهن على أن تلك الخطة لم تكن خطة ألمانيا ولا خطة إنجلترا ولا أى أمة أخرى إلا أمة اليهودية بلغتها السرية - اليد الخفية The hidden Hand - التى كشف عنها الآن بعد أمد طويل فى البروتوكولات التى لا حاجة بنا إلى القول بأنها لم يقصد منها أن تراها عيون الأممين (غير اليهود).

ويزعم اليهود ، ضرورة أن البروتوكولات زور ، ولكن الحرب العظمى^(١) ليست زوراً، ولا مصير روسيا زوراً، وبهذين الأمرين تنبأ حكماء صهيون منذ أمد طويل يرجع إلى سنة ١٩٠١ م.

إن الحرب العظمى لم تكن حرباً ألمانية بل إنها مكيدة دبرتها اليهودية، وقتال بسبب اليهود على تبادل ذخائر العالم، لقد كان اليهود هم الذين سخروا كل قواد الجيش وكل قواد الأساطيل، وأن بيانات معركة جتلاند gutland Battle ونتيجتها - لتقدم مثلاً واحداً صغيراً يبين كيف قاد اليهود الحرب سواء فى البر أو البحر، وكيف حازوا «مغانم» الحرب لليهود، وكيف أنهم حصلوا على سلطة القيادة والتوجيه على كل المتحاربين من أجل اليهود.

= على تيجانهم كما يظهر من آثارهم، وليست الأفنى وحدها كل ما نقل اليهود عن المصريين الأقدمين وغيرهم، إذ لا شئ فى عقائدهم ونظمهم قد ابتدعوه بل هم ينقلون ما ينقلون ويهودونه حتى يناسب عصرهم الشرير، وهم حتى اليوم عالة على غيرهم من الأمم فى كل مناسط الحياة ومظاهر الحضارة، يأخذون ولا يعطون كما يتضح من تاريخهم وعدم مشاركتهم فى ابتداع شئ من صور الحضارة منذ أقدم العصور.

(١) أي الحرب العالمية الأولى، والمعنى أن حدوث هذه النكبات فعلاً كما حددت البروتوكولات لا يمكن أن يكون بالمصادفة بل بتدبير اليهود، وفيه أدلة على أن البروتوكولات من عمل اليهود، ليست مزيفة عليهم..

أيها القارئ: إن نشر هذا الكتاب ليلقى عليك مسؤولية كبيرة.

البريطان

«لندن» أغسطس سنة ١٩٢١.

كيف ظهرت البروتوكولات للعالم^(١).

لقد تسلمت من صديق^(٢) شخصي - هو الآن ميت - مخطوطاً يصف بدقة ووضوح عجيبين خطة وتطوراً لمؤامرة عالمية مشئومة، موضوعها الذي تشمله هو جر العالم الحائر إلى التفكك والانحلال المحتوم.

هذه الوثيقة وقعت في حوزتي منذ أربع سنوات (١٩٠١)، وهي بالتأكيد القطعي صورة حققة في النقل من وثائق أصلية سرقها سيدة فرنسية من أحد الأكابر ذوي النفوذ والرياسة السامية من زعماء الماسونية الحرة Freemasonry^(٣) وقد تمت السرقة في نهاية اجتماع سرى بهذا الرئيس في فرنسا حيث وكر «المؤتمر الماسوني اليهودي jewish malsonieconspiracy».

وللذين يريدون أن يروا ويسمعوا، أخطار^(٤) بنشر هذا المخطوط تحت عنوان «بروتوكولات حكماء صهيون» وبالتفرس المبدئي خلال هذه المذكرات - قد تشعرنا بما نشعر به أمام ما نسميه عادة «الحقائق المسلمة truisms». إنها تظهر في هيئة الحقائق المألوفة كثيراً أو قليلاً، وإن عبر عنها بحددة وبغضاء لا تصاحبان عادة الحقائق المألوفة، فبين سطورها تتأجج بغضاء دينية، وعنصرية عميقة الغور متغطرة قد خبئت بنجاح أمداً طويلاً، وإنها لتجيش وتفيض، كما هو واقع، من أناة طافح بالغضب والقمّة، مدرك تمام الإدراك أن نصره النهائي قريب.

ونحن لا نستطيع أن نغفل الإشارة إلى أن عنوانها لا ينطبق تماماً على محتوياتها، فهي ليست على وجه التحديد مضابط جلسات بل هي تقرير وضعه شخص ذو نفوذ، وقسمه أقساماً ليست مطردة اطراداً منطقياً على الدوام. وهي تحملنا على الاحساس بأنها جزء من

(١) كاتب هذه المقدمة هو الأستاذ سرجي نيلوس أول ناشر للبروتوكولات بالروسية، وهذا ما يفهم من تصدير الطبعة الخامسة الإنجليزية الذي سبق هنا، وإن لم تذيّل المقدمة باسمه ولم تصدر منسوبة إليه صراحة.

(٢) هو اليكسي نيقولا نيفتش، كبير جماعة أعيان روسيا الشرقية أيام القيصرية.

(٣) الماسونية الحرة الشرقية (عن الأصل الإنجليزي).

(٤) هكذا يقول الناشر الروسي، ولينس في هذا التعبير غلو ولاشطط وحسب القارئ أن يتصور مقدار ما تفضح البروتوكولات من أسرار سياسة اليهود، وسعة نفوذهم في العالم، وعدم إحجامهم عن ارتكاب أي جريمة فردية أو جماعية عن طريق وكلائهم الأشرار الفاسدين..

عمل أخطر وأهم، بدايته مفقودة. وأن كان أصل كل هذه الوثائق السالف ذكرها يعبر هنا عن نفسه بوضوح.

ووفق تنبؤات الآباء القديسين Holy Fathers لا بد أن تكون دائماً أعمال أعداء المسيح محاكاة^(١) لحياة المسيح، ولا بد أن يكون لهم خائنهم^(٢) غير أن خائنهم، من وجهة نظر دنيوية، لن يظفر بغاياته طبعاً، وإذن فمن المؤكد أن ينتصر «الحاكم العالمي» انتصاراً كاملاً، لكن لفترة وجيزة. وهذه الإشارة إلى كلمات وسولوفيف W. Soloviev لا يقصد بها أن تتخذ برهاناً على سندهم authority العلمي، فالعلم من وجهة النظر الأخروية eschatological لا مكان له، والجانب المهم هو القضاء والقدر. أن سولوفيف يعطينا النسيج CAUVAS والمخطوط المعروض أمامنا سيقوم بالتطريز embroidery^(٣).

وقد نكون ملومين حقاً علي التشكك في طبيعة هذه الوثيقة، غير أنه لو أمكن البرهان على هذه المؤامرة العالمية الواسعة بخطابات أو تصريحات من شهود عيان، وأمكن أن يكشف قناع زعمائها وهم ممسكون بخيوطها الدموية – إذن لكشفنا بهذه الواقعة الحققة «أسرار الظلم» ولكن لكي تحقق المؤامرة نفسها يجب أن تبقى سرّاً حتى يوم تجسدها في «ابن الفناء»^(٤).

(١) يظهر أن الأستاذ نيلوس يشير بذلك إلى ما ورد في العهد الجديد عن المسحاء (جمع مسيح) الكاذبين الذين لهم مثل سيرة المسيح الظاهرة لا الباطنة ويزعمون أنهم مسحاء من عند الله، وقد حذر السيد المسيح عيسى أتباعه منهم (انظر مثلاً إنجيل متى: الإصحاح ٢٤ الآيات ٢٣ – ٢٧).

(٢) في الأصل Judas وهي تستعمل بمعنى خائن، ولكنها أصلاً علم على شخص هو يهوذا الاسخريوطي، وهو حواري المسيح، وقد جعل له كهنة اليهود ثلاثين من الفضة كي يسلم لهم المسيح، فخان معلمه وسلمه لهم (انظر قصته في إنجيل متى: الإصحاح ٢٦، وإنجيل مرقس: الإصحاح ١٤، وإنجيل لوقا: الإصحاح ٢٢، وإنجيل يوحنا: الإصحاح ١٨) ومن ذلك صار يهوذا صفة تطلق على كل خائن، ووصف الكريم عندنا (حاتم) وأصله حاتم الطائي، والطامع أشعب وأصله رجل من المدينة اشتهر بالطمع، والمراد التشبيه.

(٣) المعنى أن كلمات سولوفيف (التي يحيل إليها نيلوس دون أن يعينها) تمد القارئ بفكرة عامة عن الموضوع، والبروتوكولات تدمه بالتفصيلات.

(٤) يعتقد أكثر المسيحيين أن الأقنوم الثاني (الابن) اتخذ جسداً في أحشاء مريم بقوة الروح القدس فصار إنساناً حقيقياً ليتمكن من تخليص العالم من الخطيئة. وما دامت حياة عدو المسيح محاكاة لحياته، فلا بد من تجسد، وكما تجسد المسيح تتجسد المؤامرة اليهودية التي حملتها القرون الطويلة حتى تضعها ممثلة في إنسان من اليهود، أو مسيح كاذب يحكم العالم فيعيد الملك إلى إسرائيل حسب اعتقاد اليهود، والأستاذ نيلوس يسخر هنا حين يقيس تجسد المسيح الكاذب الفاني على تجسد الأقنوم الثاني الخالد في السيد المسيح عليه السلام.

إننا لا نستطيع البحث عن براهين مباشرة في مشكلات الخطط الإجرامية التي أمامنا، ولكن علينا أن نقنع بالبيانات العرضية أو القرائن. وإن مثلها ليملاً عقل كل متأمل مسيحي^(١) غيور.

إن المكتوب في هذا الكتاب ينبغي أن يقنع «من لهم آذان للسمع»^(٢) لما فيه من وضوح، ولأنه مقدم إليهم بقصد حثهم على حماية أنفسهم، إذ الوقت متسع لهذه الحماية، حتى يكونوا على حذر.

إن ضميرنا سيكون راضياً إذا وصلنا بفضل الله إلى هذا الغرض الأهم من تحذير العالم الأعمى (غير اليهودي) دون إثارة الحقد في قلبه ضد شعب إسرائيل الأعمى. ونحن نشق بأن الأُميين لن يضمروا مشاعر الكراهية ضد جمهور إسرائيل المؤمن خطأ ببراءة الخطيئة الشيطانية لزعمائه^(٣) من الكتبة والفريسيين pharisees^(٤) الذين برهنوا مرة قبل ذلك على أنهم هم أنفسهم سبب ضلال إسرائيل^(٥) وإذا نحينا جانبا نقمة الله من الظالمين لم تبق إلا وسيلة واحدة: هي اتحاد المسيحيين جميعاً في سيدنا يسوع المسيح والفناء الشامل فيه مستغفرين لأنفسنا وللآخرين.

ولكن أهذا ممكن مع حالة العالم الضالة الآن؟ إنه مستحيل مع سائر العالم، ولكنه ممكن مع حالة روسيا المؤمنة^(٦). فالظروف السياسية الحاضرة للدول الأوروبية الغربية

(١) إنما خص الأستاذ نيلوس بكلامه المسيحيين هنا، لأنه مسيحي يخاطب مسيحيين ليستنهضهم وينذرهم، ويحاول أن يقنعهم عن طريق الدين، وليس معنى هذا أنه يستبعد من خطابه المسلمين وغيرهم، بل يخاطب من وراء ذلك كل متدين، سواء أكان مسيحياً أم مسلماً أم غير ذلك، إذ يلزمه تدينه بالثورة على هذه المؤامرة الصهيونية اليهودية التي تحاول القضاء على الأديان والأخلاق والمبادئ الإنسانية ومقاييسها ونظمها الاجتماعية وتجعل المجتمع أنانياً منحللاً فاسداً ليكون عبيداً لليهود.

(٢) هذه كلمة المسيح وردت في الأناجيل، وكان الأستاذ نيلوس يصرخ بها صرخة المسيح لأمة المسيحية (روسيا) كي يثير حماسهم الدينية ضد اليهود كما أشرنا في الهامش السابق.

(٣) يؤمن اليهود بأن الله أباح لهم ولزعمائهم كل شر ضد غير اليهود.

(٤) جرينا في ترجمة الكلمتين على نهج الترجمة العربية للأناجيل، والكتبة والفرنسيون (المراءون) كانوا يلاحقون السيد المسيح بالامتحان رغبة في تعجيزه وفضحه، ولكنه كان منتصراً عليهم دائماً، وكانوا متمسكين بحرفية النصوص ولو أدت إلى عكس المراد من ورائها، بينما كان هو ينفذ إلى اللب ويراعي الحكمة من وراء النصوص.

(٥) يشير نيلوس إلى إنكار اليهود للمسيح عيسى حين جاءهم، ثم اضطهادهم إياه ضالين ظالمين.

(٦) هذا (علي رأي نيلوس) أيام كانت روسيا محكومة بالقيصرية قبل أن يستولي عليها أبالسة الشيوعية من اليهود وصنائعهم، وينشروا الإلحاد والفساد فيها.

والأقطار التابعة لها فى الجهات الأخرى قد تنبأ بها أمير الحواريين prince of Apostles .

إن النوع البشرى - فى استرواحه aspiration لإكمال حياته الأرضية وبحثه عن مملكة الاكتفاء العام ^(١) التي تحقق المثل الأعلى للحياة الإنسانية - قد غير اتجاه مثله بدعوى أن الإيمان المسيحى كاذب قطعاً، وأنه لا يحقق الآمال المعلقة عليه. وأن العالم - الذى حطم معبوداته السابقة وخلق معبودات جديدة، وأقام آلهة جديدة على قواعدها - إنما يبنى لهذه الآلهة الجديدة هياكل: كل منها أعظم فخخة، وأكبر فخامة من الآخر؛ ثم يعود فينكسه ^(٢) ويدمره.

إن النوع البشرى قد فقد الفهم الصحيح للسلطة التي منحها الملوك المسحاء ^(٣) من الله، وهو يقترب من حالات الفوضى . وسرعان ما تبلى بلى تاماً ضوابط الموازين الجمهورية والدستورية، وستنهار هذه الموازين، وستجر معها فى انهيارها كل الحكومات إلى أغوار هاوية الفوضى المتلفة.

إن آخر حصن للعالم، وآخر ملجأ من العاصفة المقبلة هو روسيا . فإيمانها لا يزال حياً، وإمبراطورها المسيح لا يزال قائماً كحاميتها المؤكد.

إن كل جهود الهدم من جانب أعداء المسيح اليساريين الظاهرين Sinistors الظاهرين وعماله الفطناء الأغبياء - مركزة على روسيا. والأسباب مفهومة والغايات معلومة، فيجب أن تكون معروفة لروسيا المتدينة المؤمنة.

وإن اللحظة التاريخية المقبلة أعظم وعيداً، وإن الأحداث المقتربة - وهى مقنعة بالغيوم الكثيفة - أشد هولاً، فيجب أن يضرب الروسيون ذور القلوب الجريئة الباسلة بشجاعة عظيمة، وتصميم جبار، وينبغي أن يعقدوا أيديهم بشجاعة حول لواء كنيستهم المقدس، وحول عرش إمبراطورهم. وطالما الروح تحيا، والقلب الجياش يخفق فى الصدور فلا مكان لطيف اليأس القاتل. ولكننا نعتمد على أنفسنا وعلى ولائنا وإيماننا لنظفر برحمة

(١) أى حكومة دنيوية يحصل فيها كل فرد على ما يكفيه، وهذا حلم بشرى محال .

(٢) أى يقلبه، من نكست الإناء، أى قلبته.

(٣) المسحاء جمع مسيح، وكان الملوك قديماً يمسحون بالزيت المقدس مباركة لهم واعترافاً بسلطتهم على أيدي زعماء رجال الدين.

(١) من العجيب أن يتنبأ الأستاذ نيلوس في الفقر الأربع الأخيرة هنا وفي التعقيب آخر الكتاب بالانقلاب السياسى الشيوعى البلشغى اليهودى قبل حدوثه بنحو اثنى عشر عاما، ولقد نصح قومه مخلصا، وأنذرهم بالكارثة قبل حلولها، وصرخ فيهم صرخة المسيح «من كان له أذنان للسمع فليسمع» ولكن صرخته لم تسمع. ولم تنجح في تفادي الكارثة ولا في تأخيرها عن موعدها. فلقد نجح ذهب اليهود ودسائسهم ضد روسيا، ثم التضحية ببعض جيوشهم السرية هناك في قتلها وتمكين اليهود من حكمها، واتخاذها وكرّاً للدسائس ونشر المبادئ الهدامة في العالم أجمع، توصلاً إلى إقامة مملكة يهودية يجلس علي عرشها ملك من نسل داود ويدين لها العالم كله بالخضوع والولاء، جاء في كتاب «المؤامرة اليهودية» ما ترجمته: «إن المحفل الأمريكانى الماسونى الذى يدير الماسونية الكونية - كل أعضائه من أعظم زعماء اليهود وحدهم - عقد مؤتمرا قرر فيه خمسة من اليهود أصحاب الملايين خراب روسيا القيصرية بإنفاق مليار دولار، وتضحية مليون يهودى لإثارة الثورة فى روسيا، وهؤلاء الخمسة الذين تبرعوا بالمال ثم: إسحاق موتيمر وشستر، وليفى، ورون. وشيف، وكان المال مرصوداً للدعاية وإثارة الصحافة العالمية على القيصرية وذلك على أثر المذابح الدائرة ضد اليهود حوالى نهاية القرن التاسع عشر». هذا وكان تروتسكى اليهودى كما يعرف ذلك العارفون، من أعظم الممكنين للرفيق لينين من السيطرة على روسيا بعد الانقلاب، ثم طرده ستالين هذا اليهودى ودبر اغتياله ولم يزل أغلب أعضاء المجلس السوفييتى الشيوعى الذى يحكم روسيا الآن (١٩٥١) من اليهود الصرحاء.

البروتوكول الأول:

سنكون صرحاء، ونناقش دلالة كل تأمل، ونصل إلى شروح وافية بالمقارنة والاستنباط، وعلى هذا المنهج سأعرض فكرة سياستنا وسياسة الجوييم (Goys) (وهذا هو التعريف اليهودي لكل الأميين^(١) Gentiles).

يجب أن يلاحظ أن ذوى الطبائع الفاسدة من الناس أكثر عدداً من ذوى الطبائع النبيلة. وإذن فخير النتائج فى حكم العالم ما ينتزع بالعنف والإرهاب، لا بالمناقشات الأكاديمية academic^(٢). كل إنسان يسعى إلى القوة، وكل واحد يريد أن يصير دكتاتوراً، على أن يكون ذلك فى استطاعته. وما أندر من لا ينزعون إلى إهدار مصالح غيرهم توصلاً إلى أغراضهم الشخصية.

ماذا كبح الوحوش المفترسة – التى نسميها الناس – عن الافتراس؟ وماذا حكمها حتى الآن؟ لقد خضعوا فى الطور الأول من الحياة الاجتماعية للقوة الوحشية العمياء، ثم خضعوا للقانون، وما القانون فى الحقيقة إلا هذه القوة ذاتها مقنعة فحسب. وهذا يتأدى بنا إلى تقرير أن قانون الطبيعة هو: الحق يكمن فى القوة.

إن الحرية السياسية ليست حقيقة، بل فكرة. ويجب أن يعرف الإنسان كيف يسخر هذه الفكرة عندما تكون ضرورية، فيتخذها طعماً لجذب العامة إلى صفه، إذا كان قد قرر أن ينتزع سلطة منافس له. وتكون المشكلة يسيرة إذا كان هذا المنافس موبوءاً بأفكار الحرية Freedom التى تسمى التحررية^(٣). Liberalism ومن أجل هذه الفكرة يتخلى

(١) المراد بالجوييم أو بالأميين من عدا اليهود، ومعنى الكلمة عندهم البهائم والأنجاس والكفرة والوثنيون، وفي هذا ما يدل على أن اليهود ينظرون إلى من عداهم نظرات الحقد والاحتقار والمقت والاشمئزاز، ولقد استعملنا كلمة الأممي والأميين والأمية علماً للدلالة على من عدا اليهود ترجمة لكلمة، Gentil.

(٢) المناقشات الأكاديمية المناقشات على طريقة الجامعات عقلية نظرية يترك لكل مناقش فيها مطلق الحرية فى الرأى والقول.

(٣) التحررية تتسم بأنها نزعة فى السلوك أكثر مما هي مذهب عقلي فى التفكير، ويقصد بها انسلاخ الفرد من كل ما ما تواضع عليه المجتمع من آداب وقوانين فى رغباته وشهواته، ثم سيرته حسب ضميره ونزعه الخاصة. وقد وضعنا هذا المصدر النسبي – حسب المصطلحات الدالة على المذاهب – مقابل المصدر liberalism، واستعملنا تعريفاً أخرى من جذره مع مراعاة تشديد الرأى فى كل الصيغ مقابل تعريفاً الكلمة الإنجليزية الأخرى، كى لا نخلط بينها وبين الحرية freedom وتعريفاتها الأخرى. ويراد بالتحررية أحياناً الضمير والعدل ومعرفة كل واحد حقوق غيره.

عن بعض سلطته.

وبهذا سيصير انتصار فكرتنا واضحاً، فإن أزمة الحكومة المتروكة خضوعاً لقانون الحياة ستقبض عليها يد جديدة. وما على الحكومة الجديدة إلا أن تحل محل القديمة التي أضعفتها التحررية، لأن قوة الجمهور العمياء لا تستطيع البقاء يوماً واحداً بلا قائد.

لقد طغت سلطة الذهب على الحكام المتحررين Fliberal ولقد مضى الزمن الذى كانت الديانة فيه هي الحاكمة، وإن فكرة الحرية لا يمكن أن تتحقق، إذ ما من أحد يستطيع استعمالها استعمالاً سديداً.

يكفى أن يعطى الشعب الحكم الذاتى فترة وجيزة لكى يصير هذا الشعب رعايا بلا تمييز، ومنذ تلك اللحظة تبدأ المنازعات والاختلافات التي سرعان ما تتفاقم، فتصير معارك اجتماعية، وتندلع النيران فى الدول ويزول أثرها كل الزوال.

وسواء انهكت الدول الهزاهز^(١) الداخلية أم أسلمتها الحروب الأهلية إلى عدو خارجى، فإنها فى كلتا الحالتين تعد قد خربت نهائياً كل الخراب وستقع فى قبضتنا. وأن الاستبداد المالى - والمال كله فى أيدينا - سيمد إلى الدولة عوداً لا مفر لها من التعلق به، لأنها - إذا لم تفعل ذلك - ستغرق فى اللجة لا محالة.

ومن يكن متأثراً ببواعث التحررية^(٢) فتخالجه الإشارة إلى أن بحوثاً من هذا النمط منافية للأخلاق، فسأسأله هذا السؤال: لماذا لا يكون منافياً للأخلاق لدى دولة يتهدهدها عدوان: أحدهما خارجى، والآخر داخلى - أن تستخدم وسائل دفاعية ضد الأول تختلف عن وسائلها الدفاعية ضد الآخر، وأن تضع خطط دفاع سرية، وأن تهاجمه فى الليل أو بقوات أعظم؟

ولماذا يكون منافياً للأخلاق لدى هذه الدولة أن تستخدم هذه الوسائل ضد من يحطم أسس حياتها وأسس سعادتها؟

هل يستطيع عقل منطقى سليم أن يأمل فى حكم الغوغاء حكماً ناجحاً باستعمال المناقشات والمجالات، مع أنه يمكن مناقضة مثل هذه المناقشات والمجادلات بمناقشات أخرى

(١) Convulsions معناها الهزات أو الارتجافات، وقد فضلنا ترجمتها بالهزاهز لأنها أدق وفي المصباح المنير «الهزاهز الفتن يهتز فيها الناس».

(٢) أى من يثقل ضميره اتباع هذه الوسائل فيراها مخالفة للأخلاق الفاضلة.

وربما تكون المناقشات الأخرى مضحكة غير أنها تعرض في صورة تجعلها أكثر إغراء في الأمة لجمهورتها العاجزة عن التفكير العميق، والهائلة وراء عواطفها التافهة وعاداتها وعرفها ونظرياتها العاطفية^(١).

إن الجمهور الغر الغبي، ومن ارتفعوا من بينه، لينغمسون في خلافات حزبية تعوق كل إمكان للاتفاق ولو على المناقشات الصحيحة، وإن كان كل قرار للجمهور يتوقف على مجرد فرصة، أو أغلبية ملفقة تجيز لجهلها بالأسرار السياسية حلولاً سخيفة فتبزر بذور الفوضى في الحكومة.

إن السياسة لا تتفق مع الأخلاق في شيء. والحاكم المقيد بالأخلاق ليس سياسياً بارع، وهو لذلك غير راسخ على عرشه^(٢).

لابد لطالب الحكم من الالتجاء إلى المكر والرياء، فإن الشرائع الإنسانية العظيمة من الإخلاص، والأمانة تصير رذائل في السياسة، وأنها تبلغ في زعزعة العرش أعظم مما يبلغه ألد الخصوم. هذه الصفات لا بد أن تكون هي خصال البلاد الأممية (غير اليهودية) ولكننا غير مضطرين إلى أن نفتدى بهم على الدوام.

إن حقنا يكمن في القوة. وكلمة «الحق» فكرة مجردة قائمة على غير أساس فهي كلمة لا تدل على أكثر من «اعطني ما أريد لتمكنني من أن أبرهن لك بهذا على أنني أقوى منك».

أين يبدأ الحق وأين ينتهي؟ أي دولة يساء تنظيم قوتها، وتنتكس فيها هيبة القانون

(١) من المؤسف أن هذا صحيح في البلاد التي لم تنضج سياسياً ولكنه غير صحيح في البلاد التي نضجت سياسياً كالجزر البريطانية فالمناقشات هناك هي سبيل الحكم والشعب هناك يعرف الحدود بل يحسها بالتربية كإحساس الغريزة ويلتزمها، والحرية هناك مطلقة والرأي إقناع واقتناع، والرأي النافذ للأغلبية.

(٢) يلاحظ أن البروتوكولات هنا تغترف من كتاب «الأمير» لمكيافلي اغترافاً (راجع الترجمة الإنجليزية لكتاب الأمير The prince ص ١٣٠، ١٣٣، ١٣٤، ١٤٣، ١٤٤، ١٧٨، طبعة أفريمان)، ودعواها هنا كاذبة، حتى في سياسة الشعوب التي لم تنضج سياسياً. وسير الحكام الأفاضل مثل عمر في التاريخ تهدم هذا الرأي من أساسه، ولا دليل حق على أن الشعوب في عهد الحكام الأشرار كانت أحسن حالاً منها في عهد الحكام الأخيار. بل إن التاريخ يثبت على أنه أن الشعوب في عهد الساسة الأخيار يكن أسعد حالاً منها في عهد ساستها الأشرار. والمغالطة ناشئة من أن بعض الحكام غير الناضجين في السياسة يكونون ذوي نيات خيرة، ولكن ليست لهم المقدرة السياسية على تنفيذها، فيتعثرون ويعثرون شعوبهم معهم. غير أن السبب هو النقص في مقدرتهم السياسية لا في تمسكهم بالأخلاق الفاضلة.

وتصير شخصية الحاكم بتراء عقيمة من جراء الاعتداءات التحررية (١) المستعمرة - فإننى أتخذ لنفسى فيها خطاً جديداً للهجوم، مستفيداً بحق القوة لتحطيم كيان القواعد والنظم القائمة، والإمساك بالقوانين وإعادة تنظيم الهيئات جميعاً. وبذلك أصبح دكتاتوراً على أولئك الذين تخلوا بمحض رغبتهم عن قوتهم، وأنعموا بها علينا (٢).

وفى هذه الأحوال الحاضرة المضطربة لقوى المجتمع ستكون قوتنا أشد من أى قوة أخرى، لأنها ستكون مستورة حتى اللحظة التى تبلغ فيها مبلغاً لا تستطيع معه أن تنسفها أى لحظة مأكرة.

ومن خلال الفساد الحالى الذى نلجأ إليه مكرهين ستظهر فائدة حكم حازم يعيد إلى بناء الحياة الطبيعية نظامه الذى حطمته التحررية (٣).

إن الغاية تبرر الوسيلة، وعلينا - ونحن نضع خططنا - ألا نلتفت إلى ما هو خير وأخلاقي بقدر ما نلتفت إلى ما هو ضرورى ومفيد (٤).

وبين أيدينا خطة عليها خط استراتيجى Strategie (٥) موضح. وما كنا لننحرف عن هذا الخط إلا كنا ماضين فى تحطيم عمل قرون.

إن من يريد إنفاذ خطة عمل تناسبه يجب أن يستحضر فى ذهنه حقارة الجمهور وتقلبه، وحاجته إلى الاستقرار، وعجزه عن أن يفهم ويقدر ظروف عيشته وسعادته، وعليه

(١) أى الاعتداءات التى مصدرها نزعة الناس إلى التحرر، دون نظر إلى عواقب الاعتداءات.

(٢) هكذا فعل اليهود بروسيا حين دمروا الحكم القيصرى مستغلين مفاسده فى إثارة الجماهير ضده، حتى إذا تخلصوا، منه حكموها حكمهم الشيوعى، وأن نهج الشيوعيين فى الحكم هو النهج المرسوم هنا، وللقارئ العربى إذا أراد معرفة ذلك الرجوع إلى كتاب «آثر الحرية» المترجم للعربية ومؤلفه «فكتور كرافتشنكو» ترجمة الأستاذ محمد بدران والدكتور زكى نجيب محمود.

(٣) المعنى أن الفساد الحالى سيشعر الناس بالحاجة إلى الحكم «الإسرائيلى» الحازم، ويحملهم على تربيته ومعرفته والخضوع له عند مجيئه.

(٤) سياسة البروتوكول هنا تغترف اغترافاً مما كتبه مكيافى فى كتاب «الأمير» بل هذه كلماته بنصها أحياناً لا بروحها ومعناها فحسب.

(٥) فضلنا تعريب الكلمة على ترجمتها لأنها مشهورة يعرفها حتى العامة ومعنى الاستراتيجية فى قيادة الجيوش وما تستتبعه هذه القيادة، ولا توجد كلمة فى العربية تؤدى معناها كاملاً. ومعنى الفقرة: أن موقفنا فى حربنا ضد العالم وحكمه قد وضع أساسه أبطالنا الأقدمون، وسعى فى تنفيذه حكامنا منذ قرون حتى الآن، فإذا سالمتنا العالم أفسدنا كل أعمالهم الماضية.

أن يفهم أن قوة الجمهور عمياء خالية من العقل المميز، وأنه يعير سمعه ذات اليمين وذات الشمال.

إذا قاد الأعمى أعمى مثله فيسقطان معاً في الهاوية. وأفراد الجمهور الذين امتازوا من بين الهيئات - ولو كانوا عباقرة - لا يستطيعون أن يقودوا هيئاتهم كزرعماء دون أن يحطموا الأمة.

ما من أحد يستطيع أن يقرأ الكلمات المركبة من الحروف السياسية إلا من نشأ تنشئة للملك الأوتوقراطي autocratisc^(١)، وإن الشعب المتروك لنفسه أى للمنازين من الهيئات^(٢)، لتحطمه الخلافات الحزبية التى تنشأ من التهالك على القوة والأمجاد، وتخلق الهزاهز والفتن والاضطراب.

هل فى وسع الجمهور أن يميز بهدوء ودون ما تحاسد، كى يدبر أمور الدولة التى يجب ألا تقحم معها الأهواء الشخصية؟ وهل يستطيع أن يكون وقاية ضد عدو أجنبى؟ هذا محال. إن خطة مجزأة أجزاء كثيرة بعدد ما فى أفراد الجمهور من عقول لهى خطة ضائعة القيمة، فهى لذلك غير معقولة، ولا قابلة للتنفيذ^(٣): إن الأوتوقراطي autocrat وحده هو الذى يستطيع أن يرسم خططا واسعة، وأن يعهد بجزء معين لكل عضو فى بنية الجهاز الحكومى ومن هنا نستنبط أن ما يحقق سعادة البلاد هو أن تكون حكومتها فى قبضة شخص واحد مسئول. وبغير الاستبدال المطلق لا يمكن أن تقوم حضارة^(٤)، لأن الحضارة لا يمكن أن تروج وتزدهر إلا تحت رعاية الحاكم كائناً من كان ، لا بين أيدي الجماهير.

إن الجمهور بربرى، وتصرفاته فى كل مناسبة على هذا النحو، فما أن يضمن الرعاع

(١) الأوتوقراطية نظام الحاكم الفرد المستبد المطلق وقد فضلنا كعادتنا تعريب الكلمة على ترجمتها وهم يريدون بذلك مثل مملكتهم وملكها المسيح المخلص.

(٢) هذه مغالطة، لأن الممتاز فى مواهبه السياسية لا بد أن يكون حاكماً ممتازاً، ومنشأ الخلط هنا، وفى سياسة الهيئات، وهو وضع الحكم فى أيدي رجال لهم امتيازاتهم فى غير ميادين السياسة أو ليست لهم مواهب سياسية ناضجة.

(٣) أقرب نظام يشبه النظام المرسوم هنا هو نظام الحكم فى روسيا الشيوعية التى يحكمها طاغية مطلق، والنظام الشيوعى وضعه وينفذه اليهود (انظر كتاب «آثرت الحرية»).

(٤) يريد أن الخطة التى تنشأ عن التوفيق بين آراء أعضاء البرلمان خطة مرقمة فاسدة ، على عكس الفكرة الموحدة المتناسكة التى يديرها حاكم مستبد وحده. (انظر البروتوكول العاشر وهوامشه)؟

الحرية، حتى يمسخوها سريعاً فوضى، والفوضى فى ذاتها قمة البربرية.

وحسبكم فانظروا إلى هذه الحيوانات المخمورة alcoholised التى أفسدها الشراب، وإن كان لينتظر لها من وراء الحرية منافع لا حصر لها، فهل نسمح لأنفسنا وأبناء جنسنا بمثل ما يفعلون ؟.

ومن المسيحيين أناس قد أضلّتهم الخمر، وانقلب شبانهم مجانين بالكلاسيكيات Classics والمجون المبكر الذين أغراهم به وكلاؤنا ^(١) ومعلمونا، وخدمنا، وقهرماناتنا ^(٢) فى البيوتات الغنية وكتبنا ^(٣) Clerks ومن إليهم، ونساؤنا فى أماكن لهوهم – وإليهن أضيف من يسمين « نساء المجتمع » – والرغبات من زملائهم فى الفساد والترف.

يجب أن يكون شعارنا كل « وسائل العنف والخديعة ».

إن القوة المحضة هى المنتصرة فى السياسة، وبخاصة إذا كانت مقنعة بالألمعية اللازمة لرجال الدول. يجب أن يكون العنف هو الأساس. ويتحتم أن يكون ماكرًا خداعًا حكم تلك الحكومات التى تأبى أن تداس تيجانها تحت أقدام وكلاء agents قوة جديدة. إن هذا الشر هو الوسيلة الوحيدة للوصول إلى هدف الخير ولذلك يتحتم ألا نتردد لحظة واحدة فى أعمال الرشوة والخديعة والخيانة إذا كانت تخدمنا فى تحقيق غايتنا .

وفى السياسة يجب أن نعلم كيف نصادر الأملاك بلا أدنى تردد إذا كان هذا العمل يمكننا من السيادة والقوة. إن دولتنا – متبعة طريق الفتوح السلمية – لها الحق فى أن تستبدل بأهوال الحرب أحكام الإعدام، وهى أقل ظهوراً وأكثر تأثيراً، وإنها لضرورية لتعزيز الفرع الذى يولد الطاعة العمياء. إن العنف الحقود وحده هو العامل الرئيسى فى قوة العدالة ^(٤) فيجب أن نتمسك بخطة العنف والخديعة لا من أجل المصلحة فحسب، بل من أجل الواجب والنصر أيضاً.

(١) أى صنائعنا الذين نتخذهم آلات لتنفيذ أغراضنا.

(٢) وضعنا كلمة قهرمانات لكلمة Gouvernesse والقهرمانية هى القيمة على شئون المنزل، أو على شئون الأطفال فيه، وهى المربية (الدادة) وقلما تخلو منها البيوت الكبيرة.

(٣) اخترنا هذا الجمع لأنه المعروف بيننا لمن يكتبون الرسائل والحسابات ونحوها فى البيوت التجارية ودواوين الحكومة وما إليها، وقد خصص لفظ الكتاب جمع كاتب أيضاً للأدباء، مقابل كلمة Writers.

(٤) هكذا تحكم روسيا الآن كما يدل على ذلك كتاب « آثر الحرية » والنظام الإدارى الذى رسمه حكماء اليهود هنا هو الذى طبقه خلفاؤهم اليهود فى روسيا.

إن مبادئنا في مثل قوة وسائلنا التي نعدّها لتنفيذها، وسوف نتنصر ونستعبد الحكومات جميعاً تحت حكومتنا العليا لا بهذه الوسائل فحسب بل بصرامة عقائدنا أيضاً، وحسبنا أن يعرف عنا أننا صارمون في كبح كل تمرد^(١).

كذلك كنا قديماً أول من صاح في الناس « الحرية والمساواة والإخاء »^(٢) كلمات ما انفكت ترددها منذ ذلك الحين بباغات جاهلة متجمهرة من كل مكان حول هذه الشعائر، وقد حرمت بتردها العالم من نجاحه، وحرمت الفرد من حرّيته الشخصية الحقيقية التي كانت من قبل في حمي يحفظها من أن يخنقها السفلة.

إن أدعياء الحكمة والذكاء من الأُميين (غير اليهود) لم يتبينوا كيف كانت عواقب الكلمات التي يلوكونها، ولم يلاحظوا كيف يقل الاتفاق بين بعضها وبعض، وقد يناقض بعضها بعضاً^(٣). أنهم لم يروا أنه لا مساواة في الطبيعة، وأن الطبيعة قد خلقت أنماطاً غير متساوية في العقل والشخصية والأخلاق والطاقة. وكذلك في مطاوعة قوانين الطبيعة^(٤).

إن أدعياء الحكمة هؤلاء لم يكهّنوا ويتنبأوا أن الرعاع قوة عمياء وإن المتميزين المختارين حكماً من وسطهم عميان مثلهم في السياسة. فإن المرء المقدور له أن يكون حاكماً - ولو كان أحق - يستطيع أن يحكم، ولكن المرء غير المقدور له ذلك - ولو كان عبقرياً - أن يفهم شيئاً في السياسة. وكل هذا كان بعيداً عن نظر الأُميين مع أن الحكم الوراثي قائم على هذا الأساس. فقد اعتاد الأب أن يفقه الابن في معنى التطورات السياسية

(١) هذه هي المملكة العلوية الفاضلة التي يعد اليهود بها العالم ليكون فيها خدماً أذلاء، مقابل حياتهم ونظمهم الحاضرة، فليذكر ذلك الغافلون.

(٢) يدعى اليهود بهذا أنهم واضعو شعار الثورة الفرنسية وأنهم المثيرون لها.

(٣) إن هذه المبادئ لا تتناقض إلا حين يفهم كل منها مطلقاً من حدوده وهذا فهم خطأ، كما لا يسوء استعمالها إلا حين لا يقف مزاولوها عند حدودها الحقيقية العملية، ولكن إذا عرف كل واحد مقامه، واستعمل حرّيته في القيام بواجباته حسب الطريقة المناسبة لمواهبه وظروفه، وعرف لدى الفضل فضله ولمن دونه واجب تقويمه وانصافه كأنه من أسرته، لم يكن ضرر في هذه المبادئ ولم يكن هناك تناقض بينها، واليهود يسلمون بذلك (انظر البرتوكول الرابع). ومن ذلك يظهر تناقضهم.

(٤) إن هذا الاختلاف لا يناقض مبدأ المساواة كما يفهمها العقلاء مساواة في حرية الحياة والملك والفوز بشمرات العمل والمواهب ونحو ذلك فأما ما وراء ذلك من اختلاف في العقل والشخصية والطاقة والعمل ونحو ذلك فهو خير للناس ومعروف عندهم، لا ريب فيه ولا مهرّب منه، ولكنه لا يحول بينهم وبين المساواة في حق الحياة والامتلاك ونحوهما مما ذكرنا.

وفي مجراها بأسلوب ليس لأحد غير أعضاء الأسرة المالكة أن يعرفه وما استطاع أحد أن يفشى الأسرار للشعب المحكوم^(١). وفي وقت من الأوقات كان معنى التعليمات السياسية - كما تورثت من جيل إلى جيل - مفقوداً. وقد أعان هذا الفقد على نجاح أغراضنا.

إن صيحتنا « الحرية والمساواة والإخاء » قد جلبت إلى صفوفنا فرقاً كاملة من زوايا العالم الأربع عن طريق وكلائنا المغفلين، وقد حملت هذه الفرق ألويتنا في نشوة ، بينما كانت هذه الكلمات - مثل كثير من الديدان - تلتهم سعادة المسيحيين، وتحطم سلامهم واستقرارهم، ووحدهم، مدمرة بذلك أسس الدول. وقد جلب هذا العمل النصر لنا كما سنرى بعد، فإنه مكننا بين أشياء أخرى من لعب دور الآس^(٢) في أوراق اللعب الغالبة، أى محق الامتيازات، وبتعبير آخر مكننا من سحق كيان الأرستقراطية^(٣) الأئمية (غير اليهودية) التي كانت الحماية الوحيدة للبلاد ضدنا.

لقد أقمنا على أطلال الأرستقراطية الطبيعية والوراثية أرستقراطية من عندنا على أساس بلوقراطي Plutocratic^(٤) وعلى العلم^(٥) الذى يروجه علماءنا ولقد عاد النصر أيسر فى الواقع، فإننا من خلال صلاتنا بالناس الذين لا غنى لنا عنهم ولقد أقمنا الأرستقراطية الجديدة على الثروة التى تتسلط عليها كنا دائماً نحرك أشد أجزاء العقل الإنسانى إحساساً، أى نستثير مرض ضحايانا من أجل المنافع، وشرهم ونهمهم، والحاجات

(١) ينشأ عن احتكار الحكام للأسرار السياسية كلها وأسبابها قصور المحكومين عن فهم الحوادث وأسبابها الحقيقية ببساطة فهماً صحيحاً، فتلتوى لذلك أمامها الحقائق أو يضربون فى مناهات من الخيالات، ولو اكتفى الحكام باحتكار الأسرار العليا وحدها ومرتوا المحكومين على النظر فى الحوادث وأسبابها السهلة مدة طويلة وشاركهم فى الحكم وتحمل المسئوليات لكفاهم ذلك وكفى الناس متاعب كثيرة، لأن تمرين المحكومين على ذلك سيربيهم تربية سياسية صحيحة كما يجرى الآن فى بريطانيا.

(٢) فى أوراق اللعب (الكوتشينه) أوراق ممتازة أعلاها الآس، فإنه يقلبها جميعاً والمعنى أن اليهود تغلبوا على امتيازات المختارين من غير اليهود كما يغلب الآس سائر الأوراق الممتازة.

(٣) الأرستقراطية حكومة الأقلية الفاضلة، العادلة كما عرفها أرسطو.

(٤) أى الحكم على أساس الغنى والثروة، فالبلوقراطية حكومة الأقلية الغنية التى تملك معظم الثروة، أو هى حكومة الأغنياء وهؤلاء لا تعينهم إلا الثروة وجمعهم من أى سبيل دون رعاية لأى مبدأ أو عاطفة شريفة.

(٥) المراد بالعلم الذى يروجه علماءهم علم الاقتصاد السياسى political economy وقد دسوا فيه نظريات لا تعتمد على أساس من واقع الحياة (انظر البرتوكول ٢٠) .

المادية للإنسانية^(١) وكل واحد من هذه الأمراض يستطيع وحده مستقلاً بنفسه أن يحطم طليعة الشعب^(٢) وبذلك نضع قوة إراد الشعب تحت رحمة أولئك الذين سيجردونه من قوة طليعته.

إن تجرد كلمة «الحرية» جعلها قادرة على إقناع الرعايا بأن الحكومة ليست شيئاً آخر غير مدير ينوب عن المالك الذى هو الأمة، وأن فى المستطاع خلعها كقفازين باليين. وأن الثقة بأن ممثلى الأمة يمكن عزلهم قد أسلمت ممثليهم لسلطاننا، وجعلت تعيينهم عملياً فى أيدينا.

البروتوكول الثانى:

يلزم لغرضنا أن لا تحدث أى تغييرات إقليمية عقب الحروب، فبدون التعديلات الإقليمية ستتحول الحروب إلى سباق اقتصادى، وعندئذ تتبين الأمم تفوقنا فى المساعدة التى سنقدمها، وأن اطراد الأمور هكذا سيضع الجانبين كليهما تحت رحمة وكلائنا الدوليين ذوى ملايين العيون الذين يملكون وسائل غير محدودة على الإطلاق. وعندئذ ستكتسح حقوقنا الدولية كل قوانين العالم، وسنحكم البلاد بالأسلوب ذاته الذى تحكم به الحكومات الفردية رعاياها.

وسنختار من بين العامة رؤساء إداريين ممن لهم ميول العبيد، ولن يكونوا مدربين على فن الحكم^(٣)، ولذلك سيكون من اليسير أن يمسخوا قطع شطرنج ضمن لعبتنا فى أيدي مستشارينا العلماء الحكماء الذين دربوا خصيصاً على حكم العالم منذ الطفولة الباكرة، وهؤلاء الرجال - كما علمتهم من قبل - قد درسوا علم الحكم من خططنا السياسية، ومن تجربة التاريخ، ومن ملاحظة الأحداث الجارية^(٤). والأُميون (غير اليهود) لا ينتفعون بالملاحظات التاريخية المستمرة بل يتبعون نسقاً نظرياً من غير تفكير فيما يمكن أن تكون

(١) أليست هذه هى الطريقة الشيوعية اليهودية التى يوقع بها الشيوعيون ضحاياهم فى أحابيلهم؟ فهم لا يستغلون فى الإنسان عاطفة كريمة، بل يستثيرون أحسن عواطفه وشهواته ليسلطوه على المجتمع.

(٢) المراد بطليعة الشعب الممتازون الذين يتقدمون طوائف الشعب ويتزعمونها ويقضون فى أمورها؛ واليهود يركزون ضرباتهم على هؤلاء المتزعمين، فإذا حطموهم تحطمت دون مشقة الطوائف التى تسير وراءهم بلا تفكير.

(٣) من المؤسف أن السياسة فى معظم البلاد تسير على هذا النحو سواء كان ذلك بسبب اليهود أو بغيرهم، واليهود على كلا الحالين يستفيدون كثيراً من الجرى على هذه السياسة.

(٤) فى هذه السطور تتركز أصول الاجتهاد فى الحكم والفقه والعلوم وغيرها.

نتائجه. ومن أجل ذلك لسنا فى حاجة إلى أن نقيم للأمميين وزناً.

دعوهم يتمتعون ويفرحون بأنفسهم حتى يلاقوا يومهم، أو دعوهم يعيشون فى أحلامهم بملذات وملاه جديدة، أو يعيشوا فى ذكرياتهم للأحلام الماضية. دعوهم يعتقدوا أن هذه القوانين النظرية التى أوحينا إليهم بها إنما لها القدر الأسمى من أجلهم. وبتقييد أنظارهم إلى هذا الموضوع، وبمساعدة صحافتنا نزيد ثقتهم العمياء بهذه القوانين زيادة مطردة. أن الطبقات المتعلمة ستختال زهواً أمام أنفسها بعلمها، وستأخذ جزافاً فى مزاوله المعرفة التى حصلتها من العلم الذى قدمه إليها وكلاؤنا رغبة فى تربية عقولنا حسب الاتجاه الذى توخيناه.

لا تتصوروا أن تصريحاتنا كلمات جوفاء. ولا حظوا هنا أن نجاح دارون Darwin وماركس Marx ونيتشة Nietzsche^(١) قد رتبناه من قبل. والأثر غير الأخلاقى لاتجاهات هذه العلوم فى الفكر الأسمى (غير اليهودى) سيكون واضحاً لنا على التأكيد. ولكى نتجنب ارتكاب الأخطاء فى سياستنا وعملنا الإدارى، يتحتم علينا أن ندرس ونعى فى أذهاننا الخط الحالى من رأى، وهو أخلاق الأمة وميولها.

ونجاح نظريتنا هو فى موافقتها لأمزجة الأمم التى نتصل بها، وهى لا يمكن أن تكون ناجحة إذا كانت ممارستها العملية غير مؤسسة على تجربة الماضى مقترنة بملاحظات الحاضر.

إن الصحافة التى فى أيدي الحكومة القائمة هى القوة العظيمة التى بها نحصل على توجيه الناس. فالصحافة تبين المطالب الحيوية للجمهور وتعلن شكاوى الشاكين، وتولد الضجر أحياناً بين الغوغاء. وإن تحقيق حرية الكلام قد ولد فى الصحافة، غير أن الحكومات لم تعرف كيف تستعمل هذه القوة بالطريقة الصحيحة، فسقطت فى أيدينا، ومن خلال الصحافة أحرزنا نفوذاً، وبقينا نحن وراء الستار، وبفضل الصحافة كدسنا الذهب، ولو أن ذلك كلفنا أنهاراً من الدم. فقد كلفنا التضحية بكثير من جنسنا، ولكن كل تضحية من جانبنا تعادل آلافاً من الأمميين (غير اليهود) أمام الله.

(١) تنبأ نيتشه فى كتابه « وراء الخير والشر » لفلسفة ماركس اليهودية الشيوعية بالانتشار وحدد الدولة التى ستعتنقها وهى روسيا، وما كان أحد يتصور يومئذ ذلك، فتحققت نبوءته، وقد أكرهت روسيا بالعنف والخديعة على احتضان شيوعية ماركس اليهودى على أيدي اليهود..

البروتوكول الثالث:

أستطيع اليوم أن أؤكد لكم أننا على مدى خطوات قليلة من هدفنا ولم تبق إلا مسافة قصيرة كي تتم الأفعى الرمزية Sympolic Serpeni ^(١) - شعار شعبنا - دورتها، وحينما تغلق هذه الدائرة ستكون كل دول أوربا محصورة فيها بأغلال لا تكسر.

إن كل الموازين ^(٢) البنائية القائمة ستنتهار سريعاً، لأننا على الدوام نفقدها توازنها كي نبليها بسرعة أكثر، ونحقق كفايتها.

لقد ظن الأميون أن هذه الموازين، قد صنعت ولها من القوة ما يكفى، وتوقعوا منها أن تزن الأمور بدقة، ولكن القوامين عليها - أى رؤساء الدول كما يقال - مرتبكون بخدمهم الذين لا فائدة لهم منهم، مقودون كما هى عاداتهم بقوتهم المطلقة على المكيدة والدس بفضل المخاوف السائدة فى القصور.

والملك لم تكن له سبل إلا قلوب رعاياه، ولهذا لم يستطع أن يحصن نفسه ضد مدبرى المكاييد والدسائس الطامحين إلى القوة. وقد فصلنا القوة المراقبة عن قوة الجمهور العمياء، فقدت القوتان معاً أهميتهما، لأنهما حين انفصلتا صارتا كأعمى فقد عصاه.

ولكى نغرى الطامحين إلى القوة بأن يسيئوا استعمال حقوقهم - وضعنا القوى: كل واحد منها ضد غيرها، بأن شجعنا ميولهم التحررية نحو الاستقلال، وقد شجعنا كل مشروع فى هذا الاتجاه ووضعنا أسلحة فى أيدي كل الأحزاب وجعلنا السلطة هدف كل طموح إلى الرفة. وقد أقمنا ميادين تشتجر فوقها الحروب الحزبية بلا ضوابط ولا التزامات. وسرعان ما ستنتطلق الفوضى، وسيظهر الإفلاس فى كل مكان.

لقد مسخ الثرثارون الوقحاء ^(٣) المجالس البرلمانية والإدارية مجالس جدلية.

(١) انظر تعقيب نيلوس فى آخر الكتاب، والشعار اليهودى البلشفي ..

(٢) أى السنن التى تضبط المجتمع وتسيره، فى تفكيره وإحساسه وسلوكه، واليهود دائمو النقد لها، وتعطيل آثارها بهدمها، وتشكيك الناس فيها وتركهم فى حيرة من أمرهم وأمرها، وفى الوقت ذاته يقدمون بدلها وضدها مقاييس مضللة يطبعونها بطابع علمى فيغتر قصار النظر بها. ولو كانوا من قادة الفكر والرأى، إذا لم يكونوا ذوى أصالة فى النظر، وتجربة طويلة واعية ..

(٣) Insuppressable ومعناها الذى لا يقهر والمقصود الأعضاء الذين لا يقدرّون العواقب. والوقاحة هى الصلابه، والوقحاء أصحاب وجوه صلاب.

والصحفيون الجريئون، وكتاب النشرات Pamphleteers^(١) الجسورون يهاجمون القوى الإدارية هجوماً مستمراً. وسوف يهيب سوء استعمال السلطة تفتت كل الهيئات لا محالة، وسينهار كل شيء صريعاً تحت ضربات الشعب الهائج.

إن الناس مستعدون في عرق جباههم للفقير بأسلوب أفضح من قوانين رق الأرض. فمن هذا الرق يستطيعون أن يحرروا أنفسهم بطريقة أو بأخرى، على أنه لا شيء يحررهم من طغيان الفقر المطبق. ولقد حرصنا على أن نقحم حقوقاً للهيئات خيالية محضة، فإن كل ما يسمى « حقوق البشر » لا وجود له إلا في المثل التي لا يمكن تطبيقها عملياً. ماذا يفيد عاملاً أجيراً قد حنى العمل الشاق ظهره، وضاق بحظه - أن يجد ثرثار حق الكلام، أو يجد صحفى حق نشر أى نوع من التفاهات؟ ماذا ينفع الدستور العمال الأجراء إذا هم لم يظفروا منه بفائدة غير الفضلات التي نظر حها إليهم من موائدنا جزاء أصواتهم لانتخاب وكلائنا؟

إن الحقوق الشعبية سخرية من الفقير، فإن ضرورات العمل اليومى تقعد به عن الظفر بأى فائدة على شاكلة هذه الحقوق، وكل ما لها هو أن تنأى به عن الأجور المحدودة المستمرة، وتجعله يعتمد على الإضرابات والخذومين والزملاء. وتحت حمايتها أباد الرعاع الأرستقراطية التي عضدت الناس، وحميتهم لأجل منفعتهم، وهذه المنفعة لا تنفصل عن سعادة الشعب، والآن يقع الشعب بعد أن حطم امتيازات الأرستقراطية تحت نير الماكرين من المستغلين والأغنياء المحدثين.

إننا نقصد أن نظهر كما لو كنا المحررين للعمال، جئنا لنحررهم من هذا الظلم، حينما ننصحهم بأن يلتحقوا بطبقات جيوشنا من الاشتراكيين والفوضيين والشيوعيين. ونحن على الدوام نتبني الشيوعية ونحتضنها متظاهرين بأننا نساعد العمال طوعاً لمبدأ الأخوة والمصلحة العامة للإنسانية، وهذا ما تبشر به الماسونية الاجتماعية^(٢).

إن الأرستقراطية التي تقاسم الطبقات العاملة عملها - قد أفادها أن هذه الطبقات

(١) من كلمة pamphlet (أى المزرمة) أو الرسالة أو النبذة وهم كتاب النشرات أو الرسائل القصيرة أو الكتيبات، وقد جرى الاصطلاح بين المتأدين قديماً على تسمية كتاب الرسائل بالمرسلين أخذاً من الرسالة فوجدناها وافية بالمراد مقابل pamphleteers ولكنها غريبة على القراء، فوضعنا بدلها كلمة: كتاب النشرات، لأنها أكثر معرفة عند القراء فى الاصطلاح التأليفى.

(٢) هنا تلتقي الماسونية والشيوعية والصهيونية وتظهر الصلة بينها جميعاً. وكذلك تلتقي في مواضع أخرى.

العاملة طيبة الغذاء جيدة الصحة قوية الأجسام، غير أن فائدتنا نحن فى ذبول الأميين وضعفهم. وإن قوتنا تكمن فى أن يبقى العامل فى فقر ومرض دائمين، لأننا بذلك نستبقيه عبداً لإرادتنا، ولن يجد فيمن يحيطون به قوة ولا عزماً للوقوف ضدنا. وإن الجوع سيخول رأس المال حقوقاً على العامل أكثر مما تستطيع سلطة الحاكم الشرعية أن تخول الأرستقراطية من الحقوق^(١).

ونحن نحكم الطوائف باستغلال مشاعر الحسد والبغضاء التي يؤججها الضيق والفقر، وهذه المشاعر هى وسائلنا التي نكتسح بها بعيداً كل من يصدوننا عن سبيلنا^(٢).

وحينما يأتى أو ان تتويج حاكمنا العالمى ستمسك بهذه الوسائل نفسها، أى نستغل الغوغاء كيما نحطم كل شىء قد ثبت أنه عقبة فى طريقنا.

لم يعد الأميون قادرين على التفكير فى مسائل العلم دون مساعدتنا. وهذا هو السبب فى أنهم لا يحققون الضرورة الحيوية لأشياء معينة سوف نحتفظ بها حين تبلغ ساعتنا أجلها، أعنى أن الصواب وحده بين كل العلوم وأعظمها قدراً هو ما يجب أن يعلم فى المدارس، وذلك هو علم حياة الإنسان والأحوال الاجتماعية، وكلاهما يستلزم تقسيم العمل، ثم تصنيف الناس فئات وطبقات. وأنه لخم لازم أن يعرف كل إنسان فيما بعد أن المساواة الحققة لا يمكن أن توجد. ومنشأ ذلك اختلاف طبقات أنواع العمل المتباينة. وأن من يعملون بأسلوب يضر فئة كاملة لا بد أن تقع عليهم مسئولية تختلف أمام القانون عن المسئولية التى تقع على من يرتكبون جريمة لا تؤثر إلا فى شرفهم الشخصى فحسب.

إن علم الأحوال الاجتماعية الصحيح الذى لا نسلم أسرار له للأميين سيقنع العالم أن الحرف والأشغال يجب أن تحصر فى فئات خاصة كي لا تسبب متاعب إنسانية تنشأ عن تعليم لا يساير العمل الذى يدعى الأفراد إلى القيام به. وإذا ما درس الناس هذا العلم فسيخضعون بمحض إرادتهم للقوى الحاكمة وهيئات الحكومة التى رتبها. وفي ظل الأحوال الحاضرة للجمهور والمنهج الذى سمحنا له باتباعه - يؤمن الجمهور فى جهله إيماناً أعمى بالكلمات المطبوعة وبالأوهام الخاطئة التى أوحينا بها إليه كما يجب، وهو يحمل

(١) ليت العمال يسمعون ذلك ويعونه، ليعرفوا أى سم يدس لهم اليهود، أو غيرهم حينما يتظاهرون بالعطف عليهم ويعدونهم ويمنونهم بما لا يمكن تحقيقه ولو حسنت النيات فكيف إذا ساءت؟ وأدعياء الإصلاح لا يعدونهم إلا غروراً.

(٢) ومن هنا يظهر أن الشيوعيين وغيرهم الذين لا يعرفون طريقاً لاستغلال الإنسان إلا على هذا النحو الوضع ليسوا غير منفذين للسياسة الصهيونية ولو بغير وعي.

البغضاء لكل الطبقات التي يظن أنها أعلى منه لأنه لا يفهم أهمية كل فئة . وإن هذه البغضاء ستصير أشد مضاء حيث تكون الأزمات الاقتصادية مستحكمة، لأنها ستوقف الأسواق والإنتاج والإنتاج، وسنخلق أزمة اقتصادية عالمية بكل الوسائل الممكنة التي في قبضتنا، وبمساعدة الذهب الذي هو كله في أيدينا. وسنقذف دفعة واحدة إلى الشوارع بجموع جرارة من العمال في أوروبا، ولسوف تقذف هذه الكتل عندئذ بأنفسها إلينا في ابتهاج، وتسفك دماء أولئك الذين تحسدكم - لغفلتها - منذ الطفولة، وستكون قادرة يومئذ على انتهاب ما لهم من أملاك. إنها لن تستطيع أن تضربنا، لأن لحظة الهجوم ستكون معروفة لدينا، وستتخذ الاحتياطات لحماية مصالحنا.

لقد أقنعنا الأميين بأن مذهب التحررية سيؤدى بهم إلى مملكة العقل وسيكون استبدادنا من هذه الطبيعة لأنه سيكون في مقام يجمع كل الثورات ويستأصل بالعنف اللازم كل فكرة تحررية من كل الهيئات.

حينما لاحظ الجمهور أنه قد أعطي كل أنواع الحقوق باسم التحرر تصور نفسه أنه السيد، وحاول أن يفرض القوة. وأن الجمهور مثله مثل كل أعمى آخر - قد صادف بالضرورة عقبات لا تحصى، ولأنه لم يرغب في الرجوع إلى المنهج السابق وضع عندئذ قوته تحت أقدامنا.

تذكروا الثورة الفرنسية التي نسميها « الكبرى » ان أسرار تنظيمها التمهيدى معروفة لنا جيداً لأنها من صنع أيدينا ^(١). ونحن من ذلك الحين نقود الأمم قدماً من خيبة إلى خيبة، حتى أنهم سوف يتبرأون منا، لأجل الملك الطاغية من دم صهيون، وهو المالك الذي نعهده لحكم العالم. ونحن الآن - كقوة دولية - فوق المتناول، لأنه لو هاجمتنا إحدى الحكومات الأممية لقامت بنصرنا أخريات. إن المسيحيين من الناس في خستهم الفاحشة ليساعدونا على استقلالنا حينما يخرون راكعين أمام القوة، وحينما لا يرثون للضعيف، ولا يرحمون في معالجة الأخطاء، ويتساهلون مع الجرائم، وحينما يرفضون أن يتيبنوا متناقضات الحرية وحينما يكونون صابرين إلى درجة الاستشهاد في تحمل قسوة الاستبداد الفاجر.

(١) انظر ما كتب عن مسار الأفعى الرمزية في التعقيب الملحق بآخر البروتوكولات وهنا وفي مواضع أخرى يدعي اليهود أن الثورة الفرنسية من عمل أيديهم وهذه دعوى مسرفة.

إنهم - على أيدي دكتاتوريتهم الحاليين من رؤساء وزراء ووزراء - ليتحملون إساءات كانوا يقتلون من أجل أصغرها عشرين ملكاً، فكيف بيان هذه المسائل؟

ولماذا تكون الجماعات غير منطقية على هذا النحو في نظرها إلى الحوادث؟

السبب هو أن المستبددين يقتنعون الناس على أيدي وكلائهم بأنهم إذا أساءوا استعمال سلطتهم ونكبو الدولة، فما أجريت هذه النكبة إلا لحكمة سامية، أى التوصل إلى النجاح من أجل الشعب ومن أجل الإخاء والوحدة والمساواة الدولية.

ومن المؤكد أنهم لا يقولون لهم: إن هذا الاتحاد لا يمكن بلوغه إلا تحت حكمنا فحسب، ولهذا نرى الشعب يتهم البريء، ويرى المجرم مقتنعاً بأنه يستطيع دائماً أن يفعل ما يشاء وينشأ عن هذه الحالة العقلية أن الرعاع يحطمون كل تماسك، ويخلقون الفوضى في كل ثنية وكل ركن.

إن كلمة «الحرية» تزج بالمجتمع في نزاع مع كل القوى حتى قوة الطبيعة وقوة الله. وذلك هو السبب في أنه يجب علينا - حين نستحوذ على السلطة - أن نمتحن كلمة الحرية من معجم الإنسانية باعتبار أنها رمز القوة الوحشية الذى يمسح الشعب حيوانات متعطشة إلى الدماء. ولكن يجب أن نركز في عقولنا أن هذه الحيوانات تستغرق في النوم حينما تشبع من الدم، وفي تلك اللحظة يكون يسيراً علينا أن نسيطرها وأن نستعبدنا. وهذه الحيوانات إذا لم تعط الدم فلن تنام، بل سيقا تل بعضها بعضاً.

البروتوكول الرابع:

كل جمهورية تمر خلال مراحل متنوعة: أولاها فترة الأيام الأولى لثورة العميان التي تكتسح وتخرب ذات اليمين وذات الشمال. والثانية هي حكم الغوغاء الذى يؤدى إلى الفوضى، ويسبب الاستبداد. إن هذا الاستبداد من الناحية الرسمية غير شرعى، فهو لذلك غير مسئول. وإنه خفى محجوب عن الأنظار ولكنه مع ذلك يترك نفسه محسوساً به. وهو على العموم تصرفه منظمة سرية تعمل خلف بعض الوكلاء، ولذلك سيكون أعظم جبروتاً وجساراً. وهذه القوة السرية لن تفكر في تغيير وكلائها الذين تتخذهم ستاراً، وهذه التغييرات قد تساعد المنظمة التي ستكون كذلك قادرة على تخليص نفسها من خدمها القدماء الذين سيكون من الضروري عندئذ منحهم مكافآت أكبر جزاء خدمتهم

من ذا وماذا يستطيع أن يخلع قوة خفية عن عرشها؟ هذا هو بالضبط ما عليه حكومتنا الآن. إن المحفل الماسوني المنتشر في كل أنحاء العالم ليعمل في غفلة كقناع لأغراضنا. ولكن الفائدة التي نحن دائبون على تحقيقها من هذه القوة في خطة عملنا وفي مركز قيادتنا - ما تزال على الدوام غير معروفة للعالم كثيراً.

يمكن ألا يكون للحرية ضرر، وأن نقوم في الحكومات والبلدان من غير أن تكون ضارة بسعادة الناس، لو أن الحرية كانت مؤسسة على العقيدة وخشية الله، وعلى الأخوة والإنسانية، نقية من أفكار المساواة التي هي مناقضة مناقضة مباشرة لقوانين الخلق. والتي فرضت التسليم. إن الناس محكومين بمثل هذا الإيمان سيكونون موضوعين تحت حماية كنائسهم ^(١) (هيئاتهم الدينية) وسيعيشون في هدوء واطمئنان وثقة تحت إرشاد أئمتهم الروحيين، وسيخضعون لمشئته الله على الأرض. وهذا هو السبب الذي يحتم علينا أن ننتزع فكرة الله ذاتها من عقول المسيحيين، وأن نضع مكانها عمليات حساسية وضرورية مادية. ثم لكي نحول عقول المسيحيين ^(٢) عن سياستنا سيكون حتماً علينا أن نبقيهم منهمكين في الصناعة والتجارة، وهكذا ستصرف كل الأمم إلى مصالحها، ولن تفتن في هذا الصراع العالمي إلى عدوها المشترك. ولكن لكي تزلزل الحرية حياة الأميين الاجتماعية زلزالاً، وتدمرها تدميراً - يجب علينا أن نضع التجارة على أساس المضاربة.

وستكون نتيجة هذا أن خيارات الأرض المستخلصة بالاستثمار لن تستقر في أيدي الأميين (غير اليهود) بل ستعبر خلال المضاربات إلى خزائنا.

إن الصراع من أجل التفوق، والمضاربة في عالم الأعمال ستخلق مجتمعا أنانيا غليظ القلب منحل الأخلاق. هذا المجتمع سيصير منحل كل الانحلال ومبغضاً أيضاً من الدين والسياسة. وستكون شهوة الذهب رائده الوحيد. وسيكافح هذا المجتمع من أجل

(١) ليس المراد بالكنائس هنا أماكن العبادة عند المسيحيين بل الهيئات الدينية عند جميع المتدينين على اختلاف مللهم ونحلهم كما يقال في الكنيسة الكاثوليكية والكنيسة البروتستانتية أي الهيئة الدينية الكاثوليكية و... ولذلك يقولون أحياناً: الكنيسة الإسلامية أي الهيئة الدينية الإسلامية.

(٢) خصت البروتوكولات المسيحيين بالذكر لأنهم أكثر عدداً وأعظم قوة من غيرهم من ذوى الملل والنحل، فإذا استطاعوا تدمير المسيحية سهل عليهم تدمير غيرها من الأديان كما ذكر في آخر البروتوكول ١٩، فالمراد هنا أصحاب الأديان جميعاً كما جاء ذلك في عدة مواضع .

الذهب متخذاً للذات المادية التي يستطيع أن يمدّه بها الذهب مذهبا أصيلاً. وحينئذ ستنضم إلينا الطبقات الوضيعة ضد منافسينا الذين هم الممتازون من الأميين دون احتجاج بدافع نبيل، ولا رغبة في الثورات أيضاً بل تنفيساً عن كراهيتهن المحضة للطبقات العليا.

البروتوكول الخامس :

ما نوع الحكومة الذي يستطيع المرء أن يعالج به مجتمعات قد تفتشت الرشوة والفساد في كل أنحائها: حيث الغنى لا يتوصل إليه إلا بالمفاجآت الماكرة، ووسائل التدليس، وحيث الخلافات متحكمة على الدوام، والفضائل في حاجة إلى أن تعززها العقوبات والقوانين الصارمة، لا المبادئ المطاعة عن رغبة، وحيث المشاعر الوطنية والدينية مستغرقة في العقائد العلمانية Cosmopolitam .

ليست صورة الحكومة التي يمكن أن تعطاها هذه المجتمعات بحق إلا صورة الاستبداد التي سأصفها لكم.

إننا سننظم حكومة مركزية قوية، لكي نحصل على القوى الاجتماعية لأنفسنا. وسنضبط حياة رعايانا السياسية بقوانين جديدة كما لو كانوا أجزاء كثيرة جداً في جهاز. ومثل هذه القوانين ستكبح كل حرية، وكل نزعات تحررية يسمح بها الأميون (غير اليهود) وبذلك يعظم سلطاننا فيصير استبدادا يبلغ من القوة أن يستطيع في أي زمان وأي مكان سحق الساخطين المتمردين من غير اليهود.

سيقال: إن نوع الاستبداد الذي أقترحه لن يناسب تقدم الحضارة الحالي، غير أنني سأبرهن لكم على أن العكس هو الصحيح. إن الناس حينما كانوا ينظرون إلى ملوكهم نظرهم إلى إرادة الله كانوا يخضعون في هدوء لاستبداد ملوكهم. ولكن منذ اليوم الذي أوحينا فيه إلى العامة بفكرة حقوقهم الذاتية – أخذوا ينظرون إلى الملوك نظرهم إلى أبناء الفناء العاديين. ولقد سقطت المسحة المقدسة ^(١) عن رؤوس الملوك في نظر الرعايا، وحينما انتزعنا منهم عقيدتهم هذه انتقلت القوة إلى الشوارع ^(٢)، فصارت كالمملك المشاع فاخترطناها. ثم أن من بين مواهبنا الإدارية التي نعدها لأنفسنا موهبة حكم الجماهير

(١) أي زالت عنهم مسحة القداسة وأنكر الناس علي الملوك الحق الإلهي المطلق في حكم الشعوب.

(٢) أي صارت السلطة للشعوب لا الملوك وصارت الأمم مصدر السلطات.

والأفراد بالنظريات المؤلفة بدهاء، وبالعبارات الطنانة، وبسنن الحياة وكل أنواع الخديعة الأخرى. كل هذه النظريات التي لا يمكن أن يفهمها الأميون أبداً مبنية على التحليل والملاحظة ممتزجين بفهم يبلغ من براعته ألا يجارينا فيه منافسونا أكثر مما يستطيعون أن يجارونا في وضع خطط للأعمال السياسية والاعتصاب، وأن الجماعة المعروفة لنا لا يمكن أن تنافسنا في هذه الفنون ربما تكون جماعة اليسوعيين Jesuits، ولكننا نجحنا في أن نجعلهم هزواً وسخرية في أعين الرعايا الأغبياء، وهذا مع أنها جماعة ظاهرة بينما نحن أنفسنا باقون في الخفاء محتفظون بمنظمتنا سراً.

ثم ما الفرق بالنسبة للعالم بين أن يصير سيده هو رأس الكنيسة الكاثوليكية، وأن يكون طاغية من دم صهيون؟.

ولكن لا يمكن أن يكون الأمران سواء بالنسبة إلينا نحن «الشعب المختار» قد يتمكن الأمميون فترة من أن يسوسونا ولكننا مع ذلك لسنا في حاجة إلى الخوف من أي خطر ما دمنا في أمان بفضل البذور العميقة لكرهيتهم بعضهم بعضاً، وهي كراهية متأصلة لا يمكن انتزاعها.

لقد بذرنا الخلاف بين كل واحد وغيره في جميع أغراض الأميين الشخصية والقومية، بنشر التعصبات الدينية والقبلية خلال عشرين قرناً. ومن هذا كله تنقرر حقيقة: هي أن أي حكومة منفردة لن تجد لها سنداً من جاراتها حين تدعوها إلى مساعدتها ضدنا، لأن كل واحدة منها ستظن أن أي عمل ضدنا هو نكبة علي كيانها الذاتي^(١).

نحن أقوياء جداً، فعلى العالم أن يعتمد علينا وينيب إلينا. وأن الحكومات لا تستطيع أبداً أن تبرم معاهدة ولو صغيرة دون أن تتدخل فيها سراً.

« بحكمي فليحكم الملوك Per me reges rogunt » .

إننا نقرأ في شريعة الأنبياء أننا مختارون من الله لنحكم الأرض، وقد منحنا الله العبقريّة، كي نكون قادرين على القيام بهذا العمل إن كان في معسكر أعدائنا عبقرى فقد

(١) هذه محنة من شر المحن التي تقاسيها الشعوب التي عظم فيها نفوذ اليهود، لأن هذا النفوذ غالباً يستعمل ضد مصلحة الشعوب، وإذا أرادت الأمة التخلص منه لم تستطع إلا بتضحية كثير من مصالحها لشدة الترابط بين مصالحها ومصالح اليهود. كما حدث في ألمانيا بعد الحرب العالمية الأولى .

يحاربنا، ولكن القادم الجديد لن يكن كفؤاً لأيد عريقة (١) كأيدنا.

إن القتال بيننا سيكون ذا طبيعة مقهورة لم ير العالم لها مثيلاً من قبل والوقت متأخر بالنسبة إلى عباقرتهم. وإن عجلات جهاز الدولة كلها تحركها قوة، وهذه القوة في أيدينا هي التي تسمى: الذهب .

وعلم الاقتصاد السياسي: الذي محصه علماءنا الفطاحل قد برهن على أن قوة رأس المال أعظم من مكانة التاج .

ويجب الحصول على احتكار مطلق للصناعة والتجارة، ليكون لرأس المال مجال حر، وهذا ما تسعى لاستكماله فعلا يد خفية في جميع أنحاء العالم . ومثل هذه الحرية ستمنح التجارة قوة سياسية، وهؤلاء التجار سيظلون الجماهير بانتهاز الفرص .

وتجريد الشعب من السلاح في هذه الأيام (٢) أعظم أهمية من دفعه إلى الحرب، وأهم من ذلك أن نستعمل العواطف المتأججة في أغراضنا بدلاً من إخمادها وأن نشجع أفكار الآخرين ونستخدمها في أغراضنا بدلاً من محوها، إن المشكلة الرئيسية لحكومتنا هي: كيف تضعف عقول الشعب بالانتقاد (٣) وكيف تفقدها قوة الإدراك التي تخلق نزعة المعارضة ، وكيف تسحر عقول العامة بالكلام الأجوف.

في كل الأزمان كانت الأمم – مثلها مثل الأفراد – تأخذ الكلمات على أنها أفعال، كأنما هي قانعة بما تسمع، وقلما تلاحظ ما إذا كان الوعد قابلاً للوفاء فعلاً أم غير قابل. ولذلك فإننا – رغبة في التظاهر فحسب – سننظم هيئات يبرهن أعضاؤها بالخطب البليغة على مساعداتهم في سبيل «التقدم» ويشنون عليها (٤).

(١) أي أن العبقري الجديد لن يبلغ في المقدرة على الحكم مبلغ حكماء صهيون الذين تدربوا على سياسة الجماهير منذ قرون يورث خلالها السابقون منهم اللاحقين أسرار السياسة ويدربونهم على الحكم .

(٢) إن تجريد الشعوب من السلاح وخاصة في الأوقات التي يتهدها فيها خطر خارجي يجمد في قلوبها الشجاعة والنخوة، ويغريها باليأس والاستسلام. وهذا ما تقاسيه بعض البلاد العربية الآن وهو من شر ما تصاب به الشعوب من البلى .

(٣) إن النقد على غير أساس صحيح يربك العقول ويضللها، ويغريها بالإفراط في الجدال لحض الجدل، لا لرغبة في معرفة الحق. وهو من شر البلى التي تسلط على الشعوب الجاهلة .

(٤) هذه حقيقة جديرة بالالتفات في السياسة، والزعماء الدجالون يلجأون في تضليل الشعوب إلى الوعود البراقة، وإن الجماهير الجاهلة تميل دائماً إلى تصديقها غفلة، أو أملاً كاذباً في تغيير الحال أو ثقة زائفة بالزعماء، أو كل ذلك ونحوه.

وسنزيّف مظهرًا تحريراً لكل الهيئات وكل الاتجاهات ، كما أننا سنضفي هذا المظهر على كل خطابائنا . وهؤلاء سيكونون ثرثارين بلا حد ، حتى إنهم سينهكون الشعب بخطبهم ، وسيجد الشعب خطابة من كل نوع أكثر مما يكفيه ويقنعه.

ولضمان الرأي العام يجب أولاً أن نحيره كل الحيرة بتغييرات من جميع النواحي لكل أساليب الآراء المتناقضة حتى يضيع الأُميون (غير اليهود) في متاهتهم . وعندئذ سيفهمون أن خيراً ما يسلكون من طرق هو أن لا يكون لهم رأي في المسائل السياسية: هذه المسائل لا يقصد منها أن يدركها الشعب، بل يجب أن تظل من مسائل القادة الموجهين فحسب. وهذا هو السر الأول (١) .

والسر الثاني (٢) – وهو ضروري لحكومتنا الناجحة – أن تتضاعف وتتضخم الأخطاء والعادات والعواطف والقوانين العرفية في البلاد، حتى لا يستطيع إنسان أن يفكر بوضوح في ظلامها المطبق، وعندئذ يتعطل فهم الناس بعضهم بعضاً .

هذه السياسة ستساعدنا أيضاً في بذر الخلافات بين الهيئات، وفي تفكيك كل القوى المتجمعة، وفي تثبيط كل تفوق فردي ربما يعوق أغراضنا بأي أسلوب من الأساليب.

لا شيء أخطر من الامتياز الشخصي . فإنه إذا كانت وراءه عقول فربما يضرنا أكثر مما تضرنا ملايين الناس الذين وضعنا يد كل منهم على رقبة الآخر ليقترله .

يجب أن نوجه تعليم المجتمعات المسيحية (٣) في مثل هذا الطريق: فكلما احتاجوا إلى كفاء لعمل من الأعمال في أي حال من الأحوال سقط في أيديهم وضلوا في خيبة بلا أمل .

إن النشاط الناتج عن حرية العمل يستنفد قوته حينما يصطدم بحرية الآخرين. ومن هنا تحدث الصدمات الأخلاقية وخبية الأمل والفشل.

(١ ، ٢) هذان السران من أخطر الأسرار السياسية، وعليهما تبني النتائج الخطيرة المشار إلى بعضها في الفقرة التالية لهما.

(٣) هذا أيضاً يشمل المجتمعات غير المسيحية.

بكل هذه الوسائل سنضغط المسيحيين^(١) ، حتى يضطروا إلى أن يطلبوا منا أن نحكمهم دولياً. وعندما نصل إلى هذا المقام سنستطيع مباشرة أن نستنزف كل قوى الحكم فى جميع أنحاء العالم، وأن نشكل حكومة عالمية عليا.

وسنضع موضع الحكومات القائمة ماردا Monstor يسمى إدارة الحكومة العليا Administration of the supergovernment وستمتد أيديه كالحالب الطويلة المدى، وتحت إمرته سيكون له نظام يستحيل معه أن يفشل فى إخضاع كل الأقطار.

البروتوكول السادس :

سنبداً سريعاً بتنظيم احتكارات عظيمة – هى صهاريج للثورة الضخمة – لتستغرق خلالها دائماً الثروات الواسعة للأُميين (غير اليهود) إلى حد أنها ستتهبط جميعها وتهبط معها الثقة بحكومتها يوم تقع الأزمة السياسية^(٢) .

وعلى الاقتصاديين الحاضرين بينكم اليوم هنا أن يقدروا أهمية هذه الخطوة.

لقد انتهت أرستقراطية الأُميين كقوة سياسية، فلا حاجة لنا بعد ذلك إلى أن ننظر إليها من هذا الجانب. لكن الأرستقراطيين من حيث هم ملاك أرض ما يزالون خطراً علينا. لأن معيشتهم المستقلة مضمونة لهم بمواردهم . ولذلك يجب علينا وجوباً أن نجرد الأرستقراطيين من أراضيهم بكل الأثمان. وأفضل الطرق لبلوغ هذا الغرض هو فرض الأجور والضرائب. إن هذه الطرق ستبقى منافع الأرض فى أحط مستوى ممكن.. وسرعان ما سينهار الأرستقراطيين من الأُميين لأنهم – بما لهم من أذواق موروثة^(١) – غير قادرين على القناة بالقليل.

وفى الوقت نفسه يجب أن نفرض كل سيطرة ممكنة على الصناعة والتجارة وعلى المضاربة بخاصة فإن الدور role الرئيسى لها أن تعمل كمعادن للصناعة.

(١) ليست عداوة اليهود مقصورة على المسيحيين بل تشمل كل من عدا اليهود، وهم يختصونهم بالذكر فى هذا الوضع وغيره من الكتاب، لأن الأُم المسيحية أكثر وأقوى مما عداها. فإذا انتصر اليهود عليهم سهل أن ينتصروا على غيرهم من المسلمين والبوذيين ونحوهم كما أشاروا إلى ذلك فى مواضع هنا.

(*) المقصود كما يظهر أن اليهود سيحبون أموالهم فى اللحظة الأخيرة (عن الأصل الإنجليزى).

(٢) أى أن الأرستقراطيين بما اعتادوه ونشأوا عليه من حب للترف وغرام بالبذخ لا يستطيعون أن يقنعوا بالمال القليل الذى تمدهم به غلات الأرض حين تنحدر فى مستوى خفيض فيضطرون إلى التنازل عن أراضيهم بالبيع أو الرهن.

وبدون المضاربة ستزيد الصناعة رؤوس الأموال الخاصة، وستتجه إلى إنهاض الزراعة بتحرير الأرض من الديون والرهون العقارية التي تقدمها البنوك الزراعية . وضرورى أن تستنزف الصناعة من الأرض كل خيراتها وأن تحول المضاربات كل ثروة العالم المستفادة على هذا النحو إلى أيدينا.

وبهذه الوسيلة سوف يقذف بجميع الأميين (غير اليهود) إلى مراتب العمال الصعاليك Proletariat وعندئذ يختر الأميون أمامنا ساجدين ليظفروا بحق البقاء .

ولكى نخرب صناعة الأميين، ونساعد المضاربات - سنشجع حب الترف المطلق الذى نشرناه من قبل، وسنزيد الأجور التى لن تساعد العمال، كما أننا فى الوقت نفسه سنرفع أثمان الضروريات الأولية متخذين سوء المحصولات الزراعية عذراً عن ذلك (١) كما سننسف بمهارة أيضا أسس الإنتاج ببذر بذور الفوضى بين العمال، وبتشجيعهم على إدمان المسكرات. وفى الوقت نفسه سنعمل كل وسيلة ممكنة لطرد كل ذكاء أسمى (غير يهودى) من الأرض. ولكيلا يتحقق الأميون من الوضع الحق للأمور قبل الأوان - سنستره برغبتنا فى مساعدة الطبقات العاملة على حل المشكلات الاقتصادية الكبرى، وأن الدعاية التى لنظرياتنا الاقتصادية تعاون على ذلك بكل وسيلة ممكنة.

البروتوكول السابع (٢) :

إن ضخامة الجيش، وزيادة القوة البوليسية ضروريتان لإتمام الخطط السابقة الذكر. وإنه لضرورى لنا، كى نبلغ ذلك، أن لا يكون إلى جوانبنا فى كل الأقطار شىء بعد إلا طبقة صعاليك ضخمة، وكذلك جيش كثير وبوليس مخلص لأغراضنا.

(١) رفع أجور العمال يرهق أصحاب الأعمال، وقد يعجزهم عن الاستمرار فى عملهم، وفى الوقت نفسه قد لا يستفيد العمال من رفع الأجور، لأن أثمان المواد الضرورية مرتفعة فيضطرون إلى إنفاق أجورهم مهما ترتفع، على حين يغريهم اليهود بإدمان المسكرات ويثرون فى نفوسهم عوامل الحسد والسخط على حياتهم، وغير ما تحارب به هذه الفكرة خفض أسعار المواد الضرورية ليستطيع العامل أن يعيش بأجره ولو كان منخفضاً، وإفهامه أن حقه على المجتمع أن يكفل له ما يعيش به لا أن يكون فى غنى فلان وغيره، وليلاحظ القارئ سباق فئات الموظفين فى الحكومات والشركات فى المطالبة برفع الأجور، وهى حال سيئة تقوم الآن فى بعض بلادنا.

(٢) يجب أن يندقق القارئ فى هذا البروتوكول فإن كل ما ورد فيه ينطبق بكل حروفه على روسيا الشيوعية، وهو أوضح دليل على ما بين الشيوعية واليهود من صلات، وعلى أن الشيوعية ليست إلا فكرة يهودية تسخر روسيا وغيرها للاستيلاء على العالم، فالجيش والقوة البوليسية هما عماد الحكم الإرهابى فى روسيا.

فى كل أوروبا، وبمساعدة أوروبا - يجب أن ننشر فى سائر الأقطار الفتنة والمنازعات والعداوات المتبادلة. فإن فى هذا فائدة مزدوجة: فأما أولاً: فهذه الوسائل ستتحكم فى أقدار كل الأقطار التى تعرف حق المعرفة أن لنا القدرة على خلق الاضطرابات كما نريد، مع قدرتنا على إعادة النظام، وكل البلاد معتادة على أن تنظر إلينا مستغيثة عند إلحاح الضرورة متى لزم الأمر. وأما ثانياً فبالمكايد والدسائس، سوف نصطاد بكل أحابيلنا وشبا كنا التى نصبناها فى وزارات جميع الحكومات، ولم نحبكها بسياستنا فحسب، بل بالاتفاقات الصناعية والخدمات المالية أيضاً.

ولكى نصل إلى هذه الغايات يجب علينا أن ننطوى على كثير من الدهاء والخبث خلال المفاوضات والاتفاقات ولكننا فيما يسمى «اللغة الرسمية» سوف نتظاهر بحركات عكس ذلك، كى نظهر بمظهر الأمين المتحمل للمسئولية (١).

وبهذا ستنظر دائماً إلينا حكومات الأميين - التى علمناها أن تقتصر فى النظر على جانب الأمور الظاهرى وحده - كأننا متفضلون ومنقذون للإنسانية.

ويجب علينا أن نكون مستعدين لمقابلة كل معارضة بإعلان الحرب على جانب ما يجاورنا من بلاد تلك الدولة التى تجرؤ على الوقوف فى طريقنا. ولكن إذا غدر هؤلاء الجيران فقررُوا الاتحاد ضدنا - فالواجب علينا أن نجيب على ذلك بخلق حرب عالمية.

إن النجاح الأكبر فى السياسة يقوم على درجة السرية المستخدمة فى اتباعها، وأعمال الدبلوماسية لا يجب أن تطابق كلماته. ولكى نعزز خطتنا العالمية الواسعة التى تقترب من نهايتها المشتهاة - يجب علينا أن نتسلط على حكومات الأميين بما يقال له لآراء العامة التى دبرناها نحن فى الحقيقة من قبل، متوسلين بأعظم القوى جميعاً، وهى الصحافة، وإنها جميعاً لفى أيدينا إلا قليلاً لا نفوذ له ولا قيمة يعتد بها.

ويإيجاز ، من أجل أن نظهر استبعادنا لجميع الحكومات الأمية فى أوروبا - سوف

(١) أى الوفى بعهوده المنفذ لما يلتزم به، سواء أوفى بذلك مضطراً أم غدر مع قدرته على الغدر والإخلاف، ومن أمثلة ذلك نشر روسيا اليهودية للفتن والاضطرابات فى كل الأقطار، واتهامها الدول الغربية بالعمل على قيام الحرب ومن ذلك تظاهرها هى بحب السلام والدعوة إليه، لتكسب أنصاراً إلى جانبها فى كل البلاد من المخذوعين أو الأشرار وروسيا ظاهرة جداً فى هذا البروتوكول .

نبيين^(١) قوتنا لواحدة منها^(٢) متوسلين بجرائم العنف وذلك هو ما يقال له حكم الإرهاب^(٣) وإذا اتفقوا جميعاً ضدنا فعندئذ سنجيبهم بالمدافع الأمريكية أو الصينية^(٤) أو اليابانية.

البروتوكول الثامن :

يجب أن نأمن كل الآلات التي قد يوجهها أعداؤنا ضدنا. وسوف نلجأ إلى أعظم التعبيرات تعقيداً وإشكالاً في معظم القانون - لكي نخلص أنفسنا - إذا أكرهنا على إصدار أحكام قد تكون طائشة أو ظالمة. لأنه سيكون هاماً أن نعبر عن هذه الأحكام بأسلوب محكم، حتى تبدو للعامة إنها من أعلى نمط أخلاقي، وأنها عادلة وطبيعية حقاً. ويجب أن تكون حكومتنا محوطة بكل قوى المدنية التي ستعمل خلالها. إنها ستجذب إلى نفسها الناشرين والحامين والأطباء ورجال الإدارة الدبلوماسيين، ثم القوم المنشئين في مدارسنا التقدمية الخاصة^(٥). هؤلاء القوم سيعرفون أسرار الحياة الاجتماعية، فسيتمكنون من كل اللغات مجموعة في حروف وكلمات سياسية، وسيفقهون جيداً في الجانب الباطني للطبيعة الإنسانية بكل أوتارها العظيمة المرهفة اللطيفة التي سيعرفون عليها. إن هذه الأوتار هي التي تشكل عقل الأميين، وصفاتهم الصالحة والطالحة، وميولهم،

(١) الكلمات المكتوبة بالخط الأسود في الإنجليزية بالحروف المائلة (italic) ، لتوجيه النظر إليها.

(٢) هذه الواحدة هي الحكومة الروسية القيصرية التي وقع عليها اختيار اليهود لتكون عبرة ونكالا لغيرها، وقد تنبأ بهذا ناشر البروتوكولات الأول قبل حدوثه باثنتي عشرة سنة (كما جاء في مقدمته هنا) فقد ازالوا قيصرها وأسسوا حكومتهم الشيوعية الماركسية اليهودية، ولا يزالون يطبقون فيها سياسة البروتوكولات الإرهابية ويثبون القلاقل في كل ركن في العالم.

(٣) لاحظ الحالة الحاضرة في روسيا. (عن الاصل الإنجليزي)

(٤) لقد نجح الشيوعيون اليهود أخيراً في النفوذ إلى الصين على أيدي وكلائهم من الصينيين وغيرهم، وشرعوا بيسطون سلطانهم علانية بالعنف والخديعة على آسيا، إلى جانب ما استحوذوا عليه من الأفطار الأوروبية ولا يوجد قطر في العالم لم تتسرب إليه الشيوعية اليهودية مستغلة ضيق الناس وشرهم وجهلهم، ومثيرة حسدهم وبغضهم على من هم أعلى منهم هذا إلى صنائعهم في الحكومات والشركات وغيرها ممن لا يعملون باسم الشيوعية ظاهراً، وليسوا مع ذلك إلا صنائع وخداماً منفذين لأغراض صهيون، وفي ذلك ما يدل على أنهم يريدون تسخير الصين وأمريكا كما هو حاصل، وتسخير اليابان أيضاً ضد أوروبا عند الضرورة، وهذا شيء لم يكن في حساب سياسي قط منذ خمسين سنة إلاحكام اليهود.

(٥) لا يخلو قطر في العالم من صنائع اليهود بين هذه الطوائف المذكورة وغيرها ينفذون خطط صهيون ويخدمونها عن وعي وعن غير وعي.

وعيوبهم، من عجيب الفئات والطبقات. وضرورى أن مستشارى سلطتنا هؤلاء الذين أشير هنا إليهم - لن يختاروا من بين الأميين (غير اليهود) الذين اعتادوا أن يحتملوا أعباء أعمالهم الإدارية دون أن يتدبروا بعقولهم النتائج التى يجب أن ينجزوها، ودون أن يعرفوا الهدف من وراء هذه النتائج. إن الإداريين من الأميين يؤشرون على الأوراق من غير أن يقرأوها، ويعملون حباً فى المال أو الرفعة، لا للمصلحة الواجبة.

إننا سنحيط حكومتنا بجيش كامل من الاقتصاديين، وهذا هو السبب فى أن علم الاقتصاد هو الموضوع الرئيسى الذى يعلمه اليهود. وسنكون محاطين بألوف من رجال البنوك، وأصحاب الصناعات، وأصحاب الملايين - وأمرهم لايزال أعظم قدراً - إذ الواقع أن كل شىء سوف يقرره المال. وما دام ملء المناصب الحكومية بإخواننا اليهود فى أثناء ذلك غير مأمون بعد - فسوف نعد بهذه المناصب الخطيرة إلى القوم الذين ساءت صحائفهم وأخلاقهم، كى تقف مخازيهم فاصلاً بين الأمة وبينهم، وكذلك سوف نعد بهذه المناصب الخطيرة إلى القوم الذين إذا عصوا أوامرنا توقعوا المحاكمة والسجن (١) والغرض من كل هذا أنهم سيدافعون عن مصالحنا حتى النفس الأخير الذى تنفث صدورهم به.

البروتوكول التاسع :

عليكم أن تواجهوا التفاتاً خاصاً فى استعمال مبادئنا إلى الأخلاق الخاصة بالأمة التى

(١) إن اليهود إنما يختارون صنائعهم غالباً من هؤلاء، فهم دائماً يحاولون استغلال أخط العناصر من أخط مشاعر الناس الإنسانية، وقد انتشر صنائعهم على هذا النحو فى ميادين كثيرة لا سيما الإدارة الحكومية والصحافة (انظر ماكتب فى البروتوكول الأول...، والعاشر...، والثانى عشر... وفى بلادنا العربية وغيرها كثير من صنائعهم ذوى الصحائف السود بين الأدباء والوزراء ورجال الشركات ونحوهم. وهؤلاء الصنائع ذوو ميول ونزعات مختلفة فى الظاهر غالباً، وهم مندسون بين كل الطوائف، والطبقات حتى الخدم فى البيوت والمشارب، والعهات مكشوفات ومستورات ورجال التمثيل ونسائه، والمغنين والمغنيات، والوصيفات، فى البيوتات الغنية وسيدات الصالونات وسادته، وزعماء الشعوب وقادة الفكر، بل إن رجال الأديان مسيحيين ومسلمين لا يخلون من عناصر يهودية أو عناصر من صنائع اليهود تعمل لمصلحتهم، أو عناصر من أصول يهودية تنصرت أو أسلمت لتندمج فى المسيحيين والمسلمين دون أن تثير ريتهم، وليلاحظ خاصة أن من أغراض اليهود القضاء على جميع الأديان، والتوصل لذلك باتخاذ صنائع لهم من رجال الأديان، أو دس يهود يدخلون فى المسيحية أو الإسلام للكيد والهدم من الداخل كعبد الله ابن سبأ فى الإسلام.. وديزائيلى وكارل ماركس فى المسيحية، وهناك طائفة عددها نحو ٤٠٠ أسلموا فى مصر سنة ٩٣٨، ٩٤٢ وقد أشاروا فى البروتوكولات إلى خطتهم ليصلوا إلى جعل بابا الفاتيكان منهم وهذا ليس بغريب على من عرف من تاريخهم فى المسيحية والإسلام عشرات الأمثلة على ذلك.

أنتم بها محاطون، وفيها تعملون، وعليكم ألا تتوقعوا النجاح خلالها في استعمال مبادئنا بكل مشتملاتها حتى يعاد تعليم الأمة بآرائنا، ولكنكم إذا تصرفتم بسداد في استعمال مبادئنا فستكشفون أنه - قبل مضي عشر سنوات - سيتغير أشد الأخلاق تماسكاً، وسنضيف كذلك أمة أخرى إلى مراتب تلك الأمم التي خضعت لنا من قبل.

إن الكلمات التحررية لشعارنا الماسوني هي « الحرية والمساواة والإخاء » وسوف لا نبدل كلمات شعارنا، بل نصوغها معبرة ببساطة عن فكرة، وسوف نقول: « حق الحرية ، وواجب المساواة، وفكرة الإخاء ». وبها سنمسك الثور من قرنيه ^(١) ، وحينئذ نكون قد دمروا - في حقيقة الأمر - كل القوى الحاكمة إلا قوتنا، وإن تكن هذه القوى الحاكمة نظرياً ما تزال قائمة، وحين تقف حكومة من الحكومات نفسها موقف المعارضة لنا في الوقت الحاضر فإنما ذلك أمر صوري، متخذ بكامل معرفتنا ورضانا، كما أننا محتاجون إلى انفجاراتهم المعادية للسامية ^(٢) ، كيما نتمكن من حفظ إخواننا الصغار في نظام . ولن أتوسع في هذه النقطة فقد كانت من قبل موضوع مناقشات عديدة .

وحقيقة الأمر أننا نلقى معارضة، فإن حكومتنا - من حيث القوة الفائقة جداً ذات مقام في نظر القانون يتأدى بها إلى حد أننا قد نصفها بهذا التعبير الصارم: الدكتاتورية.

وإنني أستطيع في ثقة أن أصرح اليوم بأننا أصحاب التشريع، وأننا المتسلطون في

(١) أرجو أن يعرف القارئ أن هذه الترجمة جميعها تكاد تكون حرفية فكل ما فيها من تشبيهات ومجازات واستعارات هو في الأصل كما هنا.

(٢) لقد أشير هنا وفي مواضع متعددة من البروتوكولات إلى هذه العداوة ضد السامية، ولكي نفهم ذلك يجب أن نشير إلى أن الأوروبيين يعتبرون أنفسهم آرين. وإنهم أسمى عنصراً من الساميين، والساميون في الحياة الأوروبية اليومية يقصد بهم اليهود وقداضطهد اليهود في كثير من الأقطار كألمانيا وروسيا باسم العداوة للجنس السامي إذ لا يوجد ساميون يعيشون هناك إلا اليهود، والبروتوكولات تقر هنا وفي مواضع مختلفة أن هذه العداوة التي سببت اضطهادات كثيرة لليهود في مختلف البلاد قد أفادت حكماء اليهود، إذ مكنتهم من المحافظة على تماسك صغارهم ولوائهم لحكوماتهم الشديدة إليهم ، ولولا هذه الاضطهادات التي جعلت اليهود يخافون ويتدبرون فيعتمدون على معاونة بعضهم بعضاً وتكتل بعضهم مع بعض سراً وعلانية لذاب صغار اليهود المشتتين بين أقطار مختلفة في سكان هذه الأقطار .. وقد كان الكبار من اليهود يمدون أيديهم بالمعونة إلى الصغار في كل محنة ويحفظونهم من أن يبيدوا أو يتفككوا حيث كان الكبار أنفسهم في مأمن على الدوام من الاضطهاد، بما يتخذون من صنائع لهم بين كبار الحاكمين في كل الأقطار من أهلها، وبما يقدم اليهود لهم من أموال ونساء وعضوية في شركاتهم ومساعدات أخرى ظاهرة وباطنة.

الحكم، والمقررون للعقوبات، وأنا نقضى بإعدام من نشاء ونعفو عمن نشاء، ونحن - كما هو واقع - أولو الأمر الأعلون فى كل الجيوش، الراكبون رؤوسها، ونحن نحكم بالقوة القاهرة، لأنه لا تزال فى أيدينا الفلول التى كانت الحزب القوى من قبل، وهى الآن خاضعة لسلطاننا، إن لنا طموحاً لا يحد، وشرها لا يشبع، ونقمة لا ترحم، وبغضاء لا تحس. إننا مصدر إرهاب بعيد المدى. وإننا نسخر فى خدمتنا أناساً من جميع المذاهب والأحزاب؛ من رجال يرغبون فى إعادة الملكيات، واشتراكيين، وشيوعيين، وحالمين بكل أنواع الطوبيات Utopias (١)، ولقد وضعناهم جميعاً تحت السرج، وكل واحد منهم على طريقته الخاصة ينسف ما بقى من السلطة، ويحاول أن يحطم كل القوانين القائمة وبهذا التدبير تتعذب الحكومات، وتصرخ طلباً للراحة وتستعد - من أجل السلام - لتقديم أى تضحية ولكننا لن نمنحهم أى سلام حتى يعترفوا فى ضراعة بحكومتنا الدولية العليا.

لقد ضجعت الشعوب بضرورة حل المشكلات الاجتماعية بوسائل دولية (٢)، وإن الاختلافات بين الأحزاب قد أوقعتها فى أيدينا، فإن المال ضرورى لمواصلة النزاع، والمال تحت أيدينا.

إننا نخشى تحالف القوة الحاكمة فى الأممين (غير اليهود) مع قوة الرعاع العمياء، غير أننا قد اتخذنا كل الاحتياطات لمنع احتمال وقوع هذا الحادث. فقد أقمنا بين القوتين سداً قوامه الرعب الذى تحسه القوتان، كل من الأخرى، وهكذا تبقى قوة الشعب سنداً إلى جانبنا وسنكون وحدنا قادتها، وسنوجهها لبلوغ أغراضنا.

(١) الطوبيات يقصد بها ما يسمى : الممالك الفاضلة أو كما سماها الفارابي المدينة الفاضلة ومفرد هذه الكلمة Utopiea (لا أرض) وأول من استعملها فى الإنجليزية السير توماس مور Sir Thomas More (١٤٨٩ - ١٥٣٥) للدلالة على مملكة فاضلة تخيلها، وتخيل الناس فيها سعداء جميعاً، وقد صارت بعد ذلك تطلق على كل فكرة من هذا القبيل وقد ترجمناها أحياناً بالممالك الفاضلة مستأنين بتسمية الفارابي الفيلسوف المسلم لفكرة له تشبه فكرة توماس مور، وكتب فيها كتاباً يسمى أهل المدينة الفاضلة، كما ترجمناها فى غير هذا الموضوع بكلمة طوبى لما بين الاسمين من التشابه فى اللفظ والمعنى، فأما اللفظ فظاهر، وأما المعنى فلأن طوبى فى العربية - كما وردت فى القرآن والترجمة العربية للإنجيل - تؤدى معنى الجزاء الحسن فى عالم آخر للصالحين بما عملوا من خير، وقد جعلنا النسبة إليها طوباوية وطوباوياً.

(٢) هكذا جرت الأمور كما ظهر من تأليف عصبة الأمم، ثم هيئة الأمم ومجلس الأمن واليونسكو ... والموجهون لسياستها معظمهم من اليهود أو صنائهم.

ولكيلا تتحرر أيدى العميان من قبضتنا فيما بعد - يجب أن نظل متصلين بالطوائف اتصالاً مستمراً، وهو أن لا يكن اتصالاً شخصياً فهو على أى حال اتصال من خلال أشد إخواننا إخلاصاً. وعندما نصير قوة معروفة سنخاطب العامة شخصياً فى المجمع السوقية، وسنتفهمها فى الأمور السياسية فى أى اتجاه يمكن أن يلتئم مع ما يناسبنا.

وكيف نستوثق مما يتعلمه الناس فى مدارس الأقاليم (١)؟ من المؤكد أن ما يقوله رسل الحكومة، أو ما يقوله الملك نفسه - لا يمكن أن يجيب فى الذبوع بين الأمة كلها، لأنه سرعان ما ينتشر بلغط الناس .

ولكيلا تتحطم أنظم الأميين قبل الأوان الواجب، أمددناهم بيدنا الخبيرة ، وأمنا غايات اللوالب فى تركيبهم الآلى . وقد كانت هذه اللوالب ذات نظام عنيق ، لكنه مضبوط فاستبدلنا بها ترتيبات تحررية بلا نظام. إن لنا يداً فى حق الحكم، وحق الانتخاب، وسياسة الصحافة وتعزيز حرية الأفراد، وفيما لا يزال أعظم خطراً وهو التعليم الذى يكون الدعامة الكبرى للحياة الحرة .

ولقد خدعنا الجيل الناشئ من الأميين ، وجعلناه فاسداً متعفناً بما علمناه من مبادئ ونظريات معروف لدينا زيفها التام، ولكننا نحن أنفسنا الملقنون لها، ولقد حصلنا على نتائج مفيدة خارقة من غير تعديل فعلى للقوانين السارية من قبل، بل بتحريفها فى بساطة، وبوضع تفسيرات لها لم يقصد إليها مشترعوها.

وقد صارت هذه النتائج أولاً ظاهرة بما تحقق من أن تفسيراتنا قد غطت على المعنى الحقيقى، ثم مسختها تفسيرات غامضة إلى حد أنه استحال على الحكومة أن توضح مثل هذه المجموعة الغامضة من القوانين.

ومن هنا قام مذهب عدم التمسك بحرفية القانون، بل الحكم بالضمير، ومما يختلف فيه أن تستطيع الأمم النهوض بأسلحتها ضدنا إذا اكتشفت خططنا قبل الأوان، وتلافياً لهذا نستطيع أن نعتد على القذف فى ميدان العمل بقوة رهيبة سوف تملأ أيضاً قلوب أشجع

(١) هكذا تسميها بعض الصحف العربية، وتعني بها أقسام البلاد الريفية فى أى قطر ما عدا عاصمته، وكانت فى التقسيم الإداري العربي قديماً تسمى الأعمال، أو الكور، وكان يسمى واحدها عملاً أو كورة فصار يسمى فى بعض البلاد العربية الآن مديرية أو محافظة، وفى بعضها ولاية، أو إيالة، أو متصرفية، أو لواء، ويسمى حاكمها - تبعاً لكل منها المدير أو المحافظ أو الوالى أو المتصرف .

الرجال هولاً ورعباً. وعندئذ ستقام فى كل المدن الخطوط الحديدية المختصة بالعواصم والطرق الممتدة تحت الأرض. ومن هذه الأنفاق الخفية سنفجر ونسف كل مدن العالم، ومعها أنظمتها وسجلاتها جميعاً (٥) (١).

البروتوكول العاشر :

اليوم سأشرع فى تكرار ما ذكر من قبل، وأرجو منكم جميعاً أن تتذكروا أن الحكومات والأمم تقنع فى السياسة بالجانب المبهرج الزائف من كل شىء ، نعم، فكيف يتاح لهم الوقت لكى يختبروا بواطن الأمور فى حين أن نوابهم الممثلين لهم Representatives لا يفكرون إلا فى الملهذات؟.

من الخطير جداً فى سياستنا أن نتذكروا التفصيل المذكور آنفاً، فإنه سيكون عوناً كبيراً لنا حينما تناقش مثل هذه المسائل : توزيع السلطة وحرية الكلام، وحرية الصحافة والعقيدة، وحقوق تكوين الهيئات والمساواة فى نظر القانون، وحرمة الممتلكات والمساكن، ومسألة فرض الضرائب (فكرة سرية فرض الضرائب) والقوة الرجعية للقوانين. كل المسائل المشابهة لذلك ذات طبيعة تجعل من غير المستحسن مناقشتها علناً أمام العامة. فحيثما تستلزم الأحوال ذكرها للرعاع يجب أن لا تحصى ولكن يجب أن تنشر عنها بعض قرارات بغير مضى فى التفصيل. ستعمل قرارات مختصة بمبادئ الحق

(٥) ربما كان التعبير مجازياً، يشير إلى وسائل كالبلشفية. (عن الأصل الإنجليزى) .

(١) هذه القوى التى يشير إليها اليهود فى أحداث الاضطرابات أو الانقلابات السياسية تتخذ عناوين مختلفة فى شتى بلاد العالم، فهى تارة جمعيات دينية، وثانية سياسية، وثالثة خيرية أو ماسونية أو أدبية، أو صوفية أو إصلاحية، والجمعيات من النوعين الأولين هى أخطر الجمعيات وأكثرها انتشاراً فى بلاد الشرق، فمن المعروف إن اليهود يدخلون فى الأديان الأخرى كالمسيحية والإسلام ويمضى جيلان أو أكثر، وإذا ابتأهم مسيحيون أو مسلمون لا يرتاب فى إخلاصهم لدينهم الجديد، بل لا يعرف عنهم أنهم من أصل يهودى ويؤلفون الجمعيات الدينية المسيحية أو الإسلامية أو السياسية أو ينضمون إلى هيئات من هذا القبيل، ويحاولون أن يسيطروا عليها ويسخروها لخدمة اليهود. وهم دون شك معروفون من اليهود ولكنهم لا يوحون بسرهم ضرورة، وهؤلاء يعتمدون غالباً على إخفاء أصولهم بالتنقل من جهة إلى جهة، فإذا سئلوا عن موطنهم الأصلي فى قطر : أجابوا جواباً صحيحاً أو غير صحيح بأنهم من هذا المكان الأخير، وهكذا إذا انتقلوا إلى مكان آخر، فإذا حاول محاول أن يتبع أصولهم وقع فى حيرة لاقرار له فيها، وإذا شك فيهم قابله الناس بالدهشة والإنكار، لا لشيء إلا لأن غرورهم بأنفسهم يحول بينهم وبين الاعتراف له بمعرفة ما لم يعرفوه، وليس له عليه من دليل يخرق عيونهم خرقاً. وهكذا يسير على هذه السياسة الماكرة الزنوج فى أمريكا فراراً من اضطهاد الأمريكان للزنوج .

المستحدث على حسب ما ترى وأهمية الكتمان تكمن فى حقيقة أن المبدأ الذى لا يذاع علناً يترك لنا حرية العمل، مع أن مبدأ كهذا إذا أعلن مرة واحدة يكون كأنه قد تقرر.

إن الأمة لتحفظ لقوة العبقريّة السياسية احتراماً خاصاً وتحمل كل أعمال يدها العليا، وتحييها هكذا (١): «يالها من خيبة قدرة؛ ولكن يا لتنفيذها بمهارة!» «يالها من تدليس، ولكن يا لتنفيذها بإتقان وجسارة!».

إننا نعتمد على اجتذاب كل الأمم للعمل على تشييد الصرح الجديد الذى وضعنا نحن تصميمه. ولهذا السبب كان من الضرورى لنا أن نحصل على خدمات الوكلاء المغامرين الشجعان الذين سيكون فى استطاعتهم أن يتغلبوا على كل العقبات فى طريق تقدمنا.

وحيثما ننجز انقلابنا السياسى Coup d'etat سنقول للناس: «لقد كان كل شىء يجرى فى غاية السوء، وكلكم قد تألّمت، ونحن الآن نمحق سبب آلامكم، وهو ما يقال له: القوميات، والعملات القومية، وأنتم بالتأكيد أحرار فى اتهامنا، ولكن هل يمكن أن يكون حكمكم نزيهاً إذا نطقتم به قبل أن تكون لكم خبرة بما نستطيع أن نفعله من أجل خيركم؟» (٢).

حيثئذ سيجملوننا على أكتافهم عالياً فى انتصار وأمل وابتهاج، وإن قوة التصويت التى دربنا عليها الأفراد التافهين من الجنس البشرى بالاجتماعات المنظمة وبالاتفاقات المدبرة من قبل، ستلعب عندئذ دورها الأخير، وهذه القوة التى توسلنا بها، كى «نضع أنفسنا فوق العرش»، ستؤدى لنا ديننا الأخير وهى متلهفة كى ترى نتيجة قضيتنا قبل أن تصدر حكمها.

(١) المعنى إن السياسى إذا خدع الجماهير ثم عرفت خديعته لم تحتقره ولم تضره، بل تقابل خداعه لها بالدهشة، معجبة ببراعته فى أنه خدعها فإذا قيل لها: إنه غشاش. قالت: ولكنه بارع، وإذا قيل: إنه دجال قذر، قالت: ولكنه شجاع.. فهى كالنساء تمنح إعجابها لمن لا يستحقه متى أذهلها وأخضعها، وتغالط نفسها بغفلتها.. وهذا السر من أدق أصول السياسة.

(٢) إن الشيوعية اليهودية تنفذ هذه الخطة فى روسيا، وشيبه بهذا ما يحدث عقب كل انقلاب سياسى فى أمة إذ ينعى أصحابه على سابقهم أخطاءهم ويكبرونها ويزيدون عليها ويرسمونها فى أشنع الصور، وهم يحرصون على ذلك أكثر من حرصهم على بيان محاسن حكمهم الجديد، سواء كانوا خيراً من السابقين أو شراً منهم، والدهماء كالأنعام لا يميزون الخبيث من الطيب. ولكن العلية فى أعلى الأمم وأدناها هم المسئولون عن ذلك خير وشره حتى حين يغلبهم السفهاء.

ولكى نحصل على أغلبية مطلقة - يجب أن نقنع كل فرد بلزوم التصويت من غير تمييز بين الطبقات. - إن هذه الأغلبية لن يحصل عليها من الطبقات المتعلمة ولا من مجتمع مقسم إلى فئات.

فإذا أوحينا إلى عقل كل فرد فكرة أهميته الذاتية فسوف ندمر الحياة الأسرية (١) بين الأميين، وتفسد أهميتها التربوية، وسنوق الرجال ذوى العقول الحصيفة عن الوصول إلى الصدارة، وأن العامة - تحت إرشادنا - ستبقى على تأخر أمثال هؤلاء الرجال، ولن تسمح لهم أبداً أن يقرروا لهم خططاً (٢).

لقد اعتاد الرعاى أن يضغوا إلينا نحن الذين نعطيهم المال لقاء سمعهم وطاعتهم. وبهذه الوسائل سنخلق قوة عمياء إلى حد أنها لن تستطيع أبداً أن تتخذ أى قرار دون إرشاد وكلائنا الذين نصبناهم لغرض قيادتها.

وسيخضع الرعاى لهذا النظام System لأنهم سيعرفون أن هؤلاء القادة مصدر أجورهم وأرباحهم وكل منافعهم الأخرى. إن نظام الحكومة يجب أن يكون عمل رأس واحد، لأنه سيكون من المحال تكتيله إذا كان عملاً مشتركاً بين عقول متعددة، وهذا هو السبب فى أنه لا يسمح لنا إلا بمعرفة خطة العمل، بل يجب ألا نناقشها بأى وسيلة، حتى لا نفسد تأثيرها، ولا نعطل وظائف أجزائها المنفصلة، ولا المعنى لكل عنصر فيها، نوقشت مثل هذه الخطط، وغيرت بتوالى الخضوع للتنقيحات - إذن لاختلطت بعد ذلك بنتائج كل إساءات الفهم العقلية التى تنشأ من أن المصورتين لا يسرون الأغوار العقيمة لمعانيها، ولذلك لا بد أن تكون خططنا نهائية ومحصنة تحيصة منطقياً. وهذا هو السبب فى أننا يجب أن لا نرمى العمل الكبير من قائدنا لىتمزق أجزاء على أيدى الرعاى ولا على أيدى عصابة Glique صغيرة أيضاً .

إن هذه الخطط لن تقلب اليوم الدساتير والهيئات القائمة، بل ستغير نظريتها الاقتصادية فحسب، ومن ثم تغير كل طريق تقدمها الذى لا بد له حينئذ أن يتبع الطريق الذى تفرضه خططنا.

(١) إن اليهود يحاولون فى روسيا تحطيم نظام الأسرة لأنه أقوى عقبة ضد نظامهم بل يحاربونه علمياً فى كل مكان كما يظهر من آراء « دور كايم » اليهودى فى علم الاجتماع فى فرنسا..

(٢) هذه الخطة تنفذ اليوم بنجاح عظيم، والجماهير التى لا تحسن تقدير الأمور التى فوق مستواها، لا يعينها إلا اللغظ بما يقال لها دون تمييز، بل كلما انحط الشئ ولو كان كذباً أو خطأ - أقرب إلى ذوقها وأرضى لها.

فى كل البلاد تقوم هذه الهيئات ذاتها ولكن تحت أسماء مختلفة فحسب: فمجالس نواب الشعب، والوزارات، والشيوخ، ومجالس العرش من كل نوع، ومجالس الهيئات التشريعية والإدارية.

ولا حاجة بى إلى أن أوضح لكم التركيب الآلى الذى يربط بين هذه الهيئات المختلفة، فهو معروف لكم من قبل معرفة حسنة. ولتلاحظوا فحسب أن كل هيئة من الهيئات السالفة الذكر توافى وظيفة مهمة فى الحكومة. (إنى أستعمل الكلمة « مهمة » لا إشارة إلى الهيئات بل إشارة إلى وظائفها).

لقد اقتسمت هذه الهيئات فيما بين أنفسها كل وظائف الحكومة التى هى السلطة القضائية والسلطة التشريعية والسلطة التنفيذية. وقد صارت وظائفها ماثلة لوظائف الأعضاء المتميزة المتنوعة من الجسم الإنسانى.

فإذا أذينا أى جزء فى الجهاز الحكومى فتسقط الدولة مريضة كما يمرض الجسم الإنسانى، ثم يموت، وحينما حققنا نظام الدولة بسم الحرية تغيرت ساحتها السياسية وصارت الدولة موبوءة Infecte، بمرض مميت، وهو مرض تحلل الدم Decomposition of the blood ولم يبق لها إلا ختام سكرات الموت.

لقد ولدت الحرية الحكومات الدستورية التى احتلت مكان الأوتوقراطية Auto-ceacy وهى وحدها صورة الحكومة النافعة لأجل الأميين (غير اليهود). فالدستور كما تعلمون ليس أكثر من مدرسة للفتن والاختلافات والمشاحنات والهيجانات الحزبية العقيمة، وهو بإيجاز مدرسة كل شىء يضعف نفوذ الحكومة.

وإن الخطابة. كالصحافة، قد مالت إلى جعل الملوك كسالى ضعافاً، فردتهم بذلك عقماء زائدين على الحاجة، ولهذا السبب عزلوا فى كثير من البلاد.

وبذلك صار فى الإمكان قيام عصر جمهورى، وعندئذ وضعنا فى مكان الملك ضحكة^(١) فى شخص رئيس يشبهه^(٢) قد اخترناه من الدهماء بين مخلوقاتنا وعبيدنا.

(١) الضحكة الشخص الذى يضحك منه، وهو ترجمة caricature التى تعنى صورة هذلية مضحكة، والصور الكاريكاتيرية معروفة ؟.

(٢) يمكن أن تترجم الكلمة president بكلمات كثيرة كلها تدل على الرياعة، ولما كان المراد بها رأس الجمهورية كما يتضح من الكلام « الآتى » وهو يسمى فى لغتها الجارية اليوم « الرئيس » وضعنا الرئيس مقابل لها.

وهكذا ثبتنا اللغم الذي وضعناه تحت الأيمن، أو بالأحرى تحت الشعوب الأمية، وفي المستقبل القريب سنجعل الرئيس شخصاً مسؤولاً.

ويومئذ لن نكون حائرين فى أن ننفذ بجسارة خططنا التى سيكون « دميّتنا » Dummy^(١) » مسؤولاً عنها، فماذا يعيننا إذا صارت رتب طلاب المناصب ضعيفة، وهبت القلاقل من استحالة وجود رئيس حقيقة؟ أليس هذه القلاقل هى التى ستطيح نهائياً بالبلاد؟.

ولكى نصل إلى هذه النتائج سندبر انتخاب أمثال هؤلاء الرؤساء ممن تكون صحائفهم السابقة مسودة بفضيحة « بنامية Panama »^(٢) أو صفقة أخرى سرية مريبة. إن رئيسنا من هذا النوع سيكون منفذاً وافياً لأغراضنا، لأنه سيخشى التشهير، وسيبقى خاضعاً لسلطان الخوف الذى يملك دائماً الرجل الذى وصل إلى السلطة، والذى يتلهف على أن يستبقى امتيازاته وأمجاده المرتبطة بمركزه الرفيع . إن مجلس ممثلى الشعب The House of Representatives سينتخب الرئيس ويحميه ويستره ، ولكننا سنحرم هذا المجلس house سلطة تقديم القوانين وتعديلها .

هذه السلطة سنعطىها الرئيس المسئول الذى سيكون ألعوبة خالصة Mare puppet فى أيدينا، وفى تلك الحال ستصير سلطة الرئيس هدفاً معرضاً للمهاجمات المختلفة، ولكننا سنعطيه وسيلة الدفاع ، وهى حقه فى أن يستأنف القرارات محتكماً إلى الشعب الذى هو فوق ممثلى الأمة^(٣) أى أن يتوجه الرئيس إلى الناس الذين هم عبيدنا العميان، وهم أغلبية الدهماء.

(١) الدمية ما نسميه « العروسة » وهى من لعب الأطفال ، والمراد بالدمية هنا رئيس الجمهورية.

(٢) حين نجح دلسبس فى حفر قناة السويس كلف بحفر قناة بناما بين أمريكا الشمالية والجنوبية، فخاب واتهم بالنصب والتدليس، وقدم للمحاكمة هو وابنه ، كما قدم غيرهما ومات هو أثناء المحاكمة وسجن ابنه والمراد بالفضيحة البنامية فضيحة بتهمة شائنة كهذه الفضيحة، ومرتكب هذه الجريمة خاضع لمن يعرفون أسرارها، فاليهود يحاولون استغلالها فى إكراهه على ما يريدون فيطعمهم خوف الفضيحة واليهود يختارون وكلاءهم عادة من هؤلاء كما ذكروا فى آخر البروتوكولات ..

(٣) أى سيكون من حقه حل البرلمان، والاحتكام إلى الأمة لاختيار ممثلين حدد لها، لأنها صاحبة الحق فى اختيار من يمثلونها، وفى أثناء عملية الانتخاب يعتمد اليهود على خداع الجماهير الغافلة التى لا تميز بين حق وباطل، ولا بين أمين وخائن، كى تنتخب صنائعهم، الذين سيؤيدون الرئيس فى أعماله لخدمة اليهود. ولا اعتراض لأمة على أعمالهم لأنهم ممثلوها.

وإلى ذلك سنعطى الرئيس سلطة إعلان الحكم العرفى، وسنوضح هذا الامتياز بأن الحقيقة هى أن الرئيس - لكونه رئيس الجيش - يجب أن يملك هذا الحق لحماية الدستور الجمهورى الجديد، فهذه الحماية واجبة لأنه يمثلها المسئول.

وفى مثل هذه الأحوال سيكون مفتاح الموقف الباطنى فى أيدينا بالضرورة وما من أحد غيرنا سيكون مهيمناً على التشريع. ويضاف إلى ذلك أننا حين نقدم الدستور الجمهورى الجديد سنحرم المجلس - بحجة سر الدولة - حق السؤال عن القصد من الخطط التى تتخذها الحكومة. وبهذا الدستور الجديد سننقص كذلك عدد ممثلى الأمة إلى أقل عدد، منقصبين بذلك عدداً مماثلاً من الأهواء السياسية، والولع بالسياسة (١). وإذا صاروا معارضين بالرغم من هذا فإننا سنسمح للممثلين الباقين بالاحتكام إلى الأمة، وسيكون حقاً لرئيس الجمهورية أن يعين رئيساً ووكيلاً لمجلس النواب ومثلهما لمجلس الشيوخ، ونستبدل بفترات الانعقاد المستمرة للبرلمانات فترات قصيرة مدى شهور قليلة.

وإلى ذلك سيكون لرئيس الجمهورية - باعتباره رأس السلطة التنفيذية - حق دعوة البرلمان وحله. وسيكون له فى حالة الحل إرجاء الدعوة لبرلمان جديد. ولكن - لكيلا يتحمل الرئيس المسئولية عن نتائج هذه الأعمال المخالفة للقانون مخالفة صارخة، من قبل أن تبلغ خططنا وتستوى - سنغرى الوزراء وكبار الموظفين الإداريين الآخرين الذين يحيطون بالرئيس، كى يموهوا أوامرهم، بأن يصدرروا التعليمات من جانبهم، وبذلك نضطرهم إلى تحمل المسئولية بدلاً من الرئيس، وسننصح خاصة بأن تضم هذه الوظيفة إلى مجلس الشيوخ أو إلى مجلس شورى الدولة، أو إلى مجلس الوزراء، وأن لا توكل إلى الأفراد (٢). وبارشادنا سيفسر الرئيس القوانين التى يمكن فهمها بوجه عدة.

(١) لكل واحد من ممثلى الأمة نزعة وهواه السياسى، ومصالحه الذاتية التى إذا لم يمكنه منها الإدارى هاجمه مستتراً بالوطنية فى أمور سياسية أخرى لا صلة لها بمصلحته الخاصة وهذا لا يقع إلا فى أمة قاصرة الوعى السياسى، حديثة عهد بالديمقراطية، والمعنى أنه كلما قل ممثلو الأمة قلت النزعات والأهواء السياسية، وقلت المصالح الذاتية للممثلين، فسهل على الإدارى مواجهتها واحتمالها لقتها وهذا خطأ والمعول عليه فى الأمة هى الوعى السياسى.

(٢) وإذا تكون الحكومة أوتوقراطية دكتاتورية فى الحقيقة، وديمقراطية ثورية فى ظاهرها، إذ سيكون ممثلو الأمة أستاذاً أو آلات تنفذ ما تريده الإدارة المثلة فى الرئيس وأعوانه، والحكومة الأوتوقراطية وحدها هى أمل اليهود لسهولة العبث بها وإخضاعها لشهواتهم الشيطانية.

وهو - فوق ذلك - سينقض القوانين فى الأحوال التى نعد فيها هذا النقض أمراً مرغوباً فيه. وسيكون له أيضاً حق اقتراح قوانين وقفية جديدة، بل له كذلك إجراء تعديلات فى العمل الدستورى للحكومة محتجاً لهذا العمل بأنه أمر تقتضيه سعادة البلاد.

مثل هذه الإجراءات ستمكننا من أن نسترد شيئاً فشيئاً أى حقوق أو امتيازات كنا قد اضطررنا من قبل إلى منحها حين لم نكن مستحوزين على السلطة أولاً.

ومثل هذه الامتيازات سنقدمها فى دستور البلاد لتغطية النقص التدريجى لكل الحقوق الدستورية، وذلك حين يحين الوقت لتغيير كل الحكومات القائمة، من أجل أوتوقراطيتنا أن تعرف ملكنا الأوتوقراطى يمكننا أن نتحقق منه قبل إلغاء الدساتير، أعنى بالضبط، أن تعرف حكمنا سيبدأ فى اللحظة ذاتها حين يصرخ الناس الذين مزقتهم الخلافات وتعذبوا تحت إفلاس حكامهم (وهذا ما سيكون مدبراً على أيدينا) فيصرخون هاتفين: « إخلعوههم، وأعطونا حاكماً عالمياً واحداً يستطيع أن يوحدنا، ويمحق كل أسباب الخلاف، وهى الحدود والقوميات والأديان والديون الدولية ونحوها... حاكماً يستطيع أن يمنحنا السلام والراحة للذين لا يمكن أن يوجدوا فى ظل حكومة رؤسائنا وملوكنا وممثلينا » (١).

ولكنكم تعلمون علماً دقيقاً وافيّاً أنه، لكى يصرخ الجمهور بمثل هذا الرجاء، لا بد أن يستمر فى كل البلاد اضطراب العلاقات القائمة بين الشعوب والحكومات، فتستمر العداوات والحروب، والكرهية، والموت استشهاداً أيضاً، هذا مع الجوع والفقر، ومع تفشى الأمراض وكل ذلك سيمتد إلى حد أن لا يرى الأميون (غير اليهود) أى مخرج لهم من متاعبهم غير أن يلجأوا إلى الاحتماء بأموالنا وسلطتنا الكاملة (٢).

ولكننا إذا أعطينا الأمة وقتاً تأخذ فيه نفسَها فإن رجوع مثل هذه الفرصة سيكون من العسير .

(١) وهذا ما تنفذه الشيوعية اليهودية فى روسيا وتحاول نشره فى العالم مما يدل على أن الشيوعية إنما تنفذ السياسة الصهيونية وأنها ليست إلا جزءاً منها وآلة لها (انظر الترجمة العربية لكتاب « أثر الحرية »).

(٢) أى إذا تركت للأمة فرصة تستريح فيها من المتاعب فإن ضيقها يخف قليلاً، فإذا دعيت للثورة على حالتها لم تلب النداء وصبرت على الضيق، لأن عندها بقية احتمال، ففترات الراحة المتقطعة ولو قصرت تهون على الأمة آلامها فلا تطلب التغيير عن طريق الثورة والانقلاب بل تحاول إصلاح أحوالها بالحكمة والصبر.

البروتوكول الحادى عشر:

إن مجلس الدولة State covneil سيفصل ويفسر سلطة الحاكم، وإن هذا المجلس - وله قدرته كهيئة تشريعية رسمية - سيكون المجمع الذى يصدر أوامر القائمين بالحكم.

وها هو ذا برنامج الدستور الجديد الذى نعهده للعالم. أننا سنشرع القوانين، ونحدد الحقوق الدستورية وننفذها بهذه الوسائل:

١ - أوامر المجلس التشريعى المقترحة من الرئيس.

٢ - التوسل بأوامر عامة وأوامر مجلس الشيوخ ومجلس شورى الدولة والتوسل بقرارات مجلس الوزراء.

٣ - التوسل بانقلاب سياسى Coupd.'etat حينما تسنح اللحظة الملائمة.

هذا - ومع تصميمنا تقريباً على خطة عملنا - سنناقش من هذه الأجزاء ما قد يكون ضرورياً لنا، كى نتم الثورة فى مجموعات دواليب جهاز الدولة حسب الاتجاه الذى وضحته من قبل. وأنا أقصد بهذه الأجزاء حرية الصحافة، وحقوق تشكيل الهيئات، وحرية العقيدة، وانتخاب ممثلى الشعب، وحقوقاً كثيرة غيرها سوف تختفى من حياة الإنسان اليومية. وإذا هى لم تختف جميعاً فسيكون تغييرها أساسياً منذ اليوم التالى لإعلان الدستور الجديد. وسنكون فى هذه اللحظة المعينة وحدها آمين كل الأمان، لكى نعلن كل تغييراتنا. وهناك سبب آخر هو أن التغييرات التى يحسها الشعب فى أى وقت - قد يثبت أنها خطيرة؛ لأنها إذا قدمت بعنف وصرامة، وفرضت قهراً بلا تبصر فقد تسخط الناس، إذا هم سيخافون تغييرات جديدة فى اتجاهات مشابهة. ومن جهة أخرى إذا كانت التغييرات تمنح الشعب ولو امتيازات أكثر فسيقول الناس فيها: أننا نعرفنا أخطأنا. وإن ذلك يغض من جلال عصمته (١) السلطة الجديدة. وربما يقولون أننا قد فزعنا وأكرهنا على الخضوع. وفى تلك الحال لن يشكرنا العالم، كما أنهم سيعدون أن من حقهم دائماً الخضوع لما يريدون. وإذا انطبع أى من هذه الآثار على عقول العامة فسيكون خطراً بالغاً على الدستور الجديد.

(١) وضعنا كلمة عصمة مقابل Infallibility ومعناها عدم السقوط فى الخطأ وقد استعملت كلمة العصمة فى كتب الكلام (التوحيد) بهذا المعنى فيقال: النبى معصوم أى منزّه عن الخطأ، ومعنى العصمة فى الأصل الامتناع.

إنه ليلزمنا منذ اللحظة الأولى لإعلانه - بينما الناس لا يزالون يتألمون من آثار التغيير المفاجئ، وهم في حالة فزع ولبلة - أن يعرفوا أننا بلغنا من عظم القوة والصلابة والامتلاء بالعنف أفقاً لن ننظر فيه إلى مصالحهم نظر احترام. سنريد منهم أن يفهموا أننا نتنكر لآرائهم ورغباتهم فحسب، بل سنكون مستعدين في كل زمان وفي كل مكان لأن نخنق بيد جبارة أى عبارة أو إشارة إلى المعارضة (١).

سنريد من الناس أن يفهموا أننا استحوذنا على كل شيء أردناه، وأنا لن نسمح لهم في أى حال من الأحوال أن يشركونا في سلطتنا، وعندئذ سيغمضون عيونهم على أى شيء بدافع الخوف، وسينتظرون في صبر تطورات أبعد.

إن الأميين (غير اليهود) كقطيع من الغنم، وأنا الذئب، فهل تعلمون ما تفعل الغنم حينما تنفذ الذئب إلى الحظيرة؟ إنها لتغمض عيونها عن كل شيء. وإلى هذا المصير سيدفعون، فسنعدهم بأننا سنعيد إليهم حرياتهم بعد التخلص من أعداء العالم، واضطرار كل الطوائف إلى الخضوع. ولست في حاجة ملحة إلى أن أخبركم إلى متى سيطول بهم الانتظار حتى ترجع إليهم حرياتهم الضائعة (٢).

أى سبب أغرانا بابتداع سياستنا، وبتلقين الأميين إياها؟ لقد أوحينا إلى الأميين هذه السياسة دون أن ندعهم يدركون مغزاها الخفى وماذا حفزنا على هذا الطريق للعمل إلا عجزنا ونحن جنس مشئت عن الوصول إلى غرضنا بالطرق المستقيمة، بل بالمرأوغة فحسب؟ هذا هو السبب الصحيح، والأصل في تنظيمنا للماسونية التي لا يفهمها أولئك الخنازير swine من الأميين، ولذلك لا يرتابون في مقاصدها لقد أوقعناهم في كتلة محافلنا التي لا تبدو شيئاً أكثر من ماسونية كى نذر الرماد في عيون رفقائهم.

من رحمة الله أن شعبه المختار مشئت، وهذا التشئت الذى يبدو ضعفاً فينا أمام العالم - قد ثبت أنه كل قوتنا التي وصلت بنا إلى عتبة السلطة العالمية (٣).

(١) هذا ما يجرى في روسيا الشيوعية الآن تماماً، مما يدل على أن سياستها تسير حسب خطة البروتوكولات، وأن سياستها يهودية خالصة.

(٢) أى أن هذه الحريات لن ترجع إليهم أبداً وأن كل وعودنا خداع وتضليل.

(٣) هذه حقيقة من أغرب الحقائق وأصدقها، فإن تشئت اليهود في أقطار العالم مع تماسكهم قد جعلهم ذوى نفوذ في كل قطر، وهم يسخرون كل الأقطار التي عظم نفوذهم فيها كبريطانيا وأمريكا وروسيا وغيرها لمصلحتهم =

ليس لدينا أكثر من أن نبني على هذه الأسس، لكي نصل إلى هدفنا.

البروتوكول الثانى عشر:

إن كلمة الحرية التى يمكن أن تفسر بوجه شتى سنجدها هكذا « الحرية هى حق عمل ما يسمح به القانون » تعريف الكلمة هكذا سينفعنا على هذا الوجه: إذ سترك لنا أن نقول أين تكون الحرية، وأين ينبغى أن لا تكون، وذلك لسبب بسيط هو أن القانون لن يسمح إلا بما نرغب نحن فيه.

وسنعامل الصحافة على النهج الآتى: ما الدور الذى تلعبه الصحافة فى الوقت الحاضر؟ إنها تقوم بتهييج العواطف الجياشة فى الناس، وأحياناً بإثارة المجادلات الحزبية الأتانية التى ربما تكون ضرورية لمقصدنا. وما أكثر ما تكون فارغة ظالمة زائفة، ومعظم الناس لا يدركون أغراضها الدقيقة أقل إدراك. إننا وسنسرجهما وسنقودها بلجم حازمة. وسيكون علينا أيضاً أن نظفر بإدارة شركات النشر الأخرى، فلن ينفعنا أن نهيمن على الصحافة الدورية بينما لا نزال عرضة لهجمات النشرات pamphlets والكتب. وسنحول إنتاج النشر الغالى فى الوقت الحاضر مورداً من موارد الثروة يدر الربح لحكومتنا؛ بتقديم ضريبة دمغة معينة وإجبار الناشرين على أن يقدموا لنا تأميناً، لكي نؤمن حكومتنا من كل أنواع الحملات من جانب الصحافة وإذا وقع هجوم فسنفرض عليها الغرامات عن يمين وشمال. إن هذه الإجراءات كالرسوم والتأمينات والغرامات ستكون مورد دخل كبير للحكومة، ومن المؤكد أن الصحف الحزبية لن يردعها دفع الغرامات الثقيلة (١). ولذلك فإننا عقب هجوم خطير ثان - سنعطلها جميعاً.

وما من أحد سيكون قادراً دون عقاب على المساس بكرامة عصمتنا السياسية. وسنعتذر عن مصادرة النشرات بالحجة الآتية، سنقول: النشرة التى صودرت تثير الرأى العام على غير قاعدة ولا أساس.

= الذاتية، كما ظهر أثناء اقامتهم لدولتهم «إسرائيل» وغير ذلك من الأحداث الجارية، فليتدبر ذلك الغافلون، وكل جالية يهودية فى دولة أتماهى جمعية سرية تعمل لمصلحة اليهود ولو ضد الشعب الذى يساكنونه.

(١) سبب ذلك أن الأحزاب تتحمل عن صحفها ما تدفعه من غرامات فهى لا تنال بالغرامة، ولكن الصحف غير الحزبية تدفع ما تغرم من مالها فهى لا تجرؤ جرأة الصحف الحزبية على أى هجوم وراء غرم لها.

غير أنى سأسألكم توجيه عقولكم إلى أنه ستكون بين النشرات الهجومية نشرات تصدرها نحن لهذا الغرض، ولكنها لا تهاجم إلا النقط التي نعتزم تغييرها في سياستنا. ولن يصل طرف من خبر إلى المجتمع من غير أن يمر على إرادتنا. وهذا ما قد وصلنا إليه حتى في الوقت الحاضر كما هو واقع: فالأخبار تتسلمها وكالات Agencies قليلة (١) تتركز فيها الأخبار من كل أنحاء العالم. وحينما نصل إلى السلطة ستنضم هذه الوكالات جميعاً إلينا، ولن تنشر إلا ما نختار نحن التصريح به من الأخبار.

إذا كنا قد توصلنا في الأحوال الحاضرة إلى الظفر بإدارة المجتمع الأممي (غير اليهودي) إلى حد أنه يرى أمور العالم خلال المناظير الملونة التي وضعناها فوق أعينه: وإذا لم يرقم حتى الآن عائق يعتاق وصولنا إلى أسرار الدولة. كما تسمى لغباء الأممين، إذن فماذا سيكون موقفنا حين نعرف رسمياً كحكام للعالم في شخص إمبراطورنا الحاكم العالمي؟.

ولنعد إلى مستقبل النشر. كل إنسان يرغب في أن يصير ناشراً أو كاتباً أو طباعاً سيكون مضطراً إلى الحصول على شهادة ورخصة ستسحب منه إذا وقعت منه مخالفة.

والقنوات (٢) التي يجد فيها التفكير الإنساني ترجماناً له - ستكون بهذه الوسائل خالصة في أيدي حكومتنا التي ستأخذها هي نفسها وسيلة تربوية، وبذلك ستمنع الشعب أن ينقاد للزيغ بخيال « التقدم » والتحرر. ومن هنا لا يعرف أن السعادة الخيالية هي الطريق المستقيم إلى الطوبى Utopia التي انبثقت منها الفوضى وكرهية السلطة؟ وسبب ذلك بسيط، هو أن « التقدم » أو بالأحرى فكرة التقدم التحرري قد أمدت الناس بأفكار مختلطة للعتق Emancipation من غير أن تضع أي حد له. إن كل من يسمون متحررين فوضويون، إن لم يكونوا في عملهم ففي أفكارهم على التأكيد. كل واحد منهم يجرى وراء طيف الحرية ظاناً أنه يستطيع أن يفعل ما يشاء، أي أن كل واحد منهم ساقط في حالة فوضى في المعارضة التي يفضلها مجرد الرغبة في المعارضة.

(١) أي الوكالات الإخبارية، وبلا حظ إن معظم هذه الوكالات تخضع لليهود الآن، فمعظم ما كانوا يشتبهونه قد تحقق لهم الآن.

(٢) المراد بالقنوات المطبوعات التي يعبر الناس فيها عن آرائهم كالكتب والرسائل والنشرات ونحوها.

ولنناقش الآن أمر النشر: إننا سنفرض عليه ضرائب بالأسلوب نفسه الذى فرضنا به الضرائب على الصحافة الدورية، أى من طريق فرض دمغيات وتأمينات. ولكن سنفرض على الكتب التى تقل عن ثلثمائة صفحة ضريبة مضاعفة فى ثقلها ضعفين. وأن الكتب القصيرة سنعتبرها نشرات Pamphlets ، لكى نقلل نشر الدوريات التى تكون أعظم سموم النشر فتكاً.

وهذه الإجراءات ستكره الكتاب أيضاً على أن ينشروا كتباً طويلة، ستقرأ قليلاً بين العامة من أجل طولها ، ومن أجل أثمانها العالية بنوع خاص . ونحن أنفسنا سننشر كتباً رخيصة الثمن كى نعلم العامة ونوجه عقولنا فى الاتجاهات التى نرغب فيها . إن فرض الضرائب سيؤدى إلى الإقلال من كتابة دب الفراغ الذى لا هدف له. وإن كون المؤلفين مسئولين أمام القانون سيضعهم فى أيدينا، ولن يجد أحد يرغب مهاجمتنا بقلمه ناشراً ينشر له.

قبل طبع أى نوع من الأعمال سيكون على الناشر أو الطابع أن يلتزم من السلطات إذناً بنشر العمل المذكور. وبذلك سنعرف سلفاً كل مؤامرة ضدنا، وسنكون قادرين على سحق رأسها بمعرفة المكيدة سلفاً ونشر بيان عنها.

الأدب والصحافة هما أعظم قوتين تعليميتين خطيرتين. ولهذا السبب ستشتري حكومتنا العدد الأكبر من الدوريات.

وبهذه الوسيلة سنعطل Neutralise التأثير السيئ لكل صحيفة مستقلة ، ونظفر بسلطان كبير جداً على العقل الإنسانى . وإذا كنا نرخص بنشر عشر صحف مستقلة فننشر حتى يكون لنا ثلاثون وهكذا دواليك .

ويجب ألا يرتاب الشعب أقل ريبة فى هذه الإجراءات، ولذلك فإن الصحف الدورية التى ننشرها ستظهر كأنها معارضة لنظراتنا وآرائنا فتوحى بذلك الثقة إلى القراء، وتعرض منظرأً جذاباً لأعدائنا الذين لا يرتابون فينا؛ وسيقعون لذلك فى شركنا (١) وسيكونون مجردين من القوة.

(١) أى سيكشفون أنفسهم فيها لليهود ، ويمكنون لهم من الاتصال بهم ، فيعاملونهم بما يضمن ولائهم، ويضعهم تحت رحمتهم كما وضحته السطور التالية .

وفي الصف الأول سنضع الصحافة الرسمية. وستكون دائماً يقظة للدفاع عن مصالحنا، ولذلك سيكون نفوذها على الشعب ضعيفاً نسبياً. وفي الصف الثاني سنضع الصحافة شبه الرسمية Semi Official التي سيكون واجبها استمالة المحايدين^(١) وفاتر الهمة، وفي الصف الثالث سنضع الصحافة التي تتضمن معارضتنا، والتي ستظهر في إحدى طبعاتها مخاصمة لنا، وسيتخذ أعداؤنا الحقيقيون هذه المعارضة معتمداً لهم، وسيتركون لنا أن نكشف أوراقهم بذلك .

ستكون لنا جرائد شتى تؤيد الطوائف المختلفة: من أرستقراطية وجمهورية، وثورية، بل فوضوية أيضاً – وسيكون ذلك طالما أن الدساتير قائمة بالضرورة. وستكون هذه الجرائد مثل الإله الهندي فشنو Vishnu^(٢) . لها مئات الأيدي، وكل يد ستجس نبض الرأي العام المتقلب .

ومتى أراد النبض سرعة فإن هذه الأيدي ستجذب هذا الرأي نحو مقصدنا، لأن المريض المحتاج الأعصاب سهل الانقياد وسهل الوقوع تحت أي نوع من أنواع النفوذ. وحين يمضي الثرثارون في توهم أنهم يرددون رأي جريدتهم الحزبية فإنهم في الواقع يرددون رأينا الخاص، أو الرأي الذي نريده. ويظنون أنهم يتبعون جريدة حزبهم على حين أنهم، في الواقع، يتبعون اللواء الذي سنحركه فوق الحزب، ولكي يستطيع جيشنا الصحافي أن ينفذ روح هذا البرنامج للظهور، بتأييد الطوائف المختلفة – يجب علينا أن ننظم صحافتنا بعناية كبيرة.

وباسم الهيئة المركزية للصحافة Central Commission of the press سننظم

(١) indifferent أى الذى ليس مع هذا الفريق ولا مع غيره، وخير كلمة عربية تؤدي هذا المعنى كلمة المعتزل، فالاعتزال البعد عن كل طائفة من الطوائف، وهو يسمى فى عرفنا الحيات خطأ وبهذا المعنى سمي بعض علماء الكلام (المعتزلة).

(٢) فشنو مأخوذ من الكلمة السنسكريتية Vish أى يشمل وهو اسم إله هندي بمعنى الشامل أي الحافظ أو الحامي، والثالث الإلهي في الديانة البرهمية الهندية يشمل برهما Brahma وفشنو وسيفا Siva وهو ليس إلهاً واحداً ذا ثلاثة ألقاب كالثالث المسيحي في نظر بعض الطوائف المسيحية، ولكنه إله واحد ذو ثلاثة أسماء تطلق عليه بحسب فعله في الكون، فهو يراهما حين يكون المبدع، وفشنو حين يكون الحامي وسيفا حين يكون المدمر. وتمثال فشنو يصور علي هيئة إنسان له أيد كثيرة، وهذه الأيدي تشير إلى عمله ومداه، فالأيدي علامة الحماية وكثرتها علامة شمولها وامتدادها إلى كل شيء .

اجتماعات أدبية، وسيعطي فيها وكلاؤنا - دون أن يفطن إليهم - شارة للضمان Counter-signs وكلمات السر Passwords . وبمناقشة سياستنا ومناقضتها . ومن ناحية سطحية دائمة بالضرورة. ودون مساس في الواقع بأجزائها المهمة - سيستمر أعضاؤنا في مجادلات زائفة شكلية Feigned مع الجرائد الرسمية. كي تعطينا حجة لتحديد خططنا بدقة أكثر مما نستطيع في إذاعتنا البرلمانية وهذا بالضرورة لا يكون إلا لمصلحتنا فحسب، وهذه المعارضة من جانب الصحافة ستخدم أيضا غرضنا، إذ تجعل الناس يعتقدون أن حرية الكلام لا تزال قائمة، كما أنها ستعطي وكلاءنا Agents فرصة تظهر أن معارضينا يأتون باتهامات زائفة ضدنا، على حين أنهم عاجزون عن أن يجدوا أساسا حقيقياً يستندون عليه لنقض سياستنا وهدمها.

هذه الإجراءات التي ستختفى ملاحظتها على انتباه الجمهور - ستكون أنجح الوسائل في قيادة عقل الجمهور، وفي الإيحاء إليه بالثقة والاطمئنان إلى جانب حكومتنا .

وبفضل هذه الإجراءات سنكون قادرين على إثارة عقل الشعب وتهديته في المسائل السياسية، حينما يكون ضرورياً لنا أن نفعل ذلك وسنكون قادرين على إقناعهم أو بلبلتهم بطبع أخبار صحيحة أو زائفة حقائق أو ما يناقضها، حسبما يوافق غرضنا. وأن الأخبار التي سننشرها ستعتمد على الأسلوب الذي يتقبل الشعب به ذلك النوع من الأخبار وسنحتاط دائما احتياطاً عظيماً لجس الأرض قبل السير عليها.

إن القيود التي سنفرضها على النشرات الخاصة، كما بينت، ستمكننا من أن نتأكد من الانتصار على أعدائنا. إذ لن تكون لديهم وسائل صحفية تحت تصرفهم يستطيعون حقيقة أن يعبروا بها تعبيراً كاملاً عن آرائهم، ولن نكون مضطرين ولو إلى عمل تنفيذ كامل لقضاياهم.

والمقالات الجوفاء Ballon d'essai التي سنلقى بها في الصف الثالث من صحافتنا سنفندوها عفواً، بالضرورة تفنيداً، شبه رسمي Semi-offically .

يقوم الآن في الصحافة الفرنسية نهج الفهم الماسوني (١) لإعطاء شارات الضمان Countersigns فكل أعضاء الصحافة مرتبطون بأسرار مهنية متبادلة على أسلوب

(١) أى تكوين الجماعة سرىً، والفهم بين أعضائها بطريقة لا يفهمها غيرهم.

النبوءات القديمة Ancient oreles ولا أحد من الأعضاء سيفشى معرفته بالسر، على حين أن مثل هذا السر غير مأمور بتعميمه. ولن تكون لناشر بمفرده الشجاعة على إفشاء السر الذى عهد به إليه، والسبب هو أنه لا أحد منهم يؤذن له بالدخول في عالم الأدب، ما لم يكن يحمل سمات (١) Narks بعض الأعمال المخزية Shady في حياته الماضية. وليس عليه أن يظهر إلا أدنى علامات العصيان حتى تكشف فوراً سماته المخزية. وبينما تظل هذه السمات معروفة لعدد قليل تقوم كرامة الصحفي بجذب الرأى العام إليه فى جميع البلاد. وسينقاد له الناس، ويعجبون به.

ويجب أن تمتد خططنا بخاصة إلى الأقاليم provinces وضرورى لنا كذلك أن نخلق أفكاراً، ونوحى آراء هناك بحيث نستطيع في أي وقت أن ننزلها إلى العاصمة بتقديمها كأنها آراء محايدة للأقاليم.

وطبعاً لن يتغير منبع الفكرة وأصلها: أعني أنها ستكون عندنا.

ويلزمننا، قبل فرض السلطة، أن تكون المدن أحيانا تحت نفوذ رأى الأقاليم - وهذا يعنى أنها ستعرف رأى الأغلبية الذى سنكون قد دبرناه من قبل ومن الضرورى لنا أن لا نجد العواصم فى فترة الأزمنة النفسية وقتاً لمناقشة حقيقة واقعة، بل تتقبلها ببساطة، لأنها قد أجازتها الأغلبية فى الأقاليم.

وحينما نصل إلى عهد المنهج Regeme الجديد - أى خلال مرحلة التحول إلى مملكتنا - يجب أن لا نسمح للصحافة بأن تصف الحوادث الإجرامية : إذ سيكون من اللازم أن يعتقد الشعب أن المنهج الجديد مقنع وناجح إلى حد أن الإجرام قد زال .

وحيث تقع الحوادث الإجرامية يجب أن تكون معروفة إلا لضحياتها ولمن يتفق له أن يعاينها (٢) فحسب ..

البروتوكول الثالث عشر:

إن الحاجة يومياً إلى الخبر ستكره الأممين Gentiles على الدوام إكراهاً أن يقبضوا

(١) السمات، جمع سمة وهي العلامة والمراد هنا: وصمة عار وخزي.

(٢) من المعاينة وهي من العين، والمعنى أن الجريمة لا يراها إلا المصاب بها، ومن يشهدها لأنه كان في مكان الجريمة مصادفة.

ألستهم، ويظلوا خدمنا الأذلاء. وأن أولئك الذين قد نستخدمهم في صحافتنا من الأميين سيناقشون بإيعازات منا حقائق لن يكون من المرغوب فيه أن نشير إليها بخاصة في جريدتنا Gazette الرسمية. وبينما تتخذ كل أساليب المناقشات والمناظرات هكذا سنمضى القوانين التى سنحتاج إليها، وسنضعها أمام الجمهور على أنها حقائق ناجزة.

ولن يجرؤ أحد على طلب استئناف النظر فيما تقرر إمضاءه، فضلاً عن طلب استئناف النظر بخاصة فيما يظهر حرصنا على مساعدة التقدم. وحينئذ ستحول الصحافة نظر الجمهور بعيداً بمشكلات جديدة^(١)، (وأنتم تعرفون بأنفسكم أننا دائماً نعلم الشعب أن يبحث عن طوائف جديدة). وسيسرع المغامرون السياسيون الأغبياء إلى مناقشة المشكلات الجديدة. ومثلهم الرعاع الذين لا يفهمون فى أيامنا هذه حتى ما يتشدقون به.

وإن المشكلات السياسية لا يعنى بها أن تكون مفهومة عند الناس العاديين، ولا يستطيع إدراكها - كما قلت من قبل - إلا الحكام الذين قد مارسوا تصريف الأمور قروناً كثيرة^(٢). ولكم أن تستخلصوا من كل هذا إننا - حين نلجأ إلى الرأي العام - سنعمل على هذا النحو، كى نسهل عمل جهازنا Machinery كما يمكن أن تلاحظوا أننا نطلب الموافقة على شتى المسائل لا بالأفعال، بل بالأقوال. ونحن دائماً نؤكد فى كل إجراءاتنا إننا مقودون بالأمل واليقين لخدمة المصلحة العامة.

ولكى نذهل الناس المضطربين عن مناقشة المسائل السياسية - نمدهم بمشكلات جديدة. أى بمشكلات الصناعة والتجارة. ولتتركهم يثوروا على هذه المسائل كما يشتهون.

إنما نوافق الجماهير على التخلي والكف عما تظنه نشاطاً سياسياً إذا أعطيناها ملاهي جديدة، أى التجارة التى نحاول فنجعلها تعتقد أنها أيضاً مسألة سياسية. ونحن أنفسنا

(١) صحيح إن الجماهير كالطفل، فإذا هو أعتك بالإلحاح فى طلب كفاك أن تقول له مثلاً: «انظر إلى هذا العصفور» فتوجه ذهنه إلى ما تريد، وينسى ما كان يلح عليه من فكرة الطلب، مع أنه لا عصفور هناك، ويبدأ هو فى السؤال عن العصفور وقد يصف لك شكله ولونه... فالهم هو توجيه انتباه الجماهير بشاغل يرضي تطفلها وتدير عليه ألستها بلا قصد ولا تمييز وهذا من أدق الأسرار السياسية.

(٢) يريدون بذلك اليهود وحدهم، لاعتقادهم أن الله اختصهم بقيادة الناس.

أغرينا الجماهير بالمشاركة فى السياسيات، كى نضمن تأييدها فى معركتنا ضد الحكومات الأمية.

ولكى نبعتها عن أن تكشف بأنفسها أى خط عمل جديد سنلهاها أيضاً بأنواع شتى من الملاهى والألعاب ومزجيات للفراغ والمجامع العامة وهلم جرا.

وسرعان ما سنبداً الإعلان فى الصحف داعين الناس إلى الدخول فى مباريات شتى فى كل أنواع المشروعات: كالفرن والرياضة وما إليهما. هذه المتع الجديدة ستلهاها ذهن الشعب حتماً عن المسائل التى سنختلف فيها معه، وحالما يفقد الشعب تدريجياً نعمة التفكير المستقل بنفسه سيهتف جميعاً معنا لسبب واحد: هو أننا سنكون أعضاء المجتمع الوحيدين الذين يكونون أهلاً لتقديم خطوط تفكير جديدة.

وهذه الخطوط سنقدمها متوسلين بتسخير آلاتنا وحدها من أمثال الأشخاص الذين لا يستطيع الشك فى تحالفهم معنا، أن دور المثاليين المتحررين سينتهى حالما يعترف بحكومتنا. وسيؤدون لنا خدمة طيبة حتى يحين ذلك الوقت .

ولهذا السبب سنحاول أن نوجه العقل العام نحو كل نوع من النظريات المبهجة Fantastic التى يمكن أن تبدو تقدمية أو تحررية. لقد نجحنا نجاحاً كاملاً بنظرياتنا على التقدم فى تحويل رؤوس الأميين الفارغة من العقل نحو الاشتراكية. ولا يوجد عقل واحد بين الأميين يستطيع أن يلاحظ إنه فى كل حالة وراء كلمة «التقدم» يختفى ضلال وزيف عن الحق، ماعدا الحالات التى تشير فيها هذه الكلمة إلى كشف مادية أو علمية. إذ ليس هناك إلا تعليم حق واحد، ولا مجال فيه من أجل «التقدم» إن التقدم - كفكرة زائفة - يعمل على تغطية الحق، حتى لا يعرف الحق أحد غيرنا نحن شعب الله المختار الذى اصطفاه ليكون قوماً على الحق.

وحين نستحوذ على السلطة سيناقد خطاباً المشكلات الكبرى التى كانت تحير الإنسانية، لكى ينطوى النوع البشرى فى النهاية تحت حكمنا المبارك.

ومن الذى سيرتاب حيثئذ فى إننا نحن الذين كنا نثير هذه المشكلات وفق خطة Scheme سياسية لم يفهماها إنسان طوال قرون كثيرة.

البروتوكول الرابع عشر :

حينما نمكن لأنفسنا فنكون سادة الأرض – لن نبیح قیام أى دین غیر دیننا ، أى الدین المعترف بوحداية الله الذى ارتبط حظنا باختياره إيانا كما ارتبط به مصیر العالم .

ولهذا السبب يجب علينا أن نحطم كل عقائد الإيمان ، وإذ تكون النتيجة المؤقتة لهذا هى أثمار ملحدین (١) فلن يدخل هذا فى موضوعنا ولكنه سيعضرب مثلاً للأجيال القادمة التى ستصغى إلى تعاليمنا على دین موسى الذى وكل إلینا – بعقيدته الصارمة – واجب إخضاع كل الأمم تحت أقدامنا .

وإذ نؤدى هذا سنعكف أيضاً على الحقائق الباطنية Mystic truths للتعاليم الموسوية التى تقوم عليها – كما سنقول – كل قوتها التربوية .

ثم سننشر فى كل فرصة ممكنة مقالات نقارن فيها بين حکمنا النافع وذلك الحکم السابق . وإن حالة اليمن والسلام التى ستسود يومئذ – ولو أنها وليدة اضطراب قرون طويلة – ستفيد أيضاً فى تبیین محاسن حکمنا الجديد . وسنصور الأخطاء التى ارتکبها الأمميون (غير اليهود) فى إدارتهم بأفصح الألوان . وسنبداً بإثارة شعور الازدراء نحو منهج الحکم السابق، حتى إن الأمم ستفضل حكومة السلام فى جو العبودية على حقوق الحرية التى طالما مجدوها، فقد عذبتهن بأبلغ قسوة، واستنزفت منهم ينبوع الوجود الإنسانى نفسه، وما دفعهم إليها على التحقيق الا جماعة من المغامرين الذين لم يعرفوا ما كانوا يفعلون .

إن تغييرات الحكومة العقيمة التى أغرينا الأمميین بها – متوسلين بذلك إلى تقويض صرح دولتهم – ستكون فى ذلك الوقت قد أضجرت الأمم تماماً، إلى حد إنها ستفضل

(١) ليلاحظ القارئ أن علماء اليهود يجدون بكل ما فى وسعهم لهدم الأديان عن طريق المذاهب الاجتماعية والسياسية والفكرية والبيولوجية مثل مذهب دور كايم والشيعية والوجودية ومذهب التطور والسريرية، وأنهم القائمون على دراسة علم الأديان المقارن متوسلين به إلى نشر الإلحاد ونسف الإيمان من النفوس، وأن تلاميذهم من المسلمين والمسيحيين فى كل الأقطار ومنها مصر يروجون لآرائهم الهدامة بين الناس جهلاً وكبراً. ولو استقل هؤلاء التلاميذ فى تفكيرهم لكشفوا ما فى آراء أساتذتهم اليهود من زيف وما وراء نظرياتهم من سوء النية (انظر مقالنا فى الرسالة :

العدد ٩٢٦ فى ٢-٤ - ١٩٥١ بعنوان «أبطال اليهود بين القرآن والعهد القديم» .

مقاساة أى شىء منها خوفاً من أن تعود إلى العناء والخيبة اللذين تمضى الأُم خلالهما فيما لو عاد الحكم السابق.

وسنوجه عناية خاصة إلى الأخطاء التاريخية للحكومات الأممية التى عذبت الإنسانية خلال قرون كثيرة جداً لنقص فى فهمها أى شىء يوافق السعادة الحققة للحياة الإنسانية، ولبحثها عن الخطط المبهجة للسعادة الاجتماعية، لأن الأميين لم يلاحظوا أن خططهم، بدلاً من أن تحسن العلاقات بين الإنسان والإنسان، لم تجعلها إلا أسوأ وأسوأ. وهذه العلاقات هى أساس الوجود الإنسانى نفسه، إن كل قوة مبادئنا وإجراءاتنا، ستكون كامنة فى حقيقة إيضاحنا لها، مع أنها مناقضة تماماً للمنهج المنحل الضائع للأحوال الاجتماعية السابقة.

وسيفضح فلاسفتنا كل مساوئ الديانات الأممية (غير اليهودية) ولكن لن يحكم أحد أبداً على دياناتنا من وجهة نظرها الحققة، إذ لن يستطيع لأحد أبداً أن يعرفها معرفة شاملة نافذة إلا شعبنا الخاص الذى لن يخاطر بكشف أسرارها.

وقد نشرنا فى كل الدول الكبرى ذوات الزعامة أدباً Hiterature مريضاً قدراً يغنى النفوس. وسنستمر فترة قصيرة بعد الاعتراف بحكمنا على تشجيع سيطرة مثل هذا الأدب، كى يشير بوضوح إلى اختلافه عن التعاليم التى سنصدرها من موقفنا المحمود. وسيقوم علماءنا الذين ربوا لغرض قيادة الأميين بإلقاء خطب، ورسم خطط، وتسويد مذكرات، متوسلين بذلك إلى أن تؤثر على عقول الرجال وتجذبها نحو تلك المعرفة وتلك الأفكار التى تلائمنا.

البروتوكول الخامس عشر :

سنعمل كل ما فى وسعنا على منع المؤامرات التى تدبر ضدنا حين نحصل نهائياً على السلطة، متوسلين إليها بعدد من الانقلابات السياسية coups d'etat المفاجئة التى سننظمها بحيث تحدث فى وقت واحد فى جميع الأقطار، وسنقبض على السلطة بسرعة عند إعلان حكوماتها رسمياً أنها عاجزة عن حكم الشعوب، وقد تنقضى فترة طويلة من الزمن قبل أن يتحقق هذا، وربما تمتد هذه الفترة قرناً كاملاً، ولكى نصل إلى منع المؤامرات ضدنا حين بلوغنا السلطة سننفذ الإعدام بلا رحمة فى كل من يشهر أسلحة ضد استقرار سلطتنا.

إن تأليف أى جماعة سرية جديدة سيكون عقابه الموت أيضاً، وأما الجماعات السرية التى تقوم فى الوقت الحاضر ونحن نعرفها، والتى تخدم، وقد خدمت، أغراضنا - فإننا سنحلها وننفى أعضائها إلى جهات نائية من العالم. وبهذا الأسلوب نفسه سنتصرف مع كل واحد من الماسونيين الأحرار الأُميين (غير اليهود) الذين يعرفون أكثر من الحد المناسب لسلامتنا. وكذلك الماسونيون الذين ربما نغفو عنهم لسبب أو لغيره سنبقئهم فى خوف دائم من النفى، وسنصدر قانوناً يقضى على كل الأعضاء السابقين فى الجمعيات السرية بالنفى من أوروبا حيث سيقوم مركز حكومتنا.

وستكون قرارات حكومتنا نهائية، ولن يكون لأحد الحق فى المعارضة .

ولكى نرد كل الجماعات الأُمية على أعقابها ونمسحها - هذه الجماعات التى غرسنا بعمق فى نفوسها الاختلافات ومبادئ نزع المعارضة Protestant للمعارضة - سنتخذ معها إجراءات لا رحمة فيها. بمثل هذه الإجراءات ستعرف الأمم أن سلطتنا لا يمكن أن يعتدى عليها، ويجب ألا يعتد بكثرة الضحايا الذين سنضحى بهم للوصول إلى النجاح فى المستقبل.

إن الوصول إلى النجاح، ولو توصل إليه بالتضحيات المتعددة، هو واجب كل حكومة تتحقق . إن شروط وجودها ليست كامنة فى الامتيازات التى تتمتع بها فحسب، بل فى تنفيذ واجباتها كذلك.

والشرط الأساسى فى استقرارها يكمن فى تقوية هيبة سلطاتها، وهذه الهيبة لا يمكن الوصول إليها إلا بقوة عظيمة غير متأرجحة Unshakable ، وهى القوة التى ستبدو أنها مقدسة لا تنتهك لها حرمة، ومحاطة بقوة باطنية Mystic لتكون مثلاً من قضاء الله وقدره .

هكذا حتى الوقت الحاضر كانت الأوتوقراطية الروسية Russian Autoiacy عدونا الوحيد إذا استثنينا الكنيسة البابوية المقدسة Holysee . اذكروا أن إيطاليا عندما كانت تندفق بالدم لم تمس شعرة واحدة من رأس سلا sill (١) وقد كان هو الرجل الذى جعل

(١) سلا Silla مثال نادر لمن يصل إلى السلطان المطلق عن طريق العنف والدهاء. وكان أول ظهوره أيام الحكومة الجمهورية فى روما، وهو حلول القائد الرومانى ماريوس سنة ١٠٧ ق.م. حين أرسله هذا القائد بمفاوضة ملك مغربى فى شمال إفريقيا فنجح فى سفارته سفارته. وحين صار ماريوس قنصلاً لرومانيا سنة ١٠٤ ق.م. كان سلا من قواد جيشه، وما زال أمره يعلو تحت رعاية ماريوس حتى اصطدما فى سنة ٨٧ ق.م. فزحف سلا بجيشه إلى =

دمها يتفجر ونشأ عن جبروت شخصية سلا Silla أن صار لها في أعين الشعب، وقد جعلته عودته بلا خوف إلى إيطاليا مقدساً لا تنتهك له حرمة Ruviolable فالشعب لن يضر الرجل الذي يسحره huphoneses (١) بشجاعة وقوة عقله.

وإلى أن يأتي الوقت الذي نصل فيه إلى السلطة، سنحاول أن ننشئ ونضع خلايا الماسونيين الأحرار في جميع أنحاء العالم وسنجذب إليها كل من يصير أو من يكون معروفاً بأنه ذو روح عامة Publicspirit (٢) وهذه الخلايا ستكون الأماكن الرئيسية التي سنحصل منها على ما نريد من أخبار كما أنها ستكون أفضل مراكز الدعاية.

وسوف نركز كل هذه الخلايا تحت قيادة واحدة معروفة لنا وحدنا وستألف هذه القيادة من علمائنا، وسيكون لهذه الخلايا أيضاً ممثلوها الخصوصيون، كي نحجب المكان الذي نقيم فيه قيادتنا حقيقة. وسيكون لهذه القيادة وحدها الحق في تعيين من يتكلم عنها

= روما، وأكره مجلس الشيوخ على الحكم بنفي ماريوس وبعض أتباعه، ثم أهدر دمه - وكان سلا أول من سن ذلك بين الرومان - ووعد قاتله بمكافأة كبيرة: فهرب ماريوس وخلال غيبة سلا عن روما في حرب مع بعض أعدائها انتصر عليهم فيها، عاد ماريوس إلى روما، وقبض على أزمة الحكم فيها، ولكن سلا عاد إليها بعد انتصاره سنة ٨٣ ق.م. وانتصر على ماريوس وجيوشه أيضاً، فخضع له الرومان صاغرين، ولقب نفسه «السعيد» وانطلق كالوحش يسفك دماء أعدائه وأعداء أصدقائه لا يميز بين برى ومذنب، وطغت أعماله الوحشية حتى أنه جمع مرة أعضاء المجلس في هيكل، وقام فيهم خطيباً وإلى جواره مكان عام حشد فيه ثمانية آلاف من ضحاياه وأمر جنوده بذبحهم، فلما بلغت صرخاتهم مسامع أعضاء المجلس تمعرت وجوههم من الفزع، فأمرهم سلا أن لا تشغلهم أصوات هؤلاء الأثقياء عن سماع خطابه.

ولما جاء موعد انتخاب القنصلين اللذين جرت السنة إن يليها حكم الدولة الرومانية ترك سلا روما، وكتب من خارجها إلى رئيس المجلس ورئيس لجنة الاقتراع طالباً سؤال الشعب عن إقامة دكتاتور إلى أجل غير مسمى ليصلح الأحوال في جميع أرجاء الدولة، وأعلن أنه قبل لهذا المنصب أداء لهذه الخدمة الوطنية، فتم ما أراد، ووافق على كل أعماله، وأعطى سنة ٨١ ق.م. سلطة مطلقة على الأرواح والأموال، فبدد فيها ما شاءت له نزواته، وبلغ من السطوة ما لم يبلغ حاكم روماني قبله، وكان يستطيع إلغاء الجمهورية والمناداة بنفسه ملكاً ولكنه لم يفعل، لأنه كان يريد اعتزال السياسة بعد الانتقام من أعدائه.

ولما نال هذه الغاية بعد أن بشم من الدماء استعفى من منصبه. وسلم سلطته إلى قنصلين جديدين، ولجأ إلى الراحة بعد أن أضناه التعب وبدنا وعقلاً، وضعضته الرذائل والحماقات، وأصابه داء خبيث أفسد أحشاءه. وأطلق الدود في قروح جلده دون أن ينقذه الدواء والنظافة ومات سنة ٧٨ ق.م. في أتمس حال، وأمر أن يكتب على قبره «هنا سلا الذي فاق كل أحد في البر بأصدقائه والنقمة من أعدائه».

(١) معنى الكلمة بالضبط ينومه تنويماً مغناطيسياً، وقد ترجمناها، بكلمة يسحره.

(٢) أى ذو ميل إلى الخدمة العامة، أو اجتماعي لا معتزل ولا منطو على نفسه.

وفى رسم نظام اليوم، وسنضع الحبال والمصايد فى هذه الخلايا لكل الاشتراكيين وطبقات المجتمع الثورية. وأن معظم الخطط السياسية السرية معروفة لنا، وسنهدىها إلى تنفيذها حالما تشكل.

وكل الوكلاء Agents فى البوليس الدولى السرى تقريباً سيكونون أعضاء فى هذه الخلايا.

ولخدمات البوليس أهمية عظيمة لدينا؛ لأنهم قادرون على أن يلقوا ستاراً على مشروعاتنا Enterprises، وأن يستنبطوا تفسيرات معقولة للضجر والسخط بين الطوائف. وأن يعاقبوا أيضاً أولئك الذين يرفضون الخضوع لنا.

ومعظم الناس الذين يدخلون فى الجمعيات السرية مغامرون يرغبون أن يشقوا طريقهم فى الحياة بأى كيفية، وليسوا ميالين إلى الجد والعناء.

وبمثل هؤلاء الناس سيكون يسيراً علينا أن نتابع أغراضنا، وأن نجعلهم يدفعون جهازنا للحركة.

وحينما يعانى العالم كله القلق فلن يدل هذا إلا على أنه قد كان من الضرورى لنا أن نقلقه هكذا، كى نحطم صلابته العظيمة الفائقة. وحينما تبدأ المؤامرات خلاله فإن بدءها يعنى أن واحداً من أشد وكلائنا إخلاصاً يقوم على رأس هذه المؤامرة. وليس إلا طبيعياً أننا كنا الشعب الوحيد الذى يوجه المشروعات الماسونية. ونحن الشعب الوحيد الذى يعرف كيف يوجهها. ونحن نعرف الهدف الأخير لكل عمل على حين أن الأميين (غير اليهود) جاهلون بمعظم الأشياء الخاصة بالماسونية ولا يستطيعون ولو رؤية النتائج العاجلة لما هم فاعلون. وهم بعامة لا يفكرون إلا فى المنافع الوقتية العاجلة، ويكتفون بتحقيق غرضهم، حين يرضى غرورهم، ولا يفطنون إلى أن الفكرة الأصلية لم تكن فكرتهم بل كنا نحن أنفسنا الذين أوحينا إليهم بها.

والأميون يكتزون من التردد على الخلايا الماسونية عن فضول محض. أو على أمل فى نيل نصيبهم من الأشياء الطيبة التى تجرى فيها، وبعضهم يغشاها أيضاً لأنه قادر على الترتبة بأفكاره الحمقاء أمام المحافل. والأميون يبحثون عن عواطف النجاح وتهليلات الاستحسان ونحن نوزعها جزافاً بلا تحفظ، ولهذا نتركهم يظفرون بنجاحهم. لكى نوجه لخدمة

مصالحها كل من تملكهم مشاعر الغرور، ومن يتشربون أفكارنا عن غفلة واثقين بصدق عصمتهم الشخصية، وبأنهم وحدهم أصحاب الآراء، وأنهم غير خاضعين فيما يرون لتأثير الآخرين.

وأنتم لا تتصورون كيف يسهل دفع أمهر الأُميين إلى حالة مضحكة من السذاجة والغفلة Naivite بإثارة غروره وإعجابه بنفسه، كيف يسهل من ناحية أخرى - أن تثبط شجاعته وعزيمته بأهون خيبة، ولو بالسكوت ببساطة عن تهليل الاستحسان له، وبذلك تدفعه إلى حالة خضوع ذليل كذل العبد إذ تصده عن الأمل في نجاح جديد، وبمقدار ما يحتقر شعبنا النجاح، ويقصر تطلعه على رؤية خططه متحققة، يحب الأُميون النجاح، ويكونون مستعدين للتضحية بكل خططهم من أجله.

إن هذه الظاهرة Feature فى أخلاف الأُميين تجعل عملنا ما نشتئى عمله معهم أيسر كثيراً. إن أولئك الذين يظهرون كأنهم النمورة هم كالغنم غبابة، ورعوسهم مملوءة بالفراغ.

ستتركهم يركبون فى أحلامهم على حصان الآمال العقيمة، لتحطيم الفردية الإنسانية بالأفكار الرمزية لمبدأ الجماعية Collectivism (١). إنهم لم يفهموا بعد، ولن يفهموا، إن هذا الحلم الوحشى مناقض لقانون الطبيعة الأساسى هو - منذ بدء التكوين - قد خلق كل كائن مختلفاً عن كل ما عداه، لكى تكون له بعد ذلك فردية مستقلة.

أفليست حقيقة إننا كنا قادرين على دفع الأُميين إلى مثل هذه الفكرة الخاطئة -

(١) Collectivism مذهب يقضى أن يمتلك الناس الأشياء شيوعاً، ويعملوا فيها معاً اختصاصاً أحد بشئ معين، وقد دعا إلى هذا المذهب كثير من المتهوسين المناكيد، منهم «مزدك» الذى ظهر فى فارس قبل الإسلام سنة ٤٨٧م وزاد شيوعية النساء على شيوعية الأموال واعتبر ذلك ديناً، فتبعه كثير من السفهاء حتى كاد يذهب بالدولة، ولكن الملك قياد كاد يستأصله هو وأتباعه فى مذبحة عامة سنة ٥٢٣. كما دعا إلى هذا المذهب القرامطة أيام الدولة العباسية، وقتلوا كثيراً من الخلق وارتكبوا كثيراً من الشنع البشعة فى جنوبي العراق وما والاها حيث قامت دولتهم نحو سنة ٨٩٠م. إلى أوائل القرن الحادى عشر، كما دعا إليه الشيوعيون فى العصر الحاضر ورأس مذهبهم كارل ماركس اليهودى، وقد تمكن بلاشفتهم اليهود من وضع روس تحت هذا النظام، وأكروهوا بالعنف على هذه الفكرة الخاطئة ولا يزالون يتخبطون فى تطبيقها هناك منحدريين من خيبة إلى خيبة، مع تمكنهم من الحكم المطلق فيها منذ سنة ١٩١٧م وهم يحاربون الرأسمالية الفردية ولكن الشعب هناك فى يدي الحاكم المطلق الذى ملك المال والأرواح. فيجمع بين استبداد المال واستبداد الحكم معاً.

تبرهن بوضوح قوى على تصورهم الضيق للحياة الإنسانية إذا ما قورنوا بنا ؟ وهنا يكمن الأمل الأكبر فى نجاحنا.

ما كان أبعد نظر حكمائنا القدماء حينما أخبرونا إنه للوصول إلى غاية عظيمة حقاً يجب ألا نتوقف لحظة أمام الوسائل. وأن لا نعتد بعدد الضحايا الذين تجب التضحية بهم للوصول إلى هذه الغاية .. إننا لم نعتد قط بالضحايا من ذرية أولئك البهائم من الأميين (غير اليهود)، ومع أننا ضحينا كثيراً من شعبنا ذاته - فقد بوأناه الآن مقاماً فى العالم ما كان ليحلم بالوصول إليه من قبل. إن ضحايانا - وهم قليل نسبياً - قد صانوا شعبنا من الدمار. كل إنسان لابد أن ينتهي حتماً بالموت. والأفضل أن نعجل بهذه النهاية إلى الناس الذين يعوقون غرضنا، لا الناس الذين يقدمونه.

إننا سنقدم الماسون الأحرار إلى الموت بأسلوب لا يستطيع معه أحد إلا الاخوة - أن يرتاب أدنى ريبة فى الحقيقة، بل الضحايا أنفسهم أيضاً لا يرتابون فيها سلفاً. إنهم جميعاً يموتون - حين يكون ذلك ضرورياً - موتاً طبيعياً فى الظاهر. حتى الأخوة - وهم عارفون بهذه الحقائق - لن يجرأوا على الاحتجاج عليها.

وبمثل هذه الوسائل نستأصل جذور الاحتجاج نفسها ضد أوامرنا فى المجال الذى يهتم به الماسون الأحرار. فنحن نبشر بمذهب التحررية لدى الأميين، وفى الناحية الأخرى نحفظ شعبنا فى خضوع كامل.

وبتأثيرنا كانت قوانين الأميين مطاعة كأقل ما يمكن : ولقد قوضت هيئة قوانينهم بالأفكار التحررية Liberal التى أذعنائها فى أوساطهم. وإن أعظم المسائل خطورة، سواء أكانت سياسية أم أخلاقية، إنما تقرر فى دور العدالة بالطريقة التى نشرعها. فالأسمى القائم بالعدالة ينظر إلى الأمور فى أى ضوء نختاره لعرضها. وهذا ما أنجزناه متوسلين بوكلائنا وبأناس نبدو أن لا صلة لنا بهم كآراء الصحافة ووسائل أخرى، بل أن أعضاء مجلس الشيوخ Senators وغيرهم من أكابر الموظفين يتبعون نصائحنا اتباعاً أعمى .

وعقل الأمى - لكونه ذا طبيعة بهيمية محضة - غير قادر على تحليل أى شىء وملاحظته، فضلاً عن التكهن بما قد يؤدى إليه امتداد حال من الأحوال إذا وضع فى ضوء معين.

وهذا الاختلاف التام في العقلية بيننا وبين الأميين هو الذي يمكن أن يرينا بسهولة آية اختيارنا من عند الله وأنا ذوو طبيعة ممتازة فوق الطبيعة البشرية Superhumannature حين تقارن بالعقل الفطرى البهيمى عند الأميين. إنهم يعاينون الحقائق فحسب. ولكن لا يتنبأون بها، وهم عاجزون عن ابتكار أى شئ وربما تستثني من ذلك الأشياء المادية. ومن كل هذا يتضح أن الطبيعة قد قدرتنا تقديراً لقيادة العالم وحكمه. وعندما يأتى الوقت الذي نحكم فيه جهرة ستحين اللحظة التي نبين فيها منفعة حكمنا، وسنقوم كل القوانين. وستكون كل قوانيننا قصيرة وواضحة وموجزة غير محتاجة إلى تفسير، حتى يكون كل إنسان قادراً على فهمها باطناً وظاهراً. وستكون السمة Future الرئيسية فيها هى الطاعة اللازمة للسلطة، وإن هذا التوقير للسلطة سيرتفع إلى قمة عالية جداً. وحينئذ ستتوقف كل أنواع إساءة استعمال السلطة لأن كل إنسان سيكون مسؤولاً أمام السلطة العليا الوحيدة: أى سلطة الحاكم. وإن سوء استعمال السلطة من جانب الناس ما عدا الحاكم سيكون عقابه بالغ الصرامة إلى حد أن الجميع سيفقدون الرغبة فى تجربة سلطتهم لهذا الاعتبار.

وسنراقب بدقة كل خطوة تتخذها هيئتنا الإدارية التى سيعتمد عليها عمل جهاز الدولة، فإنه حين تصير الإدارة بطيئة ستبعث الفوضى فى كل مكان. ولن يبقى بمنجاة من العقاب أى عمل غير قانونى، ولا أى سوء استعمال للسلطة.

ستزول كل أعمال الخفاء والتقصير العمد من جانب الموظفين فى الإدارة بعد أن يروا أوائل أمثلة العقاب.

وستستلزم عظمة سلطتنا توقيع عقوبات تناسبها، أو أن تلك العقوبات ستكون صارمة Harsh ولو عند أدنى شروع فى الاعتداء على هبة سلطتنا من أجل مصلحة شخصية للمعتدى أو لغيره. والرجل الذى يعذب جزاء أخطائه - ولو بصرامة بالغة - إنما هو جندى يموت فى معترك Battlefield الإدارة من أجل السلطة والمبدأ والقانون، وكلها لا تسمح بأى انحراف عن الصراط العام Puplic Path من أجل مصالح شخصية، ولو وقع من أولئك الذين هم مركبة الشعب puplic Chariot وقادته. فمثلاً سيعرف قضاتنا أنهم بالشروع فى إظهار تسامحهم يعتدون على قانون العدالة الذى شرع لتوقيع العقوبة على الرجال جزاء جرائمهم التى يقترفونها، ولم يشرع كى يمكن القاضى من إظهار حلمه. وهذه الخصلة الفاضلة لا ينبغى أن تظهر إلا فى الحياة الخاصة للإنسان،

لا فى مقدرة القاضى الرسمية التى تؤثر فى كل أسس التربية للنوع البشرى.

ولن يخدم أعضاء القانون فى المحاكم بعد سن الخامسة والخمسين للسينين الآتين :

أولهما: أن الشيوخ أعظم إضراراً وجموداً فى تمسكهم بالأفكار التى يدركونها سلفاً، وأقل اقتداراً على طاعة النظم الحديثة.

وثانيهما: أن مثل هذا الإجراء سيمكننا من إحداث تغييرات عدة فى الهيئة Staff الذين سيكونون لذلك خاضعين لأى ضغط من جانبنا. فإن أى إنسان يرغب فى الاحتفاظ بمنصبه سيكون عليه كى يضمه أن يطيعنا طاعة عمياء. وعلى العموم سيختار قضاتنا من بين الرجال الذين يفهمون أن واجبهم هو العقاب وتطبيق القوانين ، وليس الاستغراق فى أحلام مذهب التحررية Liberalism الذى قد ينكب النظام التربوى للحكومة، كما يفعل القضاة الأمميون الآن. وإن نظام تغيير الموظفين سيساعدنا أيضاً فى تدمير أى نوع للاتحاد يمكن أن يؤلفوه فيما بين أنفسهم، ولن يعملوا إلا لمصلحة الحكومة التى ستتوقف حظوظهم ومصايرهم عليها. وسيلبغ من تعليم الجيل الناشئ من القضاة أنهم سيمنعون بداهة كل عمل قد يضر بالعلاقات بين رعايانا بعضهم وبعض .

إن قضاة الأميين فى الوقت لاحاضر مترخصون (١) مع كل صنوف المجرمين ، إذ ليست لديهم الفكرة الصحيحة لواجبهم، ولسبب بسيط أيضاً هو أن الحكام حين يعينون القضاة لا يشددون عليهم فى أن يفهموا فكرة ما عليهم من واجب .

إن حكام الأميين حين يرشحون رعاياهم لمناصب خطيرة لا يتعبون أنفسهم كى يوضحوا لهم خطورة هذه المناصب. والغرض الذى أنشئت من أجله، فهم يعملون كالحیوانات حين ترسل جرائها الساذجة بغية الافتراس. وهكذا تتساقط حكومات الأميين بدداً على أيدى القائمين بأموها. إننا سنتخذ نهجاً أدبياً واحداً أعظم، مستنبطاً من نتائج النظام الذى تعارف عليه الأمميون، ونستخدمه فى إصلاح حكومتنا .

ونسنتأصل كل الميول التحررية من كل هيئة خطيرة فى حكومتنا للدعاية التى قد تعتمد عليها تربية من سيكونون رعايانا. وستكون المناصب الخطيرة مقصورة بلا استثناء على من ربيناهم تربية خاصة للإدارة .

(١) الترخص التساهل، وهو مصطلح فقهي، والرخصة ضد العزيمة.

وإذا لوحظ أن إخراجنا موظفينا قبل الأوان في قائمة المتقاعدين قد ثبت أنه يكبد حكومتنا نفقات باهظة - إذن فجوابي : إننا، قبل كل شيء ، سنحاول أن نجد مشاغل خاصة لهؤلاء الموظفين لنعوضهم عن مناصبهم في الخدمة الحكومية. أو جوابي أيضاً أن حكومتنا، على أى حال، ستكون مستحوذة على كل أموال العالم ، فلن تأبه من أجل ذلك بالنفقات.

وستكون أوتوقراطيتنا مكيئة فى كل أعمالها، ولذلك فإن كل قرار سيتخذه أمرنا العالى سيقابل بالإجلال والطاعة دون قيد ولا شرط. وسنتكر لكل نوع من التذمر والسخط، وسنعاقب على كل إشارة تدل على البطر عقاباً بالغاً فى صرامته حتى يتخذه الآخرون لأنفسهم عبرة، وسنلغى حق استئناف الأحكام ، ونقصره على مصلحتنا فحسب. والسبب فى هذا الإلغاء هو أننا يجب علينا ألا نسمح أن تنمو بين الجمهور فكرة أن قضائنا يحتمل أن يخطئوا فيما يحكمون.

وإذا صدر حكم يستلزم إعادة النظر فسنعزل القاضى الذى أصدره فوراً، ونعاقبه جهراً، حتى لا يتكرر مثل هذا الخطأ فيما بعد.

سأكرر ما قلته من قبل، وهو أن أحد مبادئنا الأساسية هو مراقبة الموظفين الإداريين ، وهذا على الخصوص لإرضاء الأمة ، فإن لها الحق الكامل فى الإصرار على أن يكون للحكومة موظفون إداريون صالحون .

إن حكومتنا ستحيل مظهر الثقة الأبوية Patriarchal فى شخص ملكنا، وستعتده أمتنا ورعايانا فوق الأب الذى يعنى بسد كل حاجاتهم، ويرعى كل أعمالهم، ويرتب جميع معاملات رعاياه بعضهم مع بعض، ومعاملاتهم أيضاً مع الحكومة. وبهذا سينفذ الإحساس بتوقير الملك بعمق بالغ فى الأمة حتى لن تستطيع أن تقدم بغير عنايته وتوجيهه. إنهم لا يستطيعون أن يعيشوا فى سلام إلا به، وسيعترفون فى النهاية به على أنه حاكمهم الأوتوقراطى المطلق.

وسيكون للجمهور هذا الشعور العميق بتوقيره توقيراً يقارب العبادة، وبخاصة حين يقتنعون بأن موظفيه ينفذون أوامره تنفيذاً أعمى، وأنه وحده المسيطر عليهم. إنهم سيفرحون بأن يرونا ننظم حياتهم Our lives كما لو كنا آباء حريصين على تربية أطفالهم

على الشعور المرهف الدقيق بالواجب والطاعة.

وتعتبر سياستنا السرية أن كل الأمم أطفال، وأن حكوماتها كذلك، ويمكنكم أن تروا بأنفسكم أنى أقيم استبدادنا على الحق Right وعلى الواجب Duty . فإن حق الحكومة في الإصرار على أن يؤدى الناس واجبهم هو فى ذاته فرض للحاكم الذى هو أبو رعاياه، وحق السلطة منحة له، لأنه سيقود الإنسانية فى الاتجاه الذى شرعته حقوق الطبيعة أى الاتجاه نحو الطاعة.

إن كل مخلوق فى هذا العالم خاضع لسلطة، إن لم تكن سلطة إنسان فسلطة ظروف، أو سلطة طبيعته الخاصة فهي - مهما تكن الحال - سلطة شىء أعظم قوة منه، وإذن فلنكن نحن الشىء الأعظم قوة من أجل القضية العامة.

ويجب أن نضحى دون تردد بمثل هؤلاء الأفراد الذين يعتدون على النظام القائم جزاء اعتداءاتهم، لأن حل المشكلة التربوية الكبرى هو فى العقوبة المثلى .

ويوم يضع ملك إسرائيل على رأسه المقدس التاج الذى أهدته له كل أوروبا - سيصير البطريرك patriarch لكل العالم.

إن عدد الضحايا الذين سيضطّر ملكنا إلى التضحية بهم لن يتجاوز عدد أولئك الذين ضحي بهم الملوك الأميون فى طلبهم العظمة، وفى منافسة بعضهم بعضاً.

سيكون ملكنا على اتصال وطيد قوى بالناس ، وسيلقى خطاباً من فوق المنابر Tribunes وهذه الخطب جميعاً ستذاع فوراً على العالم.

البروتوكول السادس عشر:

رغبة فى تدمير أي نوع من المشروعات الجمعية غير مشروعنا - سنبيد العمل الجماعى فى مرحلته التمهيدية (١) أى أننا سنغير الجامعات، ونعيد إنشاءها حسب خططنا الخاصة.

وسيكون رؤساء Heads الجامعات وأساتذتها معدين إعداداً خاصاً وسيلته برنامج

(١) أى إننا بدل إن نترك الطلبة يتخرجون فى الجامعات حاملين الأفكار التى لا تناسبنا فسنضع برامج لها يتلقونها ، فيتخرجون فيها كما نريد لهم وهذا ما يحدث الآن فى روسيا الشيوعية اليهودية (انظر كتاب « آثرت الحرية » المترجم إلى العربية) .

عمل سرى متقن سيهذبون ويشكلون بحسبه، ولن يستطيعوا الانحراف عنه بغير عقاب. وسيرشحنون بعناية بالغة، ويكونون معتمدين كل الاعتماد على الحكومة Gouvernement وسنحذف من فهرسنا Syllabus كل تعاليم القانون المدنى مثله فى ذلك مثل أى موضوع سياسى آخر. ولن يختار لتعلم هذه العلوم إلا رجال قليل من بين المدرسين، لمواهبهم الممتازة. ولن يسمح للجامعات أن تخرج للعالم فتيانا خضر الشباب ذوى أفكار عن الإصلاحات الدستورية الجديدة، كأنما هذه الإصلاحات مهازل Comedies أو مأس Tragedies ، ولن يسمح للجامعات أيضاً أن تخرج فتياناً ذوى اهتمام من أنفسهم بالمسائل السياسية التى لا يستطيع ولو آبأؤهم أن يفهموها.

إن المعرفة الخاطئة للسياسة بين أكداس الناس هو منبع الأفكار الطوباوية utopian ideas وهى التى تجعلهم رعايا فاسدين. وهذا ما تستطيعون أن تروه بأنفسكم فى النظام التربوى للأمميين (غير اليهود). وعلينا أن نقدم كل هذه المبادئ فى نظامهم التربوى، كى نتمكن من تحطيم بنيانهم الاجتماعى بنجاح كما قد فعلنا. وحين نستحوذ على السلطة سنبعد من برامج التربية كل المواد التى يمكن أن تمسخ Upset عقول الشباب وسنصنع منهم أطفالاً طيعين يحبون حاكمهم ، ويتبنون فى شخصه الدعامة الرئيسية للسلام والمصلحة العامة.

وستتقدم بدراسة مشكلات المستقبل بدلاً من الكلاسيكيات Classics وبدراسة التاريخ القديم الذى يشتمل على مثل Examples سيئة أكثر من اشماله على مثل حسنة^(١)، وسنطمس فى ذاكرة الإنسان العصور الماضية التى قد تكون شؤماً علينا، ولا نترك إلا الحقائق التى ستظهر أخطاء الحكومات فى ألوان قائمة فاضحة. وتكون فى مقدمة برنامجنا التربوى الموضوعات التى تعنى بمشكلات الحياة العملية ، والتنظيم الاجتماعى. وتصرفات كل إنسان مع غيره، وكذلك الخطب التى تشن الغارة على النماذج الأنانية السيئة التى تعدى وتسبب الشر، وكل ما يشبهها من المسائل الأخرى ذات الطابع الفطرى. هذه البرامج ستكون مرتبة بخاصة للطبقات والطوائف المختلفة ، وسيبقى تعليمها

(١) أى أن اليهود سيدرسون يومئذ للشباب صفحات التاريخ السود ليعرفوهم أن الشعوب عندما كانت محكومة بالنظم القديمة كانت حياتها سيئة ولا يدرسون لهم الفترات التى كانت الشعوب فيها سعيدة، لكي يقنعوهم بهذه الدراسة الكاذبة الزائفة أن النظام الجديد أفضل من القديم، وهذا ما يجري فى روسيا الآن. وفي كل بلد عقب كل انقلاب سياسى.

منفصلاً بعضها عن بعض بدقة.

وإنه لأعظم خطورة أن نحصر على هذا النظام ذاته. وسيفرض على كل طبقة أو فئة أن تتعلم منفصلة حسب مركزها وعملها الخاصين. إن العبقرية العارضة Chance قد عرفت دائماً وستعرف دائماً كيف تنفذ إلى طبقة أعلى ، ولكن من أجل هذا العرض الاستثنائي تماماً لا يليق أن نخلط بين الطوائف المختلفة، ولا أن نسمح لمثل هؤلاء الرجال بالنفاذ إلى المراتب العليا، لا لسبب إلا أنهم يستطيعون أن يحتلوا مراكز من ولدوا ليملأوها (١) ؛ وأنتم تعرفون بأنفسكم كيف كان هذا الأمر شؤماً على الأيمن إذ رضخوا للفكرة ذات الحماقة المطلقة القاضية بعدم التفرقة بين الطبقات الاجتماعية.

ولكى ينال ملكنا مكانة وطيدة في قلوب رعاياه، يتحتم أثناء حكمه أن تتعلم الأمة، سواء في المدارس والأماكن العامة أهمية نشاطه وفائدة مشروعاته.

إننا سنسمحوا كل أنواع التعليم الخاص. وفي أيام العطلات سيكون للطلاب وآبائهم الحق في حضور اجتماعات في كلياتهم كما لو كانت هذه الكليات أندية. وسيلقى الأساتذة في هذه الاجتماعات أحاديث تبدو كأنها خطب حرة في مسائل معاملات الناس بعضهم بعضاً، وفي القوانين وفي أخطاء الفهم التي هي على العموم نتيجة تصور زائف خاطئ لمركز الناس الاجتماعي. وأخيراً سيعطون دروساً في النظريات الفلسفية الجديدة التي لم تنشر بعد على عالم. هذه النظريات ستجعلها عقائد للإيمان، متخذين منها مستنداً Stepping - Stone على صدق إيماننا وديانتنا.

وحينما أنتهى من رحلتكم خلال برنامجنا كله - وبذلك سنكون قد فرغنا من مناقشة كل خططنا في الحاضر والمستقبل - عندئذ سأتلو عليكم خطة تلك النظريات الفلسفية الجديدة. ونحن نعرف من تجارب قرون كثيرة أن الرجال يعيشون ويهتدون بأفكار وأن الشعب إنما يلقت هذه الأفكار عن طريق التربية التي تمد الرجال في كل العصور بالنتيجة ذاتها، ولكن بوسائل مختلفة ضرورية. وأنا بالتربية النظامية سنراقب ما قد بقي من ذلك الاستقلال الفكرى الذى تستغله استغلالاً تاماً لغايتنا الخاصة منذ زمان مضى. ولقد وضعنا

(١) يريدون بذلك اليهود، لاعتقادهم باحتكار السيادة والعبقرية لهم أصلاً من عند الله، فإذا ظهرت لغيرهم، وفي عارضة أو بالمصادفة لا أصيلة ويجب عليهم حربها لأنها خطر عليهم، وإن قوة العبقرية فوق كل قوة.

من قبل نظام إخضاع عقول الناس بما يسمى نظام التربية البرهانية^(١) Demonstrative education (التعليم بالنظر) الذى فرض فيه أن يجعل الأُميين غير قادرين على التفكير باستقلال وبذلك سينتظرون كالحیوانات الطیعة برهاناً على كل فكرة قبل أن يتمسكوا بها. وإن واحداً من أحسن وكلائنا فى فرنسا وهو بوروى Bouroy واضع النظام الجديد للتربية البرهانية.

البروتوكول السابع عشر :

إن احترام القانون تجعل الناس يشبون باردين قساة عنيدین ، ويجردهم كذلك من كل مبادئهم، ويحملهم على أن ينظروا إلى الحياة نظرة غير إنسانية بل قانونية محضة. إنهم صاروا معتادين أن يروا الوقائع ظاهرة من وجهة النظر إلى ما يمكن كسبه من الدفاع، لا من وجهة النظر إلى الأثر الذى يمكن أن يكون لمثل هذا الدفاع فى السعادة العامة.

لا محامى يرفض أبداً الدفاع عن أى قضية، أنه سيحاول الحصول على البراءة بكل الأثمان بالتمسك بالنقط الاحتيالية Tricky الصغيرة فى التشريع jurisprudence وبهذه الوسائل سيفسد ذمة المحكمة.

ولذلك سنجد نطاق عمل هذه المهنة، وسنضع الحامين على قدم المساواة On Afooting مع الموظفين المنفذين Executive والمحامون - مثلهم مثل القضاة - لن يكون لهم الحق فى أن يقابلوا عملاءهم^(٢) Clents ولن يتسلموا منهم مذكراتهم إلا حينما يعينون لهم من قبل المحكمة القانونية، وسيدرسون مذكرات عن عملائهم بعد أن تكون

(١) المراد بالتربية البرهانية أو التعليم بالنظر، تعليم الناس الحقائق عن طريق البراهين النظرية والمناقشات الفكرية، والمضاربات الذهنية لا التعليم من طريق ملاحظة الأمثلة وإجراء التجارب عليها للوصول إلى الحقائق أو القواعد العامة. والتربية فى أكثر مدارسنا برهانية تهتم بإثبات الحقيقة بالبرهان النظرى عليها ، ومن شأن هذه الطريقة إن تفقد الإنسان ملكة الملاحظة الصادقة، والاستقلال فى إدراك الحقائق، وفهم الفروق الكبيرة أو الصغيرة بين الأشياء المتشابهة ظاهراً. وهى على العكس من طريقة التربية بالمشاهدة والملاحظة والتجربة ودراسة الجزئيات ، وهذه الطريقة الأخيرة تعود الإنسان على حسن الملاحظة والاستقلال الفكرى والتمييز الصحيح بين الأشياء والتربية البرهانية غالباً استدلالية، والثانية غالباً إستقرائية تجريبية. ولم تتقدم العلوم وتكشف الحقائق منذ عصر النهضة إلا باتباع الطريقة الاستقرائية التجريبية. وضرر التربية البرهانية أكثر من نفعها، فهى تسمح للعقل وتمد له فى الغرور والعنى والكسل والتواكل.

(٢) العملاء نسيمهم فى مصر « الزباين » .

النيابة قد حققت معهم، مؤسسين دفاعهم عن عملائهم على نتيجة هذا التحقيق (١) وسيكون أجرهم محدوداً دون اعتبار بما إذا كان الدفاع ناجحاً. أم غير ناجح إنهم سيكونون مقررين بسطاء لمصلحة العدالة، معادلين النائب الذى سيكون مقررراً لمصلحة النيابة.

وهكذا سنختصر الإجراءات القانونية اختصاراً يستحق الاعتبار. وبهذه الوسائل سنصل أيضاً إلى دفاع غير متعصب، ولا منقاد للمنافع المادية، بل ناشئ عن اقتناع الحماسى الشخصى. كما ستفيد هذه الوسائل أيضاً فى وضع حد لأى رشوة أو فساد يمكن أن يقعا اليوم فى المحاكم القانونية فى بعض البلاد.

وقد عينا عناية عظيمة بالخط من كرامة رجال الدين Clergy من الأميين (غير اليهود) فى أعين الناس، وبذلك نجحنا فى الإضرار برسالتهم التى كان يمكن أن تكون عقبة كثوفاً فى طريقنا. وإن نفوذ رجال الدين على الناس ليتضاءل يوماً فيوماً.

اليوم تسود حرية العقيدة فى كل مكان (٢)، ولن يطول الوقت إلا سنوات قليلة حتى تنهار المسيحية بدءاً انهياراً تاماً. وسيبقى ما هو أيسر علينا للتصرف مع الديانات الأخرى (٣)، على أن مناقشة هذه النقطة أمر سابق جداً لأوانه.

سنقصر رجال الدين وتعاليمهم له على جانب صغيراً من الحياة، وسيكون تأثيرهم وبيلاً سيئاً على الناس حتى أن تعاليمهم سيكون لها أثر مناقض للأثر الذى جرت العادة بأن يكون لها.

حينما يحين لنا الوقت كى نحطم البلاط البابوى the papal court تحطيماً تاماً فإن يداً مجهولة، مشيرة إلى الفاتيكان the vatican ستعطى إشارة الهجوم. وحينما يقذف

(١) هذا هو النظام المتبع فى روسيا الشيوعية (انظر كتاب «آثرت الحرية»).

(٢) يجتهد اليهود فى تشكيل الناس فى الديانات عن طريق النقد الحرو وعلم مقارنة الأديان، وحرية العقيدة والخط من كرامة رجال الأديان وهم يحافظون على بقائهم حتى تفسد فساداً تاماً نهائياً، فيصير أتباعها ملحدين.. والإحاد هو الخطوة الأولى التى تليها خطوة حمل الناس على الإيمان بصحة الديانة اليهودية وحدها. القضية بأن اليهود شعب الله المختار للسيادة على العالم واستعباد من عداهم من البشر، وإلههم لا يسمح لغيرهم باعتراف اليهودية فيما يرون.

(٣) إن استطاع اليهود القضاء على المسيحية كان قضاؤهم على الديانات الأخرى أيسر، لأن أتباع المسيحية أكثر عدداً وأعظم قوة، وهم لذلك يختصونها بالجانب الأكبر من حربهم، وهم يهدفون إلى تنصيب بابوات الكنائس المسيحية من مسيحيين أصلهم يهود.

الناس، أثناء هيجانهم، بأنفسهم على الفاتيكان سنظهر نحن كحماة له لوقف المذابح. وبهذا العمل سننفذ إلى أعماق قلب هذا البلاط، وحينئذ لن يكون لقوة على وجه الأرض أن تخرجنا منه حتى نكون قد دمرنا السلطة البابوية إن ملك إسرائيل سيصير البابا Pope الحق للعالم، بطريك patrick الكنيسة الدولية.

ولن نهاجم الكنائس القائمة الآن حتى تتم إعادة تعليم الشباب عن طريق عقائد مؤقتة جديدة، ثم عن طريق عقيدتنا الخاصة بل سنحاربها عن النقد Criticisim الذى كان وسيظل ينشر الخلافات بينها. وبالإجمال، ستفضح صحافتنا الحكومات والهيئات الأممية الدينية وغيرها، عن طريق كل أنواع المقالات البذيئة Unscrupulous لنخزيها ونحط من قدرها إلى مدى بعيد لا تستطيعه إلا أمتنا الحكيمة.

إن حكومتنا ستشبه الإله الهندي فشنو Vishnu وكل يد من أيديها المائة ستقبض على لولب فى الجهاز الاجتماعى للدولة.

إننا سنعرف كل شىء بدون مساعدة البوليس الرسمى، الذى بلغ من إفسادنا إياه على الأميين أنه لا الحكومة، إلا فى أن يحجبها عن رؤية الحقائق الواقعية. وسيستميل برنامجنا فريقاً ثالثاً من الشعب مراقبة ينبغى من إحساس خالص بالواجب ومن مبدأ الخدمة الحكومية الاختيارية^(١).

ويومئذ لن يعتد التجسس عملاً شائناً، بل على العكس من ذلك سينظر إليه كأنه عمل محمود. ومن الجهة الأخرى سيعاقب مقدمو البلاغات Report الكاذبة عقاباً صارماً حتى يكف أصحاب البلاغات عن استعمال حصانته استعمالاً سيئاً.

وسيختار وكلاؤنا Agents من بين الطبقات العليا والدنيا على السواء، وسيتخذون من بين الإداريين والمحربين الطابعين، وباعة الكتب والكتبة Clerks والعمال، والحدوذية،

(١) المعنى أن اليهود سيستعينون ببوليس سرى آخر غير الرسمى كما يفعلون فى روسيا الآد. وأعضاؤه من جميع أصناف الشعب، منهم الحدوذية والمدرسون والمحامون وكبار الموظفين والخدم والطلبة والبيع، كما أن أفراد الأسرة يتجسس بعضهم على بعض وكذلك المشتركون فى عمل واحد، وهؤلاء الجواسيس ليسوا موظفين فى البوليس وإن كانوا من أفراد، ومن طبقة هؤلاء الجواسيس الرقباء. القضاء على كل ما فى سريرة الإنسان الفاضل من ضمير وإحساس بالواجب، وحب للوطن، وميل إلى الخير - ما دام ذلك ضد مصلحة اليهود، ويشبه ذلك فى مصر بعض الشبه ما كان يسمى «البوليس السياسى» وفى ألمانيا نظام «الجستابو» ويمثل ذلك أقوى تمثيل نظام الجاسوسية الداخلى فى روسيا الآن (انظر كتاب «آثرت الحرية»).

والخدم وأمثالهم، وهذه القوة البوليسية لن تكون لها سلطة تنفيذية مستقلة، ولن يكون لها حق اتخاذ إجراءات حسب رغباتها الخاصة، وإذن فسينحصر واجب هذا البوليس الذى لا نفوذ له انحصاراً تاماً فى العمل كشهود، وفى تقديم بلاغات Reports وسيعتمد فى فحص بلاغاتهم ومضبوطاتهم الفعلية على فرقة من مفتشى البوليس المسؤولين وسيجرى فحص مضبوطاتهم الفعلية على أيدي «الجندرمة» Gendarmes وبوليس المدينة. وإذا حدث تقصير فى تبليغ أى مخالفة Misdemeanour تتعلق بالأمر السياسية فإن الشخص إذا كان ممكناً إثبات أنه مجرم بمثل هذا الإخفاء. وعلى مثل هذه الطريقة يجب أن يتصرف إخواننا الآن، أى أن يشرعوا بأنفسهم لإبلاغ السلطة المختصة عن كل المتكررين للعقيدة Apostates^(١) وعن كل الأعمال التى تخالف قانوننا. وهكذا يكون واجب رعايانا فى حكومتنا العالمية Universal Government أن يخدموا حاكمهم باتباع الأسلوب السابق الذكر:

إن تنظيمنا كهذا سيستأصل كل استعمال سيء للسلطة، والأنواع المختلفة للرشوة والفساد - أنه سيجرف فى الواقع كل الأفكار التى لوثنا بها حياة الأئمين عن طريق نظرياتنا فى الحقوق البشرية الراقية Superhuman Right .

وكيف استطعنا أن نحقق هدفنا لخلق الفوضى فى الهيئات الإدارية للأئمين إلا ببعض أمثال هذه الوسائل؟.

ومن الوسائل العظيمة الخطرة لإفساد هيئاتهم، أن نسخر وكلاء ذوى مراكز عالية يلوثون غيرهم خلال نشاطهم الهدام: بأن يكشفوا وينموا ميولهم الفاسدة الخاصة: كالميل إلى إساءة استعمال السلطة والانطلاق فى استعمال الرشوة.

البروتوكول الثامن عشر:

حينما يتاح لنا الوقت كى نتخذ إجراءات بوليسية خاصة بأن نفرض قهراً نظام «أكهرانا Okhrana» الروسى الحاضر (أشد السموم خطراً على هيبة الدولة) - حينئذ

(١) المعنى أن جواسيسنا سيبلغوننا أخبار كل إنسان يرتد عن نظامنا ومبادئنا، وكل ما يدل على نفوره منها أو تمرده عليها. وهكذا تفعل روسيا مع سكانها، فتعاقب بالنفى أو القتل أو السجن كل من يبدو منه إشارة أو كلمة أو عمل تشم منه رائحة تنكر للنظام الشيوعى اليهودى. أو عدم الولاء الأعمى له. (انظر كتاب «آثرت الحرية»).

سنثير اضطرابات تهكمية بين الشعب، أو نغريه باظهار السخط المغطى Protracted وهذا يحدث بمساعدة الخطباء البلغاء. إن هؤلاء الخطباء سيجدون كثيراً من الأشياء - Symptomatic thisers (١)، وبذلك يعطوننا حجة لتفتيش بيوت الناس، ووضعهم تحت قيود خاصة، مستغلين خدمنا بين بوليس الأميين.

وإذ أن المتآمرين مدفوعون بحبهم هذا الفن: فن التآمر، وحبهم للثروة - فلن نمسهم حتى نراهم على أهبة المضي في العمل. وسنقتصر على أن نقدم من بينهم - من أجل الكلام - عنصراً إخبارياً Reporting element ويجب أن نذكر أن السلطة تفقد هيبتها في كل مرة تكتشف فيها مؤامرة شعبية ضدها. فمثل هذا الاكتشاف يوحى إلى الأذهان أن تحدى وتؤمن بضعف السلطة، وبما هو أشد خطراً من ذلك. وهو الاعتراف بأخطائها. يجب أن نعرف أننا دمرنا هبة الأميين الحاكمين متوسلين بعدد من الاغتيالات الفردية التي أنجزها وكلاؤنا: وهم خرفان قطيعنا العميان الذين يمكن بسهولة إغراؤهم بأي جريمة، ما دامت هذه الجريمة ذات طابع سياسى (٢).

إننا سنكره الحاكمين على الاعتراف بضعفهم بأن يتخذوا علانية. إجراءات بوليسية خاصة «أكهرانا Okhrana» وبهذا سنزعزع هبة سلطتهم الخاصة.

وإن ملكنا سيكون محمياً بحرس سرى جداً. إذ لن نسمح لإنسان أن يظن أن تقوم

(١) أى من يشاركونهم مشاركة وجدانية فى إحساساتهم ونزعاتهم ..

(٢) تفرق فى الأمم لا سيما الديمقراطية بين الجريمتين العادية والسياسية إطلاقاً. فيترخص مع الثانية فى العقاب دون الأولى.

والحق أن التفرقة بينهما من أعوص المشكلات وأدقها أمام رجال القانون فقهاء وقضاة ومحامون وغيرهم. ومن الواجب التفرقة بين العادية الخالصة والعادية ذات الطابع السياسى، والسياسية الخالصة، فقد تظهر الجريمة سياسية وليس لها من السياسة إلا الطابع لا الجوهر، وإن اتخذها الصورة السياسية يهون على صاحبها ارتكابها. إذ يجعله فى نظر نفسه ونظر الناس بطلاً، بينما هو فى دخليته إنسان ممسوخ الطبيعة ملتوى العقل، شرير بفطرته، وإن إجرامه كامن يكفى أن يهيجه فيه أن الجريمة سياسية الطابع ولا بأس بالترخص مع الجريمة السياسية عنصراً وطابعاً يرتكبها إنسان فاضل تكرهه الظروف إكراهاً على ارتكابها وهو فى ذاته أريحي كريم نبيل الدوافع أولاً، ومسوخ لغاية بعد ذلك.

والأمر الذى يجب أن يدرس أولاً هو الدوافع ثم الغاية، لأن الدوافع لا الغايات هى محركات الحياة ورب جريمة بفلت المجرم فيها من العقاب وهو مجرم بفطرته، لأنه يرتكبها باسم العدل أو باسم المحافظة على الأمن أو نحو ذلك، كما فعل عبيد الله بن زياد وأعوانه مع الحسين. وكما يفعل كثير من أولى الأمر مع المحكومين فى بعض البلاد. منذ قام الحكم بين الناس، وكذلك يفعل كثير من المدرسين أو الآباء من الصغار، ونحو ذلك.

ضد حاكمنا مؤامرة لا يستطيع هو شخصياً أن يدمرها فيضطر خائفاً إلى إخفاء نفسه منها. فإذا سمحنا بقيام هذه الفكرة - كما هي سائدة بين الأميين - فإننا بهذا سنوقع صك الموت للملكنا: إن لم يكن موته هو نفسه فموت دولته Dynasty (١).

وبالملاحظة الدقيقة للمظاهر سيستخدم ملكنا سلطته لمصلحة الأمة فحسب ، لا لمصلحته هو ولا لمصلحة دولته Dynasty .

وبالتزامه مثل هذا الأدب سيمجده رعاياه ويفدونه بأنفسهم إنهم سيقدسون سلطة الملك Sovereign مدركين أن سعادة الأمة منوطة بهذه السلطة «لأنها عماد النظام العام». إن حراسة الملك جهازاً تساوى الاعتراف بضعف قوته.

وإن حاكمنا سيكون دائماً وسط شعبه. وسيظهر محفوفاً بجمهور مستطلع من الرجال والنساء يشغلون بالمصادفة - دائماً حسب الظاهر - أقرب الصفوف إليه (٢) مبعدين بذلك عنه الرعاع، بحجة حفظ النظام من أجل النظام فحسب.. وهذا المثل سيعلم الآخرين محاولة ضبط النفس. وإذا وجد صاحب الملمس بين الناس يحاول أن يسلم الملك ملتمساً، ويندفع خلال الغوغاء، فإن الناس الذين فى الصفوف الأولى سيأخذون ملتسمه، وسيعرضونه على الملك فى حضور صاحب الملمس لكى يعرف كل إنسان بعد ذلك إن كل الملتسمات تصل الملك، وأنه هو نفسه يصرف كل الأمور. ولكى تبقى هيئة السلطة يجب أن تبلغ منزلتها من الثقة إلى حد أن يستطيع الناس أن يقولوا فيما بين أنفسهم: «لو أن الملك يعرفه فحسب» أو «حينما يعرفه الملك» (٣).

إن الصوفية Myticism التى تحيط بشخص الملك تتلاشى بمجرد أن يرى حرس من البوليس موضوع حوله. فحين يستخدم مثل هذا الحرس فليس على أى مغتال assassin

(١) استعملنا كلمة الدولة كما يقال فى التاريخ: الدولة الأموية، والدولة العباسية والدولة الفاطمية، فليس المراد بالدولة رفقة الأرض المحكومة أو الناس عليها لكن سلسلة الحاكمين المنتسبين إلى أمية أو العباس أو فاطمة ولولا أن كلمة خلافة خاصة بالحكم الإسلامى لكانت أولى بالاستعمال مقابل كلمة dynasty.

(٢) أى هذا الحرس سيكون سرى لا يحمل شارات تدل عليه فتفسير حول الملك فى سيره وكأن الملك بلا حرس بين رعيته. فيعتقد الناس الذين يجهلون هذا السر أن الملك بلغ من ثقته بالشعب ومن حب الشعب إياه أنه لا يخاف من سيره بين رعيته مجرداً من الحراس.

(٣) المعنى إن الناس سيقولون: لو أن الملك يعرف هذا الضرر المشكو منه لما وافق عليه أو لعاقب عليه إذا كان قد جرى وحاول إزالة آثاره الضارة، حينما يعرف الملك هذا الأمر سيعمل لما فيه الخير والمصلحة من وجهة نظر صاحبه.

إلا أن يجرب قدراً معيناً من الوقاحة، والطيش كى يتصور نفسه أقوى من الحرس، فيحقق بذلك مقدرته، وليس عليه بعد ذلك إلا أن يترقب اللحظة التى يستطيع فيها القيام بهجوم على القوة المذكورة.

إننا لا ننصح الاعميين (غير اليهود) بهذا المذهب. وأنتم تستطيعون أن تتروا بأنفسكم النتائج التى أدى إليها اتخاذ الحرس العلنى.

إن حكومتنا ستعتقل الناس الذين يمكن أن تتوهم منهم الجرائم السياسية توهماً عن صواب كثير أو قليل. إذ ليس أمراً مرغوباً فيه أن يعطى رجل فرصة الهرب مع قيام مثل هذه الشبهات خوفاً من الخطأ فى الحكم.

ونحن فعلاً لن نظهر عطفاً لهؤلاء المجرمين. وقد يكون ممكناً فى حالات معينة أن نعتد بالظروف المخففة Attenuating circumstances عند التصرف فى الجناح Offences الإجرامية العادية ولكن لا ترخص ولا تساهل مع الجريمة السياسية، أى ترخص مع الرجال حين يصيرون منغمسين فى السياسة التى لن يفهمها أحد إلا الملك، وإنه من الحق أنه ليس كل الحاكمين قادرين على فهم السياسة الصحيحة.

البروتوكول التاسع عشر:

إننا سنحرم على الأفراد أن يصيروا منغمسين فى السياسة، ولكننا من جهة أخرى، سنشجع كل نوع لتبليغ الاقتراحات أو عرضها ما دامت تعمل على تحسين الحياة الاجتماعية والقومية كى توافق عليها الحكومة وبهذه الوسيلة إذن سنعرف أخطاء حكومتنا والمثل العليا لرعايانا وسنجيب على هذه الاقتراحات إما بقبولها، وإما بتقديم حجة قوية — إذا لم تكن مقنعة — للتدليل على أنها مستحيلة التحقيق، ومؤسسة على تصوير قصير النظر للأمور.

إن الثورة Sedition ليست أكثر من نباح كلب على فيل، ففى الحكومة المنظمة تنظيمًا حسناً من وجهة النظر الاجتماعية لا من وجهة النظر إلى بوليسها، ينبع الكلب على الفيل (١) من غير أن يحقق قدرته. وليس على الفيل إلا أن يظهر قدرته بمثل واحد متقن حتى تكف الكلاب عن النباح، وتشرع فى البصبة (٢) بأذنانها عندما ترى الفيل.

(١) نباح الكلب والفيل ونبح عليه سواء

(٢) ببص الكلب إذا حرك ذنبه لإظهار خضوعه أو نحو ذلك.

ولكى ننزع عن المجرم السياسى تاج شجاعته سنضعه فى مراتب المجرمين الآخرين بحيث يستوى مع اللصوص والقتلة والأنواع الأخرى من الأشرار المنبوذين المكروهين.

وعندئذ سينظر الرأى العام عقلياً إلى الجرائم السياسية فى الضوء ذاته الذى ينظر فيه إلى الجرائم العادية، وسيصممها وصمة العار والخزى التى يصم بها الجرائم العادية بلا تفریق.

وقد بذلنا أقصى جهدنا لصد الأُميين على اختيار هذا المنهج الفريد فى معاملة الجرائم السياسية. ولكى نصل إلى هذه الغاية - استخدمنا الصحافة، والخطابة العامة، وكتب التاريخ المدرسية المحصنة بمهارة، وأوحينا إليهم بفكرة أن القاتل السياسى شهيد، لأنه مات من أجل فكرة السعادة الإنسانية. وأن مثل هذا الاعلان قد ضاعف عدد المتمردين، وانفتحت طبقات وكلائنا بآلاف من الأُميين.

البروتوكول العشرون :

سأتكلم اليوم فى برنامجنا المالى الذى تركته إلى نهاية تقريرى. لأنه أشد المسائل عسراً، ولأنه يكون المقطع النهائى فى خططنا. وقبل أن أناقش هذه النقطة سأذكركم بما أشرت من قبل إليه، وأعنى بذلك أن سياستنا العامة متوقفة على مسألة أرقام.

حين نصل إلى السلطة فإن حكومتنا الأوتوقراطية - من أجل مصلحتها الذاتية - ستجنب فرض ضرائب ثقيلة على الجمهور. وستذكر دائماً ذلك الدور الذى ينبغى أن تلعبه، وأعنى به دور الحامى الأبوى.

ولكن ما دام تنظيم الحكومة سيتطلب كميات كبيرة من المال فمن الضرورى أن نتهياً الوسائل اللازمة للحصول عليه، ولذلك يجب أن نحاول بحرص عظيم بحث هذه المسألة، وأن نرى أن عبء الضرائب موزع بالقسط.

وبحيلة وفق القانون - سيكون حاكمنا مالكا لكل أملاك الدولة (وهذا بوضوح موضع التنفيذ بسهولة). وسيكون قادرا على زيادة مقادير المال التى ربما تكون ضرورية لتنظيم تداول العملة فى البلاد.

ومن هنا سيكون فرض ضرائب تصاعدية على الأملاك وهو خير الوسائل لمواجهة التكاليف الحكومية، وهكذا تدفع الضرائب دون أن ترهق الناس ودون أن يفلسوا، وأن

الكمية التى ستفرض عليها الضريبة ستتوقف على كل ملكية فردية.

ويجب أن يفهم الأغنياء أن واجبهم هو التخلي للحكومة عن جانب من ثروتهم الزائدة. لأن الحكومة تضمن لهم تأمين حيازة ما تبقى من أملاكهم، وتمنحهم حق كسب المال بوسائل نزيهة Honest وأنا أقول نزيهة، لأن إدارة الأملاك ستمنع السرقة على أسس قانونية.

هذا الإصلاح الاجتماعى يجب أن يكون فى طليعة برنامجنا، كما أنه الضمان الأساسى للسلام. فلن يحتمل التأخير لذلك.

إن فرض الضرائب على الفقراء هو أصل كل الثروات، وهو يعود بخسارة كبيرة على الحكومة، وحين تحاول الحكومة زيادة المال على الفقراء تفقد فرصة الحصول عليه من الأغنياء.

إن فرض الضرائب على رؤوس الأموال يقلل من زيادة الثروة فى الأيدى الخاصة التى سمحنا لها بتكديسها - مغرضين - حتى تعمل كمعادل لحكومات الأميين ومالياتهم.

إن الضرائب التصاعدية المفروضة على نصيب الفرد ستجلب دخلا أكبر من نظام الضرائب الحالى الحاضر (١٩٠١) الذى يستوى فيه كل الناس. وهذا النظام فى الوقت الحاضر ضرورى لنا، لأنه يخلق النقمة والسخط بين الأميين (*).

إن قوة ملكنا ستقوم أساسيا على حقيقة أنه سيكون ضمانا للتوازن الدولى والسلام الدائم للعالم، وسيكون على رؤوس الأموال أن تتخلى عن ثرواتها لتحفظ الحكومة فى نشاطها.

إن النفقات الحكومية يجب أن يدفعها من هم أقدر على دفعها، ومن يمكن أن تزداد عليهم الأموال .

مثل هذا الإجراء سيوقف الحقد من جانب الطبقات الفقيرة على الأغنياء الذين سيعتدون الدعاية المالية الضرورية للحكومة، وسترى هذه الطبقات أن الأغنياء هم حماة السلام والسعادة العامة، لأن الطبقات الفقيرة ستفهم أن الأغنياء ينفقون على وسائل إعدادها للمنافع الاجتماعية.

(*) لاحظ أن هذا الخطاب قد نشر سنة ١٩٠١ (عن الأصل الإنجليزى).

ولكيلا تبالغ الطبقات الذكية، أى دافعوا الضرائب، فى الشكوى من نظام الضرائب الجديد، - سنقدم لهم. كشوفا تفصيلية توضح طريق إنفاق أموالهم، ويستثنى منها بالضرورة الجانب الذى ينفق على حاجات الملك الخاصة ومطالب الإدارة.

ولن يكون للملك ملك شخصى، فإن كل شىء فى الدولة سيكون ملكا له، إذ لو سمح للملك بحيازة ملك خاص فسيظهر كما لو كانت كل أملاك الدولة غير مملوكة له. وأقارب الملك - إلا وارثه الذى ستتحمل الحكومة نفقاته - سيكون عليهم كلهم أن يعملوا موظفين حكوميين، أو يعملوا عملا آخر لينالوا حق امتلاك الثروة، ولن يؤهلهم امتيازهم بأنهم من الدم الملكى، لأن يعيشوا عائلة على نفقة الدولة.

وستكون هناك ضرائب دمغة تصاعدية على المبيعات والمشتريات، مثلها مثل ضرائب التركات death duties وأن أى انتقال للملكية بغير الدمغة المطلوبة سيعد غير قانونى. وسيجبر المالك السابق former على أن يدفع عمالة بنسبة مئوية percentage على الضريبة من تاريخ البيع.

ويجب أن نسلم مستندات التحويل (للملكية) أسبوعيا إلى مراقبى الضرائب المحليين local مصحوبة ببلاغ عن الاسم واللقب surname لكل من المالكين الجديد والسابق، والعنوان الثابت لكل منهما أيضا.

إن مثل هذا الإجراء سيكون ضروريا من أجل المعاملات المالية حين تزيد على مقدار معين، أعنى حين تزيد على مقدار يعادل متوسط النفقات اليومية الضرورية الأولية prime وسيكون بيع الأشياء الضرورية مدموگا stambed بضريبة دمغة محدودة عادية.

ويكفى أن تحسبوا أنتم كم ضعفا سيزيد به مقدار هذه الضرائب على دخل حكومات الأميين.

إن الدولة لا بد لها من أن تحتفظ فى الاحتياطى بمقدار معين من رأس المال، وإذا زاد الدخل من الضرائب على هذا المبلغ المحدود فسترد الدخول الفائضة الى التداول. وهذه المبالغ الفائضة ستنفق على تنظيم أنواع شتى من الأعمال العامة.

وسيوكل توجيه هذه الأعمال إلى هيئة حكومية. وبذلك ستكون مصالح الطبقات

مرتبطة ارتباطا وثيقا بمصالح الحكومات ومصالح ملكهم، وسيرصد كذلك جزء من المال الفائض للمكافآت على الاختراعات والإنتاجات.

ومن ألزم الضروريات عدم السماح للعملة currency بأن توضع دون نشاط في بنك الدولة إذا تجاوزت مبلغا معيناً ربما يكون القصد منه غرضاً خاصاً. إذ أن العملة وجدت للتداول. وأن أى تكديس للمال ذو أثر حيوى فى أمور الدولة على الدوام. لأن المال يعمل عمل الزيت فى جهاز الدولة، فلو صار الزيت عائقاً إذن لتوقف عمل الجهاز.

وما وقع من جراء استبدال السندات بجزء كبير من العملة قد خلق الآن تضخماً يشبه ما وصفناه تماماً. ونتائج هذه الواقعة قد صارت واضحة وضوحاً كافياً.

وكذلك سننشئ هيئة للمحاسبة. كى تمكن الملك من أن يلتقى فى أى وقت حساباً كاملاً لخرج Expenditure الحكومة ودخلها. وستحفظ كل التقارير بدقة وجزم إلى هذا التاريخ ما عدا تقارير الشهر الجارى والمتقدم.

والشخص الوحيد الذى لن تكون له مصلحة فى سرقة بنك الدولة، سيكون هو مالكة، وأعنى به الملك، ولهذا السبب ستقف سيطرته كل احتمال للإسراف أو النفقة غير الضرورية. وإن المقابلات يملئها أدب السلوك - وهى مضیعة لوقت الملك الثمين - ستكون معدومة، لكى تتاح له فرصة عظمى للنظر فى شئون الدولة. ولن يكون الملك فى حكومتنا محوطاً بالحاشية الذين يرقصون عادة فى خدمة الملك من أجل الأبهة، ولا يهتمون إلا بأمورهم الخاصة مبتعدين جانباً عن العمل لسعادة الدولة (١).

إن الأزمات الاقتصادية التى دبرناها بنجاح باهر فى البلاد الأممية - قد أنجزت عن طريق سحب العملة من التداول ، فتراكمت ثروات ضخمة، وسحب المال من الحكومة التى اضطرت بدورها إلى الاستئجار بملاك هذه الثروات لإصدار قروض. ولقد وضعت هذه القروض على الحكومات أعباء ثقيلة اضطرتها الى دفع فوائد المال المقترض مكبلة بذلك أيديها.

(١) من المؤسف أن كثيراً من الحكام فى الأمم المتأخرة يحوطون بأمثال هذه الحاشية من الإمعات والانتهازين الذين لا تهمهم إلا مصالحهم الذاتية. مثلهم مثل كلاب الصيد التى لا يهتمهم لمصلحتها إلا إرضاء سادتها، وليسوا على شىء من قوة الخلق ولا المقدرة السياسية، ولا الإخلاص للمصلحة العامة ولا مصلحة سادتهم الحقيقية المرتبطة بمصلحة شعوبهم .

وإن تركز الإنتاج فى أيدى الرأسمالية قد امتص قوة الناس الإنتاجية حتى جفت، وامتص معها أيضا ثروة الدولة.

والعملة المتداولة فى الوقت الحاضر لا تستطيع أن تفى بمطالب الطبقات العاملة، إذ ليست كافية للإحاطة بهم وإرضائهم جميعا.

إن إصدار العملة يجب أن يساير نمو السكان ، ويجب أن يعد الأطفال مستهلكى عملة منذ أول يوم يولدون فيه. وإن تنقيح العملة حيناً فحيناً مسألة حيوية للعالم أجمع.

وأظنكم تعرفون أن العملة الذهبية كانت الدمار للدول التى سارت عليها، لأنها لم تستطع أن تفى بمطالب السكان. ولأننا فوق ذلك قد بذلنا أقصى جهدنا لتكديسها وسحبها من التداول.

إن حكومتنا ستكون لها عملة قائمة على قوة العمل فى البلاد، وستكون من الورق أو حتى من الخشب.

وسنصدر عملة كافية لكل فرد من رعايانا، مضيفين الى هذا المقدار عند ميلاد كل طفل، ومنقصين منه عند وفاة كل شخص.

وستقوم على الحسابات الحكومية حكومات محلية منفصلة ومكاتب إقليمية (ريفية). ولكيلا تحدث ماطلات فى دفع الأموال المستحقة للحكومة سيصدر الحاكم نفسه أوامر عن مدة هذه المبالغ، وبهذا ستنتهى المحاباة التى تظهرها أحيانا وزارات المالية نحو هيئات معينة (١).

ستحفظ حسابات الدخل والخرج معا، لكى يمكن دائما مقارنة كل منهما بالأخرى. والخطط التى ستخذها لإصلاح المؤسسات المالية للأمن ستقوم بأسلوب لن يمكن أن يلحظوه. فسنشير إلى ضرورة الإصلاحات التى تتطلبها الحالة الفوضوية التى

(١) من المؤسف أن بعض الحكومات تحمل ماطلة كثير من الرأسماليين الأغنياء فى دفع الضرائب المفروضة عليهم حتى تضيق بمضى المدة، أو تصالحهم على دفع جزء منها وترك جزء على حين أنها تشدد فى معاملة الصغار وربما يكون دفع الصغار الضريبة المطلوبة كافيا لتعطيل عملهم أو إفلاسهم وخراب بيوتهم.

بلغتها المالىات الأمية. وسنبين أن السبب الأول لهذه الحالات السيئة للمالية يكمن فى حقيقة أنهم يبدؤون السنة المالية بعمل تقدير تقريبي للميزانية الحكومية، وأن مقدارها يزداد سنة فسنة للسبب التالى: وهو أن الميزانية الحكومية السنوية تستمر متأخرة حتى نهاية نصف السنة، وعندئذ تقدم ميزانية منقحة، ينفق مالها بعامه فى ثلاثة أشهر، وبعد ذلك يصوت لميزانية جديدة، وفى نهاية السنة تقرر حسابات بتصفية الميزانية. إن الميزانية لسنة واحدة تقوم على جملة النفقة المتحصلة فى السنة السابقة، وعلى ذلك فهناك عجز فى كل سنة نحو خمسين من مائة من المبلغ الاسمى فتضاعف الميزانية السنوية بعد عشر سنوات ثلاثة أضعاف. وبفضل هذا الإجراء الذى اتبعته الحكومات الأمية الغافلة استنفذت أموالهم الاحتياطية عندما حلت مواعيد الديون، وفرغت بنوك دولتهم^(١) وجذبتهم الى حافة الإفلاس.

وسوف تفهمون سريعا أن مثل هذه السياسة للأموال المالية التى أغرينا الأميين باتباعها، لا يمكن أن تكون ملائمة لحكومتنا.

إن كل فرض ليرهن على ضعف الحكومة وخيبتها فى فهم حقوقها التى لها. وكل دين - كأنه سيف داميوكليز Damocles - يعلق على رؤوس الحاكمين الذين يأتون إلى أصحاب البنوك Bankers منا وقبعاتهم فى أيديهم، بدلا من دفع مبالغ معينة مباشرة عن الأمة بطريقة الضرائب الوقتية.

إن القروض الخارجية مثل العلق الذى لا يمكن فصله من جسم الحكومة حتى يقع من تلقاء نفسه، أو حتى تدبير الحكومة كى تطرحه عنها، ولكن حكومات الأميين لا ترغب فى أن تطرح عنها هذا العلق، بل هى ذلك. فإنها تزيد عدده، وبعد ذلك كتب على دولتهم أن تموت قصاصا من نفسها بفقد الدم. فماذا يكون القرض الخارجى إلا أنه علقه؟ القرض هو إصدار أوراق حكومية توجب التزام دفع فائدة تبلغ نسبة مئوية من المبلغ الكلى للمال المقترض. فإذا كان القرض بفائدة قدرها خمسة من مائة، وفى عشرين سنة ستكون الحكومة قد دفعت بلا ضرورة مبلغا يعادل القرض لكى تغطى النسبة المئوية. وفى أربعين سنة ستكون قد دفعت ضعفين، وفى ستين سنة ثلاثة أضعاف المقدار، ولكن القرض سيبقى ثابتا كأنه دين لم يسدد.

(١) أى ما يسمى بنك الدولة، لا البنوك الأخرى الموجودة فى الدولة.

ثابت من هذه الإحصائية أن هذه القروض تحت نظام الضرائب الحاضرة (١٩٠١) تستنفذ آخر المليمات النهائية^(١) من دافع الضرائب الفقير، كى تدفع فوائد للرأسماليين الأجانب الذين اقترضت الدولة منهم المال، بدلا من جمع الكمية الضرورية من الأمة مجردة من الفوائد فى صورة الضرائب.

وقد اكتفى الأغنياء - طالما كانت القروض داخلية - بأن ينقلوا المال من أكياس الفقراء إلى أكياس الأغنياء، ولكن بعد أن رشونا أناسا لازمين لا سبديل القروض الخارجية بالقروض الداخلية - تدفقت كل ثروة الدول إلى خزائنا، وبدأ كل الأميين يدفعون لنا مالا يقل عن الخراج المطلوب.

والحكام الأميون - من جراء إهمالهم، أو سبب فساد وزرائهم أو جهلهم - قد جروا بلادهم إلى الاستدانة من بنوكنا، حتى إنهم لا يستطيعون تأدية هذه الديون. ويجب أن تدركوا ما كان يتحتم علينا أن نعانيه من الآلام لكى تنهى الأمور على هذه الصورة.

سنحتاط فى حكومتنا حيطة كبيرة كى لا يحدث تضخم مالى، وعلى ذلك لن نكون فى حاجة الى القروض للدولة إلا قرضا واحدا ذا فائدة قدرها واحد من المائة تكون سندات على الخزانة. حتى لا يعرض دفع النسبة المئوية البلاد لأن يمتصها العلق.

وستعطى الشركات التجارية حق إصدار السندات استثناء. فإن هذه الشركات لن تجد صعوبة فى دفع النسبة المئوية من أرباحها، لأنها تقترض المال للمشروعات التجارية، ولكن الحكومات لا تستطيع أن تجنى فوائد من المال المقترض، لأنها إنما تقترض لتنفق ما أخذت من القروض^(٢).

وستشتري الحكومة أيضا أسهما تجارية، فتصير بهذا دائنة بدل أن تكون مدينة ومسددة للخراج Tribute كما هى الآن. وإن إجراء كهذا سيضع نهاية للتراخى والكسل اللذين كانا مفيدين لنا طالما كان الأميون (غير اليهود) مستقلين. وسيصيران

(١) فى الأصل Last sent والترجمة الحرفية «السنتات النهائية» والسنت Cent عملة أمريكية، وهو يساوى جزءا من مائة جزء من الدولار Dollar أو الريال الأمريكى .

(٢) لنلاحظ براعة هذه الخطة. فالشركات التجارية إنما تقترض للإنشاء والتعمير المربح فيزداد بذلك؛ رأس مالها بما تربح، والحكومة تقترض للاستهلاك غالبا فتخسر بالقرض، ولكن ليلاحظ من ناحية أخرى خطأ هذه الفكرة فإن الحكومات يطلب منها نحو الشعب أكثر مما يطلب أصحاب الأسهم والأمة من الشركات.

بغضين في حكومتنا..

ويكفى للتدليل على فراغ عقول الأميين المطلقة البهيمة حقاً، أنهم حينما اقترضوا المال هنا بفائدة خابوا في إدراك أن كل مبلغ مقترض هكذا مضافاً إليه فائدة لا مفر من أن يخرج من موارد البلاد. وكان أيسر لهم لو أنهم أخذوا المال من شعبهم مباشرة دون حاجة إلى دفع فائدة. وهذا يبرهن على عبقريتنا وعلى حقيقة أننا الشعب الذى اختاره الله. إنه من الخنكة والدربة أننا نعرض مسألة القروض على الأميين فى ضوء يظنون معه أنهم وجدوا فيه الربح أيضاً.

إن تقديراتنا Esimates التى سنعدها عندما يأتي الوقت المناسب، والتى ستكون مستمدة من تجربة قرون، والتى كنا نمحصها عندما كان الأميون يحكمون - إن تقديراتنا هذه ستكون مختلفة فى وضوحها العجيب عن التقديرات التى صنعها الأميون، وستبرهن للعالم كيف أن خططنا الجديدة ناجحة ناجعة. إن هذه الخطط ستقضى على المساوىء التى صرنا بأمثالها سادة الأميين. والتى لا يمكن أن نسمح بها فى حكمنا، وسنرتب نظام ميزانيتنا الحكومية حتى لن يكون الملك نفسه ولا أشد الكتبة Clerks خمولاً فى مقام لا يلاحظ فيه اختلاسه لأصغر جزء من المال، ولا استعماله إياه فى غرض آخر غير الغرض الموضوع له فى التقدير الأول (فى الميزانية).

ويستحيل الحكم بنجاح الا بخطة محكمة إحكاماً تاماً. حتى الفرسان والأبطال يهلكون إذا هم اتبعوا طريقاً لا يعرفون الى أين يقودهم، أو إذا بدأوا رحلتهم من غير أن يتأهبوا الأهبة المناسبة لها.

إن ملوك الأميين الذين ساعدناهم، كى نغريهم بالتخلى عن واجباتهم فى الحكومة، بوسائل الوكالات (عن الأمة) Representation والولائم Entertainments والأهبة والملاهى الأخرى - هؤلاء الملوك لم يكونوا إلا حجباً لإخفاء مكائدا ووسائلنا.

وإن تقارير المندوبين* الذين اعتيد إرسالهم لتمثيل الملك فى واجباته العامة قد صنعت بأيدي وكلائنا. وقد استعملت هذه التقارير فى كل مناسبة كى تبهج عقول الملوك القصيرة النظر، مصحوبة - كما كانت - بمشروعات عن الاقتصاد فى المستقبل «كيف استطاعوا أن يقتصدوا بضرائب جديدة؟» هذا ما استطاعوا أن يسألوا عنه قراء

تقرير اتنا التى يكتبونها عن المهام التى يقومون بها ولكنهم لم يسألوا عنه فعلا .
وأنتم أنفسكم تعرفون إلى أى مدى من الاختلال المالى قد بلغوا بإهمالهم الذاتى .
فلقد انتهوا إلى إفلاس رغم كل المجهودات الشاقة التى يبذلها رعاياهم التعساء .

البروتوكول الحادى والعشرون :

سأزيد الآن على ما أخبرتكم به فى اجتماعنا الأخير، وأمدكم بشرح مفصل للقروض الداخلية. غير أنى لن أناقش القروض الخارجية بعد الآن. لأنها قد ملأت خزائننا بالأموال الأمية، وكذلك لأن حكومتنا العالمية لن يكون لها جيران أجنب تستطيع أن تقترض منهم مالا .

لقد استغللنا فساد الإداريين وإهمال الحاكمين الأميين لكى نجنى ضعفى المال الذى قدمناه قرضا إلى حكوماتهم أو نجنى ثلاثة أضعافه، مع أنها لم تكن فى الحقيقة بحاجة إليه قط. فمن الذى يستطيع أن يفعل هذا معنا، كما فعلناه معهم؟ ولذلك لن أخوض إلا فى مسألة القروض الداخلية فحسب. حين تعلن الحكومة إصدار قرض كهذا تفتح اكتتابا لسنداتنا. وهى تصدرها مخفضة ذات قيم صغيرة جدا، كى يكون فى استطاعة كل انسان أن يسهم فيها. والمكتتبون الأوائل يسمح لهم أن يشتروها بأقل من قيمتها الاسمية. وفى اليوم التالى يرفع سعرها، كى يظن أن كل إنسان حريص على شرائها.

وفى خلال أيام قليلة تمتلئ الخزائن بيت مال الدولة Exchequer بكل المال الذى اكتتب به زيادة على الحد. (فلم الاستمرار فى قبول المال لقرض فوق ما هو مكتتب به زيادة على الحد؟). إن الاكتتاب بلا ريب يزيد زيادة لها اعتبارها على المال المطلوب، وفى هذا يكمن كل الأثر والسر، فالشعب يثق بالحكومة ثقة أكيدة (١) .

ولكن حينما تنتهى المهزلة Comedy تظهر حقيقة الدين الكبير جدا، وتضطرب الحكومة، من أجل دفع هذا الدين، الى الالتجاء الى قرض جديد هو بدوره لا يلغى دين الدولة. بل إنما يضيف إليه ديناً آخر. وعندما تنفذ طاقة الحكومة على الاقتراض يتحتم عليها

(١) يجب أن يتأمل القارئ لكى يفهم ما تنطوى عليه هذه الخطة المحببة التى لا يتفق عنها إلا عقل قد بلغ قمة العنف والدهاء واللؤم فالمعنى أن الأساس فى رفع سعر الأسهم بعد هبوطها هو التلاعب بالمكتبيين واستغلالهم بالربح الحرام. وليس هو مراعاة قيمة الأسهم الحقيقية ، ومثل ذلك ألاعيب اليهود فى المضائق (البورصات) الآن.

أن تدفع الفائدة عن القروض بفرض ضرائب جديدة، وهذه الضرائب ليست إلا ديونا
مقترضة لتغطية ديون أخرى

ثم تأتي فترة تحويلات الديون، ولكن هذه التحويلات إنما تقلل قيمة الفائدة فحسب
ولا تلغى الدين ولذلك لا يمكن أن تتم الا بموافقة أصحاب الديون. وحين تعلن هذه
التحويلات يعطى الدائنون الحق فى قبولها أو فى استرداد أموالهم إذا لم يرغبوا فى قبول
التحويلات، فإذا طالب كل إنسان برد ماله فستكون الحكومة قد اصطيدت بطعمها الذى
أرادت الصيد به، ولكن تكون فى مقام يمكنها من إرجاع المال كله.

ورعاية الحكومات الأمية - لحسن الحظ - لا يفهمون كثيرا فى المالىات، وكانوا دائما
يفضلون معاناة الهبوط لقيمة ضماناتهم وتأميناتهم وإنقاص الفوائد بالمخاطرة فى عملية
مالية أخرى لاستثمار المال من جديد؛ وهكذا طالما منحوا حكوماتهم الفرصة
للتخصص من دين ربما ارتفع إلى عدة ملايين.

إن الأميين لن يجروا على فعل شئ كهذا، عالمين حق العلم أننا - فى مثل هذا
الحال - سنطلب كل أموالنا.

بمثل هذا العمل ستعترف الحكومة اعترافا صريحا بإفلاسها الذاتى مما سيبين للشعب
تبيينا واضحا أن مصالحه الذاتية لا تتمشى بعامة مع مصالح حكومته. وإن أوجه التفاتكم
توجيهها خاصا إلى هذه الحقيقة، كما أوجه كذلك إلى ما يلى: أن كل القروض الداخلية
موحدة consolidated بما يسمى القروض الوقتية: وهى تدعى الديون ذات الأجل
القصير، وهذه الديون تتكون من المال المودع فى بنوك الدولة أو بنوك الادخار.

هذا المال الموضوع تحت تصرف الحكومة لمدة طويلة يستغل فى دفع فوائد القروض
العرضية، وتضع الحكومة بدل المال مقدارا مساويا له من ضماناتها الخاصة فى هذه البنوك،
وإن هذه الضمانات من الدولة تغطى كل مقادير النقص فى خزائن الدولة عند الأميين
(غير اليهود).

وحينما يلى ملكنا العرش على العالم أجمع ستختفى كل هذه العمليات الماكرة،
وسندمر سوق سندات الديون الحكومية العامة، لأننا لن نسمح بأن تتأرجح كرامتنا حسب
الصعود والهبوط فى أرصدتنا التى سيقدر القانون قيمتها بالقيمة الاسمية من غير

إمكان تقلب السعر فالصعود يسبب الهبوط، ونحن قد بدأنا بالصعود لإزالة الثقة بسندات الديون الحكومية العامة للأميين.

وسنستبدل بمصافق (بورصات) الأوراق المالية Exchanges Stock منظمات حكومية ضخمة سيكون من واجبها فرض ضرائب على المشروعات التجارية بحسب ما تراه الحكومة مناسبة. وإن هذه المؤسسات ستكون فى مقام يمكنها من أن تطرح فى السوق ما قيمته ملايين من الأسهم التجارية أو أن تشتريها هى ذاتها فى اليوم نفسه. وهكذا ستكون كل المشروعات التجارية معتمدة علينا . وأنتم تستطيعون أن تتصوروا أى قوة هكذا ستصير عند ذلك.

البروتوكول الثانى والعشرون :

حاولت فى كل ما أخبرتكم به حتى الآن أن أعطيكم صورة صادقة لسير الأحداث الحاضرة، وكذلك سير الأحداث الماضية التي تتدفق في نهر القدر، وستظهر نتيجتها فى المستقبل القريب، وقد بينت لكم خططنا السرية التي نعامل بها الأميين وكذلك سياستنا المالية، وليس لى أن أضيف إلا كلمات قليلة فحسب.

فى أيدينا تتركز أعظم قوة فى الأيام الحاضرة، وأعنى بها الذهب. ففى خلال يومين نستطيع أن نسحب أى مقدار منه من حجرات كنزنا السرية.

أفلا يزال ضروريا لنا بعد ذلك أن نبرهن على أن حكمنا هو إرادة الله؟ هل يمكن – ولنا كل هذه الخيرات الضخمة – أن نعجز بعد ذلك عن إثبات أن كل الذهب الذى ظللنا نكدسه خلال قرون كثيرة جدا لن يساعدنا فى غرضنا الصحيح للخير، أى لإعادة النظام تحت حكمنا؟

إن هذا قد يستلزم مقدارا معينا من العنف . ولكن هذا النظام سيستقر أخيرا وسنبرهن على أننا المفضلون الذين أعادوا السلام المفقود والحرية الضائعة للعالم المكروب، وسوف نمنح العالم الفرصة لهذا السلام وهذه الحرية، ولكن فى حالة واحدة ليس غيرها على التأكيد – أى حين يعتصم العالم بقوانيننا اعتصاماً صارماً وفوق ذلك سنجعل واضحا لكل إنسان أن الحرية لا تقوم على التحلل والفساد أو على حق الناس فى عمل ما يسرهم عمله، وكذلك مقام الإنسان وقوته لا يعطيانه الحق فى نشر المبادئ

الهدامة Destructive principles كحرية العقيدة والمساواة ونحوهما من الأفكار. وسنجعل واضحا أيضا أن الحرية الفردية لا تؤدي إلى أن لكل رجل الحق في أن يصير ثائرا، أو أن يثير غيره بإلقاء خطب مضحكة على الجماهير القلقة المضطربة. سنعلم العالم أن الحرية الصحيحة لا تقوم إلا على عدم الاعتداء على شخص الإنسان وملكه مادام يتمسك تمسكا صادقا بكل قوانين الحياة الاجتماعية. ونعلم العالم أن مقام الإنسان متوقف على تصوره لحقوق غيره من الناس، وأن شرفه يردعه عن الأفكار المبهرجة في موضوع ذاته.

إن سلطتنا ستكون جليلة مهيبة لأنها ستكون قديرة وستحكم وترشد، ولكن لا عن طريق اتباع قوة الشعب (١) ومثليه، أو أى فئة من الخطباء الذين يصيحون بكلمات عادية يسمونها المبادئ العليا، وليست هى فى الحقيقة شيئا آخر غير أفكار طوباوية خيالية. أن سلطتنا ستكون المؤسسة للنظام الذى فيه تكمن سعادة الناس وأن هيئة هذه السلطة ستكسبها غراما صوفيا، كما ستكسبها خضوع الأمم جمعاء. إن السلطة الحققة لا تستسلم لأى حق حتى حق الله. ولن يجروا أحد على الاقتراب منها كى يسلبها ولو خيطا من مقدرتها.

البروتوكول الثالث والعشرون :

يجب أن يدرّب الناس على الحشمة والحياء كى يعتادوا الطاعة. ولذلك سنقلل مواد الترف. وبهذه الوسائل أيضا سنفرض الأخلاق التى أفسدها التنافس المستمر على ميادين الشرف. وستبنى «الصناعات القروية Peasant industries» كى نخرب المصانع الخاصة.

إن الضروريات من أجل هذه الإصلاحات أيضا تكمن فى حقيقة أن أصحاب المصانع الخاصة الفخمة كثيراً ما يحرضون عمالهم ضد الحكومة، وربما عن غير وعى. والشعب أثناء اشتغاله فى الصناعات المحلية، لا يفهم حالة «خارج العمل» أو

(١) أى لا عن طريق من ينتخبهم الشعب كما يحدث فى الأمم البرلمانية الآن لأن اليهود - كما يفهم من البروتوكولات وكتبهم المقدسة - لا يعترفون بالنظام النيابى البرلمانى فى الحكم، لكن يحكمون حكما أوتوقراطيا مطلقا، على يد ملكهم المقدس.

«البطالة» وهذا يحمله على الاعتصام بالنظام القائم. ويغريه بتعصيد الحكومة. إن البطالة هي الخطر الأكبر على الحكومة وستكون هذه البطالة قد أنجزت عملها حالما تبلغنا طريقها السلطة.

إن معاقرة الخمر ستكون محرمة كأنها جريمة ضد الإنسانية وسيعاقب عليها من هذا الوجه: فالرجل والبهيمة سواء تحت الكحول.

إن الأمم لا يخضعون خضوعاً أعمى إلا للسلطة الجبارة المستقلة عنهم استقلالاً مطلقاً، القدرة على أن تربيهم أن سيفاً في يدها يعمل كسلاح دفاع ضد الثورات الاجتماعية. لماذا يريدون بعد ذلك أن يكون للمليكم روح ملاك؟ إنهم يجب أن يروا فيه القوة والقدوة متجسدين.

يجب أن يظهر الملك الذى سيحل الحكومات القائمة التى ظلت تعيش على جمهور قد تمكنا نحن أنفسنا من إفساد أخلاقه خلال نيران الفوضى. وإن هذا الملك يجب أن يبدأ بإطفاء هذه النيران التى تندلع اندلاعاً مطرداً من كل الجهات.

ولكى يصل الملك إلى هذه النتيجة يجب أن يدمر كل الهيئات التى قد تكون أصل هذه النيران، ولو اقتضاه ذلك إلى أن يسفك دمه هو ذاته، ويجب عليه أن يكون جيشاً منظماً تنظيمياً حسناً، يحارب بحرص وحزم عدوى أى فوضى قد تسمم جسم الحكومة.

إن ملكنا سيكون مختاراً من عند الله، ومعيناً من أعلى، كى يدمر كل الأفكار التى تغرى بها الغريزة لا العقل، والمبادئ البهيمية لا الإنسانية، إن هذه المبادئ تنتشر الآن انتشاراً ناجحاً فى سرقاتهم وطغيانهم تحت لواء الحق والحرية.

إن هذه الأفكار قد دمرت كل النظم الاجتماعية مؤدية بذلك إلى حكم ملك إسرائيل Kingdom of Israel.

ولكن عملها سيكون قد انتهى حين يبدأ حكم ملكنا. وحينئذ يجب علينا أن نكنسها بعيداً حتى لا يبقى أى قدر فى طريق ملكنا.

وحينئذ سنكون قادرين على أن نصرخ فى الأمم « صلوا لله ، واركعوا أمام ذلك .

(الملك) الذى يحمل آية التقدير الأزلى للعالم . والذى يقود الله ذاته نجمه ، فلن يكون أحد آخر إلا هو نفسه Himself قادراً على أن يجعل الإنسانية حرة من كل خطيئة (١) .

البروتوكول الرابع والعشرون :

والآن سأعالج الأسلوب الذى تقوى به دولة Dynasty الملك داود حتى تستمر إلى اليوم الآخر .

إن أسلوبنا لصيانة الدولة سيشتمل على المبادئ ذاتها التى سلمت حكماءنا مقاليد العالم ، أى توجيه الجنس البشرى كله وتعليمه .

وأن أعضاء كثيرين من نسل داود David سيعدون ويربون الملوك وخلفاءهم الذين لن ينتخبوا بحق الوراثة بل بمواهبهم الخاصة . وهؤلاء الخلفاء سيفقهون فيما لنا من مكنونات سياسية سرية، وخطط للحكم، آخذين أشد الحذر من أن يصل إليها أى إنسان آخر.

وستكون هذه الإجراءات ضرورية، كي يعرف الجميع أن من يستطيعون أن يحكموا إنما هم الذين فقهوا تفقيهاً فى أسرار الفن السياسى وحدهم، وهؤلاء الرجال وحدهم سيعلمون كيف يطبقون خططنا تطبيقاً عملياً مستغلين تجاربنا خلال قرون كثيرة. إنهم سيفقهون فى النتائج المستخلصة من كل ملاحظات نظامنا السياسى والاقتصادى، وكل العلوم الاجتماعية. وهم بإيجاز، سيعرفون الروح الحقة للقوانين التى وضعتها الطبيعة نفسها لحكم النوع البشرى.

وسيوضع مكان الخلفاء المباشرين للملك غيرهم إذا حدث ما يدل على أنهم مستهترون بالشهوات، أو ضعاف العزيمة خلال تربيتهم، أو فى حال إظهارهم أى ميل آخر

(١) كان اليهود ينتظرون المخلص الذى يخلصهم من العبودية بعد تشتتهم ، ويعيد إليهم ملكهم الديوى ، فلما ظهر يسوع أو عيسى فى صورة قديس ، وحاول تخليصهم روحياً وخلقياً من شرورهم . ولم يظهر فى صورة ملك يعيد إليهم سلطانهم الديوى ، أنكروه واضطهدون ، وهم حتى الآن ينتظرون المسيح المخلص فى صورة ملك من نسل داود يخلصهم من الاستعباد والتشتت ، وهذا المخلص هو الذى يخلص الإنسانية من الخطيئة كما يقولون هنا وكما تقول كتبهم المقدسة (انظر سفر أشعيا وما بعده مثلاً) . كما أن هذا المخلص هو الذى يعيد مملكة صهيون فى نظرهم أيضاً ويخضع لهم الأمم جميعاً .

إن قطب Column العالم فى شخص الحاكم العالى World Ruler الخارج من بذرة إسرائيل - ليطرح كل الالهواء الشخصية من أجل مصلحة شعبه. أن ملكنا يجب إن يكون مثال العزة والجبروت Err eprochable (١) .
وقعه ممثلو صهيون من الدرجة الثالثة والثلاثين (٢) .

(١) أى لا يمكن تناوله بالنقد ولا المؤاخذة ولا مسه بالأذى بأى حال وخير ترجمة عربية فى نظرى للكلمة الإنجليزية هى: «عزير» لأن العزة تشمل كل ذلك.
(٢) أرقى درجات الماسونية اليهودية: فالموقعون هنا هم أعظم أكابر الماسونية فى العالم.

تعقيب للأستاذ سرجى نيلوس

هذه الوثائق قد انتزعت خلسة من كتاب ضخّم فيه محاضر خطب^(١)، وقد وجدها صديقي^(٢) فى مكاتب بمركز قيادة جمعية صهيون القائم الآن فى فرنسا.

إن فرنسا قد أجبرت تركيا على منح امتيازات لجميع المدارس والمؤسسات الدينية لكل الطوائف: ما دامت هذه المدارس والمؤسسات خاضعة لحماية الدبلوماسية فى آسيا الصغرى.

ولا ريب أن هذه الامتيازات لا تتمتع بها المدارس والمؤسسات الكاثوليكية التى طردتها من فرنسا حكومتها السابقة. هذه الحقيقة تثبت بلا ريب أن دبلوماسية المدارس الدريفوسية Dreyus^(٣) لا تهتم إلا بحماية مصالح صهيون. وأنها تعمل على استعمار آسيا الصغرى باليهود الفرنسيين. إن صهيون تعرف دائماً كيف تحرز النفوذ لنفسها عن طريق ما يسميهم التلمود «البهائم العاملة» التى يشير بها إلى جميع الأميين.

ويستفاد من الصهيونية اليهودية السرية أن سليمان والعلماء اليهود من قبل قد فكروا

(١) محاضر الخطب أو جلسات.

(٢) أى الصديق الذى دفع البروتوكولات إلى الأستاذ نيلوس.. وهذا الصديق هو اليكسى نيقولا نيفتش كبير جماعة أعيان روسيا الشرقية القيصرية.

(٣) الكابتن دريفوس كان ضابطاً فى الجيش الفرنسى، اتهم فيه بتهمة الخيانة العظمى سنة ١٨٩٤ وأحدثت قضيته رجة فى أهل أوروبا وأمريكا وروسيا وبخاصة فرنسا، وحاول اليهود بكل ما لديهم من وسائل علنية وسرية إنقاذه ولكن حكم عليه بالنفى المؤبد من فرنسا، ثم تصدى لنقض الحكم كثير، منهم الكاتب الفرنسى المشهور «أميل زولا» إذ نشر فى جريدة «الأرور» فى ١٣ يناير سنة ١٨٩٨ خطاباً بعنوان «إنى أتهم» وأعقبه بمثله، وعمل اليهود بكل ما لديهم من نفوذ لتبرئة دريفوس، ولكن المحكمة قبلت إعادة النظر فى القضية، وقضت بحبسه عشر سنوات بدل النفى، ثم لم يزل اليهود بكل وسائلهم يعملون على تغيير الحكم، فنجحوا، وفى ١٢ يوليو سنة ١٩٠٢ قررت محكمة النقض بطلان الحكم السابق وتبرئة دريفوس وإعادته إلى الجيش العامل، فسر اليهود بذلك سروراً بالغاً. رغم ما نالوه من عناء وبذلوا من تضحيات طاهرة ونجسة فى الحصول على ذلك والمراد بالمدارس الدريفوسية هنا المدارس التى لا تهتم إلا بخدمة اليهود. وقد صدرت البروتوكولات قبل تبرئة دريفوس. انظر: كتاب «يقظة العالم اليهودى» بالعربية ص ٧٤ - ٨٧).

سنة ٩٢٩ ق.م فى استنباط مكيدة لفتح كل العالم فتحاً سلمياً لصهيون.

وكانت هذه المكيدة تنفذ خلال تطورات التاريخ بالتفصيل ، وتكمل على أيدي رجال دربوا على هذه المسألة. هؤلاء الرجال العلماء صمموا على فتح العالم بوسائل سلمية مع دهاء الأفعى الرمزية التى كان رأسها يرمز إلى المتفكرين فى خطط الإدارة اليهودية، وكان جسم الأفعى يرمز إلى الشعب اليهودى - وكانت الإدارة مصونة سرّاً عن الناس جميعاً حتى الأمة اليهودية نفسها . وحالما نفذت هذه الأفعى فى قلوب الأمم التى اتصلت بها سربت من تحتها، والتهمت كل قوة غير يهودية فى هذه الدول. قد سبق القول بأن الأفعى لا بد أن عملها معتصمة اعتصاماً صارماً بالخطة الموسوية حتى يغلق الطريق الذى تسعى فيه بعودة رأسها إلى صهيون (١) ، وحتى تكون الأفعى بهذه الطريقة قد أكملت التفافها حول أوروبا وتطويقها إياها ؛ وتكون لشدة تكييلها أوروبا قد طوقت العالم أجمع. وهذا ما يتم إنجازه باستعمال كل محاولة لإخضاع البلاد الأخرى بالفتوحات الاقتصادية.

إن عودة رأس الأفعى إلى صهيون لا يمكن أن تتم إلا بعد أن تنحط قوى كل ملوك أوروبا (٢) ، أى حينما تكون الأزمات الاقتصادية ودمار تجارة الجملة قد أثرا فى كل مكان. هناك ستمهد السبيل لإفساد الحماسة والنخوة والانحلال الأخلاقى وخاصة بمساعدة النساء اليهوديات المتنكرات فى صور الفرنسيات والإيطاليات ومن إليهن . إن هؤلاء النساء أضمن ناشرات للخلاعة والتهتك فى حيوات Lives المترعمين (٣) على رؤوس الأمم .

والنساء فى خدمة صهيون يعملن كأحاييل ومسايد لمن يكونون بفضلهن فى حاجة إلى المال على الدوام. فيكونون لذلك دائماً على استعداد لأن يبيعوا ضمائرهم بالمال.

(١) هذه نبوءة نيلوس بقيام «إسرائيل» قبل قيامها بنحو نصف قرن .

(٢) لقد تم ما أراد اليهود، وتحقيق ما تنبأ به نيلوس وهو سقوط الملكيات فى البلاد الأوربية الملكية عقب الحربين العالميتين كروسيا وأسبانيا وإيطاليا ...

(٣) ليلاحظ أن كثيرا من زعماء الأمم والمشهورين فيها كالعلماء والفنانين والأدباء وقادة الجيوش ورؤساء المصالح والشركات لهم زوجات أو خليلات أو مديرات لمنازلهم من اليهوديات، يطلعن على أسرارهم ويوجهن عقولهم وجهودهم لمساعدة اليهود أو العطف عليهم أو كف الأذى عنهم وهن سلاح يعد أخطر الأسلحة .

وهذا المال ليس الا مقترضاً من اليهود لأنه سرعان ما يعود من طريق هؤلاء النسوة أنفسهم إلى أيدي اليهود الراشين، ولكن بعد أن اشترى عبداً لهدف صهيون من طريق هذه المعاملات المالية (١) .

وضرورى لمثل هذا الإجراء أن لا يرتاب الموظفون العموميون ولا الأفراد الخصوصيون في الدور الذى تلعبه النسوة اللاتى تسخرهن يهود، ولذلك أنشأ الموجهون لهدف صهيون - كما قد وقع فعلاً - هيئة دينية : قوامها الأتباع المخلصون للشرعية الموسوية وقوانين التلمود، وقد اعتقد العالم كله أن حجاب شريعة موسى هو القانون الحقيقى لحياة اليهود (٢) ، ولم يفكر أحد في أن يمحس أثر قانون الحياة هذا، ولا سيما أن كل العيون كانت موجهة نحو الذهب الذى يمكن أن تقدمه هذه الطائفة ، وهو الذى يمنح هذه الطائفة الحرية المطلقة فى مكايدها الاقتصادية والسياسية .

وقد وضح رسم طريق الأفعى الرمزية كما يلي (٣) :

كانت مرحلتها الأولى فى أوروبا سنة ٤٢٩ ق. م . فى بلاد اليونان حيث شرعت الأفعى أولاً فى عهد بركليس Pericles تلتهم قوة تلك البلاد .

وكانت المرحلة الثانية فى روما فى عهد أغسطس Augustus حوالى سنة ٦٩ ق.م .

والثالثة فى مدريد فى عهد تشارلس الخامس Charles سنة ١٥٥٢ م .

والرابعة فى باريس حوالى ١٧٠٠ فى عهد الملك لويس السادس عشر .

والخامسة فى لندن سنة ١٨١٤ وما تلاها (بعد سقوط نابليون) .

والسادسة فى برلين سنة ١٨٧١ م بعد الحرب الفرنسية البروسية

والسابعة فى سان بطرسبرج الذى رسم فوقها رأس الأفعى تحت تاريخ ١٨٨١ .

(١) كان اليهود يشترون الأراضي من عرب فلسطين بأثمان غالية، ثم يسلطون نساءهم وخمورهم على هؤلاء العرب حتى يبتزوا منهم الأموال التى دفعوها لهم ، وعلى هذا النحو وأمثاله يعملون فى كل البلاد .

(٢) يجب أن يلاحظ أن الشريعة الموسوية لا يراعاها اليهود إلا بين بعضهم وبعض ، ولهم فى معاملة الأثمين الغرباء عنهم طريق خاصة، فهم ينظرون إليهم كالحیوانات تماماً ولا يراعون لهم حرمة، وأكثرهم يلتزم شريعة التلمود اليهودية وهى شريعة أشد وحشية وإجراماً من شريعة الغاب ..

(٣) الخريطة التى يشير إليها نيلوس هنا لم توضح فى نسختنا الإنجليزية .

كل هذه الدول التي اخترقتها الأفعى قد زلزلت أسس بنيانها، وألمانيا مع قوتها الظاهرة - لا تستثنى من هذه القاعدة . وقد أبقي على إنجلترا وألمانيا من النواحي الاقتصادية، ولكن ذلك موقوت ليس إلا ، إلى أن يتم للأفعى قهر روسيا التي قد ركزت عليها جهودها في الوقت الحاضر^(١) والطريق المستقبل للأفعى غير ظاهر على هذه الخريطة، ولكن السهام تشير الى حركتها التالية نحو موسكو وكييف وأودسا .

ونحن نعرف الآن جيداً مقدار أهمية المدن الأخيرة من حيث هي مراكز للجنس اليهودى المحارب . وتظهر القسطنطينية^(٢) كأنها المرحلة الأخيرة لطريق الأفعى قبل وصولها إلى أورشليم . ولم تبق أمام الأفعى إلا مسافة قصيرة حتى تستطيع إتمام طريقها بضم رأسها إلى ذيلها .

ولكي تتمكن الأفعى من الزحف بسهولة فى طريقها ، اتخذت صهيون الإجراءات الآتية لغرض قلب المجتمع وتأليب الطبقات العاملة نظم الجنس اليهودى أولاً إلى حد أنه لن ينفذ اليه أحد، وبذلك لا تفشى أسرارها . ومفروض أن الله نفسه قد وعد اليهود بأنهم مقدر لهم أزلاً أن يحكموا الأرض كلها فى هيئة مملكة صهيون المتحدة، وقد أخبرهم بأنهم العنصر الوحيد الذى يستحق أن يسمى إنسانياً . ولم يقصد من كل من عداهم إلا أن يطلقوا « حيوانات عاملة » وعبيداً لليهود ، وغرضهم هو إخضاع العالم، وإقامة عرش صهيون على الدنيا (See Sanh. 91. 21. 1051) ^(٣) .

(١) هذه نبوءة من نبوءات الأستاذ نيلوس بسقوط القيصرية ، وقيام الشيوعية اليهودية الماركسية بدلها على الصورة التى رسمتها البروتوكولات وليس الاختلاف بين الصورتين إلا الاختلاف الذى يجب أن ينتظر فى تنفيذ المؤامرة قبل إتمامها وبعده . ولا يمكن أن تتفق الصورتان التمهيدية والنهائية وإن كانت ملامح التمهيدية واضحة فى النهائية وضوح ملامح الطفل فى الرجل . « والطفل أبو الرجل » كما يقول شكسبير .

(٢) إن الأفعى اليهودية فى طريقها إلى أورشليم قد مرت على القسطنطينية فدمرت الخلافة الإسلامية، ولم يكن مفر لها من تدميرها قبل الوصول إلى أورشليم وإقامة دولة إسرائيل والمتبعون لأحوال تركيا قبل سقوط الخلافة الإسلامية، وبعد قيام مصطفى كمال بالحكم التركى اللادىنى وانحياز تركيا إلى إسرائيل ضد العرب فى كل المواقف السياسية يلمسون اليد اليهودية فى توجيه سياسة تركيا وهذه نبوءة من نبوءات الأستاذ نيلوس .

(٣) خير مرجع للقارئ العربى فى ذلك كتاب العهد القديم والتلمود وأقرب له منهما وأبسط وأسهل فهما كتيب فى ١١٦ صفحة - للأستاذ بولس حنا مسعد ، عنوانه: « همجية التعاليم الصهيونية » وهو من أخطر الكتب الصغيرة بخاصة فى الكشف عن همجية الديانة اليهودية . وقد نقلت أسماء المراجع الإنجليزية فى هذا الموضوع وما قبله وبعده على حالها، لأنها - فيما أعلم - لم تترجم إلى العربية، فلا فائدة إذن للقارئ العربى غير العارف بالإنجليزية من نقل أسمائها إليه بالعربية ما دام لا يستطيع الرجوع إليها فى أصولها الأجنبية.

وقد تعلم اليهود أنهم فوق الناس super men ، وأن يحفظوا أنفسهم في عزلة عن الأمم الأخرى جميعاً . وقد أوحى هذه النظريات إلى اليهود فكرة المجد الذاتي لعنصرهم، بسبب أنهم أبناء الله حقاً . (See Jihal 97: 1, sanh, 58, 2) .

وقد وطدت الطريقة الاعتزالية لحياة جنس صهيون توطيداً تاماً نظام « الكاغال Kagal » الذي يحتم على كل يهودى مساعدة قريه، غير معتمد على المساعدة التي يتلقاها من الإدارات المحلية التي تحجب حكومة صهيون عن أعين إدارات الدول الأمية التي تدافع دائماً بدورها دفاعاً حماسياً عن الحكومة اليهودية الذاتية، ناظرين إلى اليهود خطأ كأنهم طائفة دينية محضة، وهذه الأفكار المشار إليها قبل - وهى مقررّة بين اليهود - قد أثرت تأثيراً هاماً في حياتهم المادية. فحينما نقرأ هذه الكتب مثل:

" Gopayon" 14, pag1., " Eben - Gaizar, " Page81,

" XXXVI. Ebamot, " " 98, XXV. Ketubat,36

" XXXVI. Pandrip". " XXX Kadushin, " 68 A

وهذه كلها مكتوبة لتمجيد الجنس اليهودى - نرى أنها فى الواقع تعامل الأميين (غير اليهود) كما لو كانوا حيوانات لم تخلق إلا لتخدم اليهود. وهم يعتقدون أن الناس وأملاكهم بل حيواناتهم ملك لليهود، وأن الله رخص لشعبه المختار أن يسخرهم فيما يفيد كما يشاء (١).

وتقرر شرائع اليهود أن كل المعاملات السيئة للأميين تغفر لهم فى رأس سنتهم الجديدة، كما يمنحون فى اليوم ذاته أيضاً العفو عن الخطايا التي سيرتكبونها فى العام القادم.

وقد عمل زعماء اليهود كأنهم « وكلاء استفزاز » فى الحركات المعادية للسامية Anti- semitism بسماحهم للأميين أن يكتشفوا بعض أسرار التلمود، لكى يثير هؤلاء

(١) انظر محزور فارحى اليهودى المصرى المترجم إلى العربية (وهو بالعبرية أيضاً) الجزء الثانى. وهو خاص بالصلوات لأجل عيد رأس السنة، فدرس يوم رأس السنة: صلاة بعد الظهر أو العصر ص ٢٤٢ - ٢٥٨ وترتيب تشليح أو طرح الخطايا ص ٢٥٩ - ٢٦٤ ومواضع أخرى (طبع بالمطبعة الرحمانية بمصر سنة ١٩٢٤) وجزء ٣ ص ٢٨ ليلة الغفران وصلاة المساء ص ٤١.

الزغماء بغضاء الشعب اليهودى ضد الأميين.

وكانت تصريحات عداوة السامية Anti- Semitism مفيدة لقادة اليهود، لأنها خلقت الضغينة فى قلوب الأميين نحو الشعب الذى كان يعامل فى الظاهر معاملة سيئة، مع أن تشيعاتهم وأهواءهم كانت مسجلة فى جانب صهيون.

وعداوة السامية Anti- Semitism – والتي جرت الاضطهاد على الطبقات الدنيا من اليهود – قد ساعدت قادتهم على ضبط أقاربهم وإمساكهم إياهم فى خضوع. وهذا ما استطاعوا لزاما أن يفعلوه لأنهم دائماً كانوا يتدخلون فى الوقت المناسب لإنقاذ شعبهم الموالى لهم. ويلاحظ أن قادة اليهود لم يصابوا بنكبة قط من ناحية الحركات المعادية للسامية، لا فى ممتلكاتهم الشخصية ولا مناصبهم الرسمية فى إدارتهم.

وليس هذا بعجيب ما دام هؤلاء الرؤوس أنفسهم قد وضعوا « كلاب الصيد المسيحية السفاكة » ضد اليهود الأذلاء. فمكنتهم كلاب الصيد السفاكة من المحافظة على قطعانهم، وساعدت بذلك على بقاء تماسك صهيون.

واليهود – فيما يرون أنفسهم – قد وصلوا فعلاً إلى حكومة عليا تحكم العالم جميعاً، وهم الآن يطرحون أقنعتهم عنهم بعيداً.

ولا ريب فى أن القوة الفاتحة الغازية الرئيسية لصهيون تكمن دائماً فى ذهبهم، وهم لذلك إنما يعملون ليعطوا هذا الذهب قيمة.

ولا يعلل سعر الذهب المرتفع إلا بتداول الذهب خاصة (١)، ولا يعلل تكدسه فى أيدي صهيون إلا بأن اليهود قادرون على الربح من كل الأزمات الدولية الاقتصادية. كى يحتكروا الذهب، وهذا ما يبرهن عليه تاريخ أسرة روتشيلد Rothschild المنشور فى باريس فى « الليبر بارول Libre Parole » (٢).

(١) من الأسس الاقتصادية المعتمدة نظرية تقوم كل الأشياء بالذهب وهى خاطئة، لأن الذهب ليس إلامقوماً، وإن مقدرة الدولة الاقتصادية لا تقوم بما عندها من الذهب – وإن كان هذا ما يريد أن يؤكد اليهود – لكن مقدرة كل دولة تقاس بمنتجاتها وخيراتها التى تقدمها للعالم ولو لم تملك من الذهب شيئاً، فالدول التى تعمل على تكديس الذهب لمجرد الذهب دون الاعتماد على منتجاتها الأخرى ودولة جاهلة مخططة تسيء إلى منزلتها وحياتها، وهذا ما وقعت فيه مصر منذ عام ١٩٤٩.

(٢) فى أواخر القرن الماضى انتشرت فى فرنسا دعوة عداوة السامية والمراد بها أولاً مقاومة اليهودية، وكان من أشد =

وقد توطدت سيطرة الرأسمالية عن طريق هذه الأزمات تحت لواء مذهب التحررية Liberalism ، كما حميت بنظريات اقتصادية واجتماعية مدروسة دراسة ماهرة، وقد ظفر شيوخ صهيون بنجاح منقطع النظر بإعطائهم هذه النظريات مظهراً علمياً (١).

وإن قيام نظام التصويت السرى قد أتاح لصهيون فرصة لتقديم قوانين تلائم أغراضها عن طريق الرشوة. وإن الجمهورية هي صورة الحكومة الأمية التي يفضلها اليهود من أعماق قلوبهم، لأنهم يستطيعون مع الجمهورية أن يتمكنوا من شراء أغلبية الأصوات بسهولة عظمى، ولأن النظام الجمهورى يمنح، وكلاءهم وجيش الفوضويين التابعين لهم حرية غير محدودة. ولهذا السبب يعضد اليهود مذهب التحررية على حين كان الأميون الحمقى الذين أفسد اليهود عقولهم يجهلون هذه الحقيقة الواضحة من قبل، وهى أنه ليست الحرية مع الجمهورية أكثر منها مع الأوتوقراطية والأمر بالعكس، ففى الجمهورية يقوم الضغط على الأقلية عن طريق الرعاع (٢) ، وهذا ما يحرص عليه دائماً وكلاء صهيون .

وصهيون، حسب إشارة منتفيورى (٣) Montefiore لا تدخر مالاً ولا وسيلة أخرى للوصول إلى هذه الغايات. وفى أيامنا هذه تخضع كل الحكومات فى العالم - عن وعى أو

= الموقدين لنارها فى فرنسا كاتب فرنسى اسمه إدوار بريريمون بكتاب نشره عنوانه «فرنسا اليهودية» بين فيه نظرية خصومة اليهود وفساد الحياة الفرنسية وانحلالها بتأثيرهم. ثم أسس سنة ١٨٩٢ جريدة للطن فى اليهود سماها «الليبر بارول» أى الكلام الحر، فقامت حركة لإخراج ضباط اليهود من الجيش الفرنسى وعددهم خمسمائة.

وكتبت فى ذلك مقالات نارية كان من ضحاياها ضابط يهودى يسمى «أرمان ماير» قتل. وظن أن مقتله نهاية الحركة غير أن الصحيفة «الليبر بارول» استمرت على تهجمها حتى قبض فى أوائل سنة ١٨٩٤ على الضابط الكبير دريفوس بتهمة الخيانة العظمى، وكانت الصحيفة أول من أظهر التهمة وقاد الحملة ضده انظر كتاب «يقظة العالم اليهودى» للأستاذ اليهودى المصرى «إلى ليفى عسل» بالعربية (ص ٦٨ - ٧٣) .

(١) هذا مظهر زائف ما يزال يخدع كثيراً من دعاة التمكن من علم الاقتصاد وقد وقعت مصر سنة ١٩٤٩ فى خطأ بسبب ذلك..

(٢) هذه حقيقة من الحقائق السياسية الهامة التى لا يفتن إليها إلا الحكماء. ولمعرفة ذلك يجب مقارنة الملكية فى بريطانيا بالجمهورية فى فرنسا لبيان الفرق بين الحكمين، فالفرق بين الحكمين واضح، والفرق ينشأ دائماً لا من شكل الحكومة ملكية أو جمهورية بل من تربية الشعب السياسية، فشكل الحكومة لا قيمة له، لكن القيمة للشعب، ومدى إدراكه وتمسكه بحقوقه .

(٣) زعيم يهودى كان يريد لليهود استعمار فلسطين، وكان عظيم النفوذ فى بريطانيا وصديق العائلة المالكة، وعاش أكثر من قرن (انظر « يقظة العالم اليهودى » ص ١٣٥ - ١٨٠).

عن غير وعى - لأوامر تلك الحكومة العليا العظيمة: حكومة صهيون (١)، لأن كل وثائقها في حوزة حكومة صهيون، وكل البلاد مدينة لليهود إلى حد أنها لا تستطيع إطلاقاً أن تسد ديونها. إن كل الصناعة والتجارة وكذلك الدبلوماسية في أيدي صهيون. وعن طريق رؤوس أموالها قد استعبدت كل الشعوب الأممية. وقد وضع اليهود بقوة التربية القائمة على أساس مادی سلاسل ثقيلة على كل الأميين. وربطوهم بها إلى حكومتهم العليا.

ونهاية الحرية القومية في المتناول، ولذلك ستسير الحرية الفردية أيضاً إلى نهايتها، لأن الحرية الصحيحة لا يمكن أن تقوم حيث قبضة المال تمكن صهيون من حكم الرعاع، والتسلط على الجزء الأعلى قدرأ، والأعظم عقلاً في المجتمع. «من لهم آذان للسمع فليسمعوا» (٢).

قريباً ستكون قد مضت أربع سنوات منذ وقعت في حوزتي «بروتوكولات حكماء صهيون» ولا يعلم إلا الله وحده كم كانت المحاولات الفاشلة التي بذلتها لإبراز هذه البروتوكولات إلى النور، أو حتى لتحرير أصحاب السلطان، وأن أكشف لهم عن أسباب العاصفة التي تهدد روسيا البليدة التي يبدو من سوء الحظ فقد تقديرها لما يدور حولها.

والآن فحسب قد نجحت - بينما أخشى أن يكون قد طال تأخرى - في نشر عملي على أمل أني قد أكون قادراً على إنذار أولئك الذين لا يزالون ذوى آذان تسمع، وأعين ترى (٣).

لم يبق هناك مجال للشك، فإن حكم إسرائيل المنتصر يقترب من عالمنا الضال بكل ما للشيطان من قوة وإرهاب، فإن الملك المولود من دم صهيون - عدو المسيح - قريب من عرش السلطة العالمية (٤).

(١) هذا ما تحقق الآن فعلاً، وإن لم يبلغ مده. فمعظم الحكومات الكبرى كأمريكا وروسيا وبريطانيا وفرنسا، والجماع الدولية مثل مجلس الأمن وهيئة الأمم المتحدة، ومحكمة العدل الدولية ومن قبلها عصبة الأمم، ووفود الأمم السياسية إليها واليونسكو تبدو خاضعة لنفوذ اليهود، أو تتكون أكثريتها من أعضاء يهود أو صنائعهم. والأحداث الجارية تكشف عن ذلك بوضوح يراه العميان.

(٢) اقتباس من كلمات السيد المسيح كما روتها الأناجيل.

(٣) وهذا ما أحس به أنا المترجم العربي لكتاب البروتوكولات، فقد لقيت في سبيل نشره من المتاعب ما يطول ذكره، وقد كشف لي عن السلطان الواسع الذي يتمتع به اليهود حتى في أبعد المؤسسات الوطنية عن نفوذ اليهود الظاهر، ولا أتمنى أكثر مما أتمنى الأستاذ نيلوس هنا، وأرجو أن يكون حظي خيراً من حظي، وإن كنت معرضاً للاغتيال في كل لحظة، وموطد نفسي عليه.

(٤) كان هذا في سنة ١٩٠٢، واليهود الآن أقرب للعرش، لأن كل الأحداث سارت في هذا الطريق لمصلحة اليهود، وتقريب ملكهم من غرضه.

إن الأحداث فى العالم تندفع بسرعة مخيفة: فالمنازعات، والحروب، والإشاعات، والأوبئة والزلازل - والأشياء التى لم تكن أمس إلا مستحيلة - قد صارت اليوم حقيقة ناجزة. إن الأيام تمضى مندفة كأنها تساعد الشعب المختار ولا وقت هناك للتوغل بدقة خلال تاريخ الإنسانية، من وجهة نظر «أسرار الظلم» المكشوفة، ولا للبرهة تاريخاً على السلطان الذى أحرزه «حكماء صهيون» كى يجلبوا نكبات على الإنسانية، ولا وقت كذلك للتنبؤ بمستقبل البشرية المحقق المقرب الآن ولا للكشف عن الفصل الأخير من مأساة العالم.

إن نور المسيح Light of Christ منفرداً « ونور كنيسته العالمية المقدسة His Holy Universal Church Church هما اللذان يستطيعان أن ينفذا خلال الأغوار الشيطانية، ويكشفامدى ضلالها (١) .

إنى لا أشعر فى قلبى بأن الساعة قد دقت لدعوة المجتمع المسكونى الثامن Ecumenical Council Eighth فيجتمع فيه رعاية الكنائس وممثلو المسيحية عامة، ناسين المنازعات التى مزقتهم طوال قرون كثيرة كى يقابلوا مقدم أعداء المسيح (٢) .

(١) لم يعد الدين مسيحياً أو إسلامياً كافياً وحدة للوقوف أمام طغيان صهيون بل لا بد معه من الاستعانة بكل ما فى العقول الحكيمة من وعى، وكل ما فى الأيدى من أسلحة حربية وسلمية للقضاء على هذا الطغيان الذى سيدمر العالم تدميراً لغرض استعباد البشر لليهود، ومن هذه الفقرة وأمثالها نلمح شدة تدين الأستاذ نيلوس، وإيمانه بقدره الدين على تخليص الناس من هذا الخطر الساحق، ولت الدين وحده ينفع فى إصلاح ما أفسد اليهود.

قلت: الإسلام وحده، وهو الدين القيم، كاف للوقوف أمام طغيان صهيون، وحسبنا ما سبق من معرفة أن الرسول الحبيب المحبوب ﷺ قضى على اليهود عسكرياً، فى الوقت الذى كان يواجه فيه المشركين، والنصارى، وأيضاً ما سيأتى من بيان معرفة معالم النصر على اليهود.

(٢) المجامع المسيحية نوعان : مجامع خاصة عقدها آباء كنيسة معينة وهذه كثيرة. ومجامع عامة عقدها آباء الكنائس من جميع أقطار المسكونة (الأرض) ولذلك تسمى « مسكونية » وعددها سبعة: أقدامها « مجمع نيقية الأول » سنة ٣٢٥م وآخرها « مجمع نيقية الثانى » سنة ٧٨٧م. والأستاذ نيلوس يشير إلى المجامع المسكونية السبعة التى عقدها آباء الكنيسة المسيحية للاتفاق على تعاليم واحدة اختلفت حولها طوائفهم المسيحية، ويتمنى عقد مجمع ثامن يتفق فيه الآباء على الوقوف متحدين ضد اليهود، ولكن لا أظن ذلك ممكناً، ولا أظنه - إن أمكن نافعاً وحده، ولا بد مع ذلك من وسائل سياسية واقتصادية وحربية للقضاء على هذه المؤامرة اليهودية الإجرامية .

الفهرس

الصفحة	الموضوع
٥	مقدمة
٧	الفصل الأول : بنو إسرائيل والإفساد فى الأرض
٩	تمهيد
١٠	العصر الذهبى
١٢	عهد الانقسام وزوال ملك بنى إسرائيل
١٤	مع الآيات القرآنية
١٩	أشهر أقوال المفسرين
٢٦	مقياس النصر والهزيمة
٣١	رأى جديد
٣٤	سورة بنى إسرائيل
٣٤	« لتفسدن فى الأرض مرتين »
٣٦	رد الكرة
٣٦	فرصة الاختيار
٣٨	بشرى للمؤمنين
٣٨	تعليق على المقال
٦٣	الفصل الثانى : بروتوكولات حكماء صهيون
٦٥	تاريخ البروتوكولات
٦٥	مؤامرة شريرة ضد البشرية
٦٥	معنى البروتوكولات
٦٥	أخطر كتاب ظهر فى العالم
٦٧	قرارات المؤتمر الصهيونى الأول واختلاس البروتوكولات
٦٨	ذعر اليهود لنشر البروتوكولات وأثر ذلك

٧٠	استمرار الممارك
٧١	الاغتيال
٧٢	تقدير العقاد
٧٤	تصدير الطبعة الخامسة للترجمة الإنجليزية
٧٧	كيف ظهرت البروتوكولات للعالم
٨٢	البروتوكول الأول
٩٠	البروتوكول الثاني
٩٢	البروتوكول الثالث
٩٦	البروتوكول الرابع
٩٨	البروتوكول الخامس
١٠٢	البروتوكول السادس
١٠٣	البروتوكول السابع
١٠٥	البروتوكول الثامن
١٠٦	البروتوكول التاسع
١١٠	البروتوكول العاشر
١١٧	البروتوكول الحادى عشر
١١٩	البروتوكول الثانى عشر
١٢٤	البروتوكول الثالث عشر
١٢٧	البروتوكول الرابع عشر
١٢٨	البروتوكول الخامس عشر
١٣٧	البروتوكول السادس عشر
١٤٠	البروتوكول السابع عشر
١٤٣	البروتوكول الثامن عشر
١٤٦	البروتوكول التاسع عشر
١٤٧	البروتوكول العشرون
١٥٥	البروتوكول الحادى والعشرون
١٥٧	البروتوكول الثانى والعشرون

١٥٨	البروتوكول الثالث والعشرون
١٦٠	البروتوكول الرابع والعشرون
١٦٣	تعقيب للأستاذ سرجى نيلوس
١٧٣	الفهرس